

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان

قسم اللغة العربية



المركز الجامعي أحمد زبانة - غليزان

معهد الأدب واللغات

مشروع التكوين في الطور الثالث

اللسانيات العربية المقارنة

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل. م. د) موسومة بـ:

الاختلافات اللهجية في المنطوق الجزائري "دراسة صوتية مقارنة"

إشراف الدكتور:

ابراهيمى بوداود

إعداد الطالبة:

كجعو طاطمة

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان	أستاذ التعليم العالي	أد/ عطاظفة بن عوده
مشرفا ومقررا	المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان	أستاذ محاضر - أ.	د/ ابراهيمى بوداود
مناقشا	جامعة أحمد بن بلة - وهران 1-	أستاذ التعليم العالي	أد/ سطمبول ناصر
مناقشا	جامعة أحمد بن بلة - وهران 1	أستاذ التعليم العالي	أد/ مليانى محمد
مناقشا	جامعة حسيبة بن بوعلي - شلف	أستاذ التعليم العالي	أد/ بن عجمية احمد
مناقشا	المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان	أستاذ محاضر - أ.	د-بن شيخة نصيرة

السنة الجامعية
2020/2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ
وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

سورة الروم: الآية 22.

الإهداء:

إليك جزائري الحبيبة، ولئن

اختلفت اللهجات فيك، فإنك

في قلب كل جزائري أم واحدة.

شكر

الحمد لله حمدا كثيرا، والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يطيب لي وقد فرغت بعون الله ورعايته، من إعداد هذا البحث، أن أتوجه إلى المولى عز وجل بالحمد والشكر، الذي هداني وأنار الطريق أمامي وأمدني بالعزم لإتمام هذا البحث، وقيض لي من الأساتذة الأجلاء والعلماء الأفاضل من أنار لي سبيل العلم، وأرشدني إلى الطريق الصواب، وأجد إلزاما علي أن أنسب الفضل لأهله وفاء وعرفانا، فأتقدم بجزيل الشكر إلى من منحني الرعاية الصادقة، والتوجيه المخلص منذ اللحظة الأولى من كتابة البحث، وأخص به:

الدكتور ابراهيمي بوداود

الذي جاد بفضله بمتابعة هذا المنجز البحثي، كما شرفني بأن أكون فاتحة خريجي دفعة مشروع الدكتوراه في قسم اللغة العربية وصاحبة أول رسالة دكتوراه تحظى بشرف المناقشة على مستوى المركز الجامعي أحمد زبانة، أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر إلى من سعوا مخلصين من أجل العلم وطلابه، فقدموا العون والمساعدة إلى كل من يطلبهما، وأخص بالذكر:

الدكتورة بن شيحة نصيرة.

أقول لها:

فلو كان يُستغنى عن الشكر لعزة ملك أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره فقال اشكروا لي أيها الثقلان

والشكر موصول إلى الأستاذة مناصري وفاء على كل ما قدمته من عون

ونتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع من أسهم في إنجاز هذا البحث من الأصدقاء والرفاق،

وبخاصة أعضاء لجنة القراءة والمناقشة على ما بذلوه من جهد في قراءة هذا البحث، وعلى ما

سيقدموه لي وللحضور الكريم من نصائح وتوجيهات وإرشادات، هي زبدة خبرتهم وممارستهم العلمية

لمثل هذا البحث، وسأكون حفية بها، وستكون موضع العناية والتقدير، قصد تقويم هذه الرسالة

وتعديلها.

والحمد لله أولا وأخيرا على توفيقه لنا في إنجاز هذا البحث العلمي خدمة للعربية التي شرفها

الله بأن أنزل بها كتابه العزيز الحكيم.

مقدمة

مقدمة

أسهمت دراسة اللهجات العربية المعاصرة، إسهاما كبيرا في فك مغالق التغير والتطور الذين يمسان البنى والتراكيب اللغوية، وكذا تعقب تحولاتها المتواترة عبر الزمن، وما يتمخض عن ذلك من استعمالات مفارقة، تتحكم فيها سيورة التحديث اللغوي واللهجي.

على إثر ذلك، لا يعدم الباحث في مجال البحث اللغوي، الوقوف على أهمية الدرس اللهجي، وما انتهى إليه من مسوغات تعدت ثقل المرجع التنظيري، إلى منجز الحقل الإجرائي، ضمن مراكز البحث العالي الأوربي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وكذا ما لحق به من تطورات تحديثية في الوقت الراهن.

عقب هذا، لجأ البحث إلى بعض التصورات والطروح التي اختصت بدراسة اللهجات، من حيث والتأثيل والتفريع، ضمن الدرس اللغوي القديم، في محاولة منا لرصد معالم التهجين والصفاء ما بين الفصحى واللهجة، نحو ما أفرزته تلك المباحث الخاصة بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكذا التنوع اللهجي لدى القبائل العربية.

بمقتضى ذلك، انعطف البحث تجاه تتبع الدرس اللهجي ضمن لغة ما بغية استكناه آليات وحيثيات تطور هذه اللغة، وكذا كيفية التمكن من استخراج قوانين ثابتة لتطور لغة ما أو عدة لغات، ومن ثمة مقارنة هذه القوانين بقوانين تطور لغات أخرى أشمل وأكثر ثباتا، وبهذا يتمكن الدارسون من التوصل إلى طريقة التطور ضمن اللغة لدى الإنسان.

ولاشك أن هذا النوع من الدراسة، يعيننا على معرفة نسب التقارب والتباعد بين الفصحى واللهجات من حيث الأصوات، والصيغ، والتراكيب، وغير ذلك من الوجوه التي تسعف الباحثين في المستقبل على وضع أطلس لغوي للهجات الجزائرية، على نحو ما نجده في الدول المتقدمة التي قطعت أشواطاً كبيرة في هذا النوع من الدراسات.

لذلك، ترصد الدراسة ما استشكله هذا المسلك من قضايا، انطلاقاً من مرتكز ما يتغيا طرحه وهو على وجه التحديد: "بعض أوجه الاتفاق والاختلاف الصوتية بين اللهجات الجزائرية والفصحى"، التي اقتضت ضرورة الاقتراب منه الانطلاق من الإشكالات الآتية:

- إلى أي مدى تكمن الصلة أو العلاقة بين اللهجة الجزائرية والفصحى؟
- ما هي المسوغات التي أدت باللهجة الجزائرية إلى التباين عن أصلها الفصيح؟
- ما هي مواطن الاتفاق والاختلاف بين اللهجة المدروسة والفصحى في مستواها الصوتي؟
- ما طبيعة الظواهر الصوتية الموجودة في اللهجة الجزائرية، وما مدى مطابقتها لقواعد اللغة العربية؟
- ما هي أوجه الاتفاق والاختلاف الصوتية بين اللهجة الجزائرية والفصحى؟

وبمقتضى هذه التساؤلات تم وسم البحث بـ:

الاختلافات اللهجية في المنطوق الجزائري "دراسة صوتية مقارنة"

على هذا الأساس، توخى البحث تلك المرجعيات التصويرية التي قاربت الموضوع، نحو كتاب "التطور اللغوي، مظاهره وقوانينه وعمله"، و"مدخل إلى علم اللغة والتحويلات الجديدة للسانيات التاريخية" لرمضان عبد التواب، و"اللسانيات الجغرافية في التراث"،

وكتاب "العربية بين الطبع والتطبيع"، و"لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط" لعبد الجليل مرتاض، وكتاب "لحن العامة"، و"اللهجات العربية نشأة وتطور" لعبد الغفار حامد هلال، وكتاب "في اللهجات العربية"، و"اللغة بين القومية والعالمية" لأبراهيم أنيس، وكتاب "دروس في علم أصوات العربية" لجان كانتينو،

ومما تجدر الإشارة إليه، أن اختياري لهذا الموضوع تأتي من ضرورة التعرض لبعض الإشكالات التي أملاها درس اللساني المقارن بصفة عامة، وما اقتضته جزئية الصوت لتجلية ملامح التعدد اللهجي في الجزائر بنوع من التخصيص والتفرد، ولعل ذلك ما يعززه عدم اكتفاء البحث بالجانب النظري فقط، وإنما حاول العمل على الطرح النظري معضودا بالطرح التطبيقي لما تيسر حضوره في بعض النماذج اللهجية المنطوقة، ومن ثمة العمل على مضارعتها بالفصحى بغية الكشف عن معالم التشافع والتغاير بين المسلكين.

ها هنا يتراءى هدف البحث المتمثل في الوقوف على التغيرات الصوتية التي اعترت الفصحى وأبعدتها عن اللهجة الجزائرية، ومن ثمة استكناه معالم الاختلاف الصوتي بين اللهجات الجزائرية، تبعا لما تقتضيه خصيصات انتضادها المغاير والمتفرد نتيجة تلاقح لهجة رئيسية ولهجات فرعية (لهجات الغرب، لهجات الشرق، لهجات الوسط، لهجات الجنوب "صحراء الجزائر)، وقد تختلف هذه اللهجات في بعض الظواهر الصوتية، كما قد تأتلف، وتتوافق في كثير من الظواهر الصوتية مع اللغة الفصحى.

وانطلاقا من هذا الأساس، فإن التغير الصوتي قد ينزاح بالمفردة عن أصلها بسبب المماثلة، أو المخالفة أو القلب المكاني أو الاتباع، أو الإبدال أو الحذف سواء بالحركة أو الحرف، فتزداد المفردة غموضا ويصعب تفسيرها، إذ أنها تبدو للمستمع في الوهلة الأولى

ليست من الفصحى في شيء، ولكن لو درس الباحث هذا التحول الصوتي ثم رد الكلمة إلى أصلها لاتضحت له فصاحتها.

ولئن كانت اللهجات العربية ومنها اللهجة الجزائرية فروعاً متشعبة عن لغة أصل تتمثل في اللغة العربية الفصحى، فإنها تحمل في طياتها اختلافات لهجية تجعلها تختلف من لهجة إلى أخرى، ويظهر ذلك في بعض مستوياتها، منها المستوى الصوتي، لذا تهدف الدراسة إلى اكتشاف بعض التغيرات الصوتية التي تصيب ألفاظ اللهجة الجزائرية، نتيجة للعلاقات الجوارية للأصوات ضمن أنساق الكلام، حيث تنتقل هذه الأصوات إلى اكتساب سمات وخصائص فونولوجية قد لا تظهر في صور البنى الإفرادية للملفوظ على غرار الإمالة والتسهيل والتخفيف والإشباع والهمز والتحقيق والتنغيم والنبر.

في ضوء ذلك، لا يغفل البحث الإشارة إلى كون اللهجة الجزائرية ترفد تكوينها المتشعب من عصب التقاء وتعايش الكثير من اللغات الوافدة إليها عبر حضارات مغايرة ومختلفة، تتأى عنها جغرافياً وبيئياً وحضارياً وثقافياً، نتيجة الاحتكاك التجاري أو السياسي أو الثقافي أو الاستعمار المتواتر على مر الزمن.

إجابة على ما خلا إثارته من تساؤلات، رسم البحث خارطة منهجية موزعة على النحو الآتي: مدخل، وثلاثة فصول تتصدره مقدمة، حيث تم وسم المدخل بـ: "الدرس اللغوي بين سلطة الفصحى وحضور اللهجات"، عرفنا من خلاله المفاهيم الرئيسة للبحث، لنقف بعدها على نظرة علماء اللغة للهجات، بداية من عصر التدوين وصولاً إلى اللسانيات الحديثة. محاولين الوقوف على أهم الفروقات بين الدراسات الصوتية واللهجية في التراث، وبين ما يقابلها في الدراسات الحديثة.

وتعلق الفصل الأول بـ "جليات المنهج الصوتي المقارن في الدرس الصوتي العربي" بيننا من خلاله المرتكزات الأساسية التي تنهض عليها المقولات الصوتية في

التراث، وما يقابلها من مقولات في الدرس الصوتي الحدائي، كما تعرضنا لآليات المقاربة الصوتية المقارنة في كشفها عن التغير الصوتي، أنواعه وقوانينه.

وعني الفصل الثاني بـ "الشكلات اللهجية للمنطوق الجزائري"، فأبان البحث من خلاله عن أهم الخصائص الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والمعجمية، والدلالية للهجة الجزائرية.

كما تعرض الفصل الثالث لـ "الظواهر الصوتية الشكلية في المنطوق الجزائري"، إذ عكفنا على محاولة رصد الظواهر الصوتية التطريزية في اللهجة موضوع الدراسة، مع التفسير الصوتي والتعليل، ثم ربط كل ظاهرة بجذورها في العربية الفصحى وفي اللهجات العربية القديمة ما أمكن ذلك.

ومن الطبيعي أن تعتمد هذه الدراسة الوصف والمقارنة في شتى المجالات اللغوية وتحاول شرح الظواهر وتعليلها بالرجوع إلى غيرها من اللهجات العربية في القديم والحديث، وإلى ما جد في حقل علوم اللسان.

أما الظواهر الصوتية التي رصدتها الدراسة في اللهجة المدروسة، فتتمثل في الإبدال، الإدغام، القلب، الحذف، الإمالة، التسهيل الهمز، النبر، والتنغيم، النحت. وتلبية لهذا المقتضى، فقد اعتمد البحث المنهج المقارن، بوصفه الأنسب لمعاينة التغيرات اللهجية واللغوية عبر معلم التغير والتطور الذي عرفه المنطوق العربي.

ارتكس البحث بعقبات جمة عسرت مسالك المقاربة الإجرائية نحو سعة الفضاء اللهجي في الجزائر وصعوبة تتبع كل حيثيات التعدد والاختلاف والائتلاف قياساً إلى ما تشيره اللغة الفصحى بوصفها الأصل في القياس والتحديد.

تذليلاً لهذه الصعوبات، عمد البحث إلى تلافي ما عسر من المسالك الشائكة، وحاول الإحاطة بجملة من المفاهيم؛ عبر الاختصار على ما يستجديه البحث ويحاول الاقتراب منه كما لا يعني ذلك سلامة البحث من سوء الفهم وكذا التحليل والتأويل أحياناً. في عقب هذا التقديم، أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي القدير "أ.د. إبراهيم بوداود" على تجشمه عناء متابعة هذا العمل، وتيسير سبل تمامه توجيهها ودعمها، دون أن أغفل الأستاذة "بن شيحة نصيرة" لما قدمته لنا من دعم وعون فاضلين. وأصل بالشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا عناء قراءة ومراجعة ما حمل به منجزنا البحثي، بغية تصحيحه وتصويبه.

في الأخير، أحمد الله العظيم سبحانه وتعالى الذي قدر لنا البحث في هذا المجال، ويسر لنا سبل النجاح.

الباحثة كجعوط فاطمة

غليزان 2019/06/23

مدخل

المدخل

الدرس اللغوي العربي بين سلطة الفصحى وحضور اللهجة

تمهيد:

مما لا شك فيه، أن مساهمة اللهجات إلى جانب اللغة الأم في صياغة حلقات التواصل الاجتماعي، أمر قد أقرت به الدراسات اللغوية الحديثة، فلئن كانت اللغة تنفرع عبر الزمن ولعوامل متعددة إلى لهجات تختلف فيما بينها، فإن هذا الانشطار يترد في أصوله إلى اللغة الأم، التي تستمد منها أصول مفرداتها وقواعدها وتراكيبها.

واللغة العربية شأنها شأن غيرها من اللغات من حيث تشعبها إلى لهجات متباينة، فقد استقرت القبائل العربية منذ قرون طويلة في أراض شاسعة متباعدة الأطراف، مختلفة في جغرافيتها، واحتكت بشعوب مختلفة الأعراق، الأمر الذي أدى إلى تنوع لهجاتها بين مختلف الأقاليم.

1- العلاقة بين اللغة واللهجة:

تكتسي العلاقة بين اللغة واللهجة طابعا جوهريا بوصفهما يندرجان ضمن نسيج التواصل اللغوي في المحيط الاجتماعي، « فالعلاقة بينهما هي علاقة العام بالخاص، إذ لا يفصل بين اللهجة واللغة الأم (الفصحى) سوى بعض المميزات والصفات الصوتية وبعض التغيرات في التراكيب والدلالة. غير أن عناصر الاتفاق بينهما باقية للحفاظ على التقاهم بين بيئات اللغة الواحدة»¹.

1- عبد الغفار حامدهلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993، ص26.

إن السياق التاريخي لأي لغة من اللغات، يشير إلى احتمالية كونها كانت لهجة ضمن عدد من اللهجات، « ثم حدثت عوامل كثيرة أدت إلى موت اللغة الأم واندثارها، وانتشار كل بنت من بناتها في بقعة من الأرض، مكونة لغة لها خصائصها ومميزاتها التي تتفرد بها عن أخواتها، وقد حدث ذلك في اللغات السامية المختلفة»¹، التي ترتد في أصولها المرجعية إلى اللغة الأم التي اندثرت منذ زمن بعيد.

في ظل هذا الطرح، ألفينا "آل غنيم سالحة" تقر بصعوبة الوقوف على الأصل المرجعي للهجات العربية، وهو ما تبدى من خلال قولها إنه: « من العسير أن نعرف متى ظهرت اللهجات العربية، فاللغة العربية لغة سامية أي أنها خرجت من الأم التي نجهل تاريخها الكامل، وأكبر الظن أنها حين انفصلت كانت في صورة لهجة، ثم لم تلبث أن اتسع مجالها، بانتشار أهلها في مجاهل البادية العربية فصارت لهجات ثم عادت إلى التجمع ثانية، فصارت اللغة العربية التي نزل بها كتاب الله»².

والواضح، أن العلاقة بين اللغة واللهجة لم تكن واضحة المعالم بين علماء العربية القدماء، إذ نلفيهم يتعاملون مع مصطلح اللهجة وفقاً لرؤية مخالفة للتعامل اللساني الحديث³، فقد «كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة اللغة حيناً، وباللحن حيناً آخر، ويرى هذا واضحاً جلياً في المعاجم العريقة القديمة وفي بعض الروايات الأدبية، فيقولون مثلاً: الصقر بالصاد من الطيور الجارحة، وبالزاي لغة، وقد يروى لنا أن أعرابياً يقول في معرض الحديث عن مسألة نحوية: "ليس هذا لحني ولا لحن

1- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999، ص73.

2- آل غنيم سالحة، اللهجات في الكتاب لسبويه، دار المدني للطباعة والنشر، جدة، ط1، 1985، ص16.

3- ينظر: عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة، مصر، ط1، 2003، ص110.

قومي»¹. وكثيرا ما يذكر أصحاب المعاجم لغة تميم، ولغة طيء، ولغة هذيل، وهم يعنون بهذا ما نعينه اليوم بكلمة اللهجة.

ولئن كان القدماء قد تعاملوا مع مصطلح اللهجة بوصفه مرادفا لمصطلح اللغة، فإن المحدثين قد وقفوا على الفروق الجوهرية بين الصنفين، وتعاملوا مع اللغة بوصفها أصلا يتفرع منه عدد من اللهجات، التي تكتسب فيها كل لهجة صفات معينة تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.

أما اللغة في العرف الحديث فتشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات².

ضمن هذا التوجه، نحسب أن المنهج يحتم علينا الوقوف على معالم التمايز بين مصطلحي الفصحى واللهجة، ولذا سنعمد إلى الوقوف على البعد اللغوي والاصطلاحي للمصطلحين:

1- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1992، ص16-17.
2- ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص16 م /عبد الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص37، محمد سالم محيسن، المقتبس من اللهجات العربية والقراءات القرآنية، مكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 1978، ص7.

2-الفصحى:

2-1-لغة: ورد في "لسان العرب" أن الفصحى ترتد إلى جذر (ف-ص-ح)، وهي تشير إلى معنى «الفصاحة: البيان، وتقول رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طليق»¹.

أما في معجم "مختار الصحاح" فلا يكاد يختلف الأمر كثيرا، إذ نلفيه يتوافق في تعامله مع مادة (ف-ص-ح) مع لسان العرب، حيث يشير إلى أن « ف ص ح رجل فصيح، وكلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طليق، ويقال كل ناطق فصيح وما لا ينطق فهو أصم»².

إن المتأمل في البعد اللغوي لمصطلح (الفصحى) ينتهي إلى أنه يتقاطع في تجلياته الدلالية مع مصطلح (الفصاحة)، الذي يعد مبحثا من مباحث البلاغة، الذي عكف على تبيان معايير فصاحة الكلم. وعليه تحدد المفهوم البلاغي للفصاحة بوصفها « الظهور والبيان»³، مما أفرز عددا من التوجهات الدلالية التي تتماشى مع البعد الدلالي لمصطلح الفصاحة، نذكر منها:

1- الفصاحة بمفهوم الاستحسان: وهو استحسان اللغويين أو عامة العرب لهذا التركيب أو ذلك.

1- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور)، لسان العرب، مادة (ف ص ح)، دار صادر، بيروت، ط3، 1968، ص419.

2- فخر الدين الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح،(ف ص ح)، مكتبة لبنان، ط 1986، ص211.

3- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، الرحمانية، مصر، ط1، 1952، ص56-57.

2- الفصاحة بمفهوم الموافقة لقياس العربية: استعملت الفصاحة أيضا في مقابل اللحن، الذي هو مخالفة قواعد اللغة في نحوها، أو صرفها، أو دلالة ألفاظها، أو أصواتها.

3- الفصاحة بمفهوم التعبير البليغ: دلت الفصاحة أيضا على التعبير البليغ «فالكلام الفصيح هو الكلام الزاخر بالصور البيانية والمحسنات البديعية فالفصاحة هي قوة العبارة، ونصاعة البيان، وحسن التعبير»¹.

4- الفصاحة بمفهوم عدم اللكنة وعدم العجمة: فالمتكلم الفصيح هو الذي لم يخالط لسانه لسانا أعجميا، وقد عبر عن ذلك ابن خلدون في قوله: «ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم»².

نلمح من خلال هذه المفاهيم المتباينة، تقاطع مفهوم الفصحى الحديث، مع مفهوم الفصاحة الذي يصب في عدم دخول العجمة إلى سياق الكلام.

1- ينظر: سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص5.

2- ابن خلدون (عبد الرحمن ابن محمد)، المقدمة، الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، م 1، ص1071-1072.

3- ميادين استعمال العربية الفصحى:

تعتبر العربية الفصحى لغة عريقة تمتد جذورها إلى ما قبل العصر الجاهلي، وقد اكتسبت صفة الصلابة بمجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم بلسان عربي، وازدادت هيمنتها بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وبذلك فإن الدافع الديني هو الذي ساهم انتشارها وتعدد ميادين استعمالها. وإذا حاولنا حصر ميادين استعمال العربية الفصحى، فإننا يمكن أن نقف على مناح متعددة يمكن أن نوردتها على النحو الآتي¹:

3-1- الفصحى لغة القرآن: ارتبطت اللغة العربية بالوازع الديني، فهي لغة الخطاب القرآني، ولغة التواصل النبوي الذي تكشفت بلاغته العالية عبرها، وقد أشار إبراهيم أنيس² إلى هذه الخصوصية، موضحاً ذلك من خلال قوله: « يبدو لي أن ارتباط الأمم باللغة العربية ذلك الارتباط الوثيق الذي يتمثل في القرآن الكريم والأحاديث النبوية قد جعل اللغة العربية مكانة تسمو على غيرها من اللغات التي عرفها التاريخ²»، ذلك أن الناس رأوا في أن التمسك باللغة العربية الفصحى هو تمسك بالعقيدة الإسلامية.

إن هذا المنحى، يدفعنا إلى الإقرار بارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي، ولذا فإن مبعث الدراسات اللغوية والعقائدية ما انفك يتقاطع مع اللغة العربية بحثاً واستجلاء لطبيعتها، فهي اللغة التي نزل بها القرآن، الذي وسمها بلغة العبادة والعلم في آن واحد.

3-2- الفصحى اللغة الرسمية: يشير هذا المصطلح إلى كونها لغة الإعلام والاتصال، لغة القضاء، لغة المؤسسات والشركات أيضاً، ولغة التعليم "أي اللغة الوطنية".

1- ينظر: سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، ص 25.

2- إبراهيم أنيس: اللغة بين القومية والعالمية، المعارف، مصر، 1970، ص 279.

3-3- الفصحى لغة مقام الانقباض: ما تختص به اللغة الفصحى أنها لغة تكتسب

بالتعلم، ومنه فهي لا تخص كل الفئات الاجتماعية بل تخص فئة المتعلمين فقط،

وعلى هذا الأساس فهي لغة التعليم لأنها اللغة التي تدرس في مدارسنا الجزائرية¹.

وتساوقا مع هذه الميادين الاستعمالية للعربية الفصحى، يمكن أن نقر بأنها تستعمل في

المواقف الجدية والعامية: خطابة أو تأليفا أو محادثة، وهي بذلك ترتبط ببيئة خاصة هي

البيئة المثقفة فعلا أو التي يفترض فيها الثقافة، وهي أيضا المستوى الذي يراعى في مواقف

الخطاب العام الذي يتخطى حدود الإقليم الضيق فعلا "كما في أجهزة الإعلام الحديثة"، أو

يفترض أنه يتخطاه إذا ما تجمع في مكان واحد أفراد من أقاليم متعددة يتقاهمون جميعا بلغة

واحدة مشتركة"².

وبالإضافة إلى مصطلح اللغة الرسمية، ألفينا استخدام مصطلح اللغة المعيارية

"*standard language*"، ليعبر عن ذلك « المستوى الكلامي الذي له صفة رسمية، والذي

يستعمله المتعلمون تعليما راقيا وغالبا ما تكون اللغة المعيارية في أول الأمر لهجة محلية

تنال شيئا من التمجيد أو التقرير، ويعترف بها كلغة رسمية لسبب من الأسباب كأن تكون

لهجة منطقة من البلد اتخذت مقر الحكم"³. وبذلك، فإن العربية الفصحى، تؤدي المؤديات

التي تنصرف بها اللغة الرسمية واللغة المعيارية، ومن ثم انساقت صوب تمثل لغة العبادات

ولغة التعلم والسياسة والإعلام والمراسلات الإدارية ولغة الشعر والأدب.

1- المرجع السابق، ص 29.

2- ينظر: محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللشعر والنثر، عالم الكتب، القاهرة، د ت، ص 26.

3- ماريو باي، أسس علم اللغة، تحقيق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1983، ص 138.

4- مفهوم اللهجة:

جاء في لسان العرب « اللهجة واللهجة طرف اللسان، وجرس الكلام، والفتح أعلى، ويقال: فلان فصيح اللهجة واللهجة، وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها، واللهجة: اللسان، وقد يحرك. وفي الحديث: "ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر" ¹، وفي حديث آخر أصدق لهجة من أبي ذر" ². وقد ورد اشتقاقها بوجهين:

- **الوجه الأول:** أنها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمه: إذا تناول ضرع أمه يمتصه، ولهج الفصيل بأمه يلهج، إذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج.
- **الوجه الثاني:** أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا ولهوجا وألهج، يعني أولع به واعتاده أو أغري به، فثابر عليه، واللهج بالشيء الولوع به ³.

والمتمعن في أصل اشتقاق مصطلح اللهجة، وفقا لوجهيها (الأول والثاني)، يلحظ وجود العلاقة بين أصل الاشتقاق وطريقة النطق التي يتبعها الإنسان عن ذويه ومخالطيه، كالفصيل الذي يتناول اللبن من ضرع أمه، فيمتصه كما أنه حين يتعلم اللغة ويتعلق بها ويولع كمن يتعلق بشيء معين ويولع به. واللهجة هي لغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها ونشأ عليها، وقد أطلقت اللهجة على اللسان أو طرفه فهو آلة التحدث بها.

1- أخرجه الإمام أحمد في مسنده 197/5.

2- أخرجه الإمام أحمد في مسنده 175/2.

3- الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد ت 307 هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: علي حسين هلالى، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية، القاهرة 1927، ج6، ص54-55.

4-1- المفهوم الاصطلاحي للهجة:

تنهض اللهجة وفقا للتوصيف العلمي الحديث على « مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع، وأشمل، تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعها في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات»¹. إلا أن "عبد الغفار حامد هلال" ينحو صوب التعامل مع مصطلح اللهجة بوصفها « طريقة معينة في الاستعمال اللغوي، توجد في بيئات خاصة من بيئات اللغة»². وتكون بذلك عادات كلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة.

وعليه، فاللهجة وفقا لهذا التصور « شكل محلي للكلام يستعمل في محيط واسع، وإن كان من الممكن أن تصنف اللهجات إلى وحدات كبيرة على أساس من سماتها العامة»³. وبهذا تعتبر «اللهجات *dialects* مستويات للكلام تبعد إلى درجة كبيرة أو صغيرة على المستوى المعياري، ولكن يمكن التعرف عليها أحيانا بالرجوع إلى الأصول التاريخية باعتبارها تكون معها كلا موحدًا»⁴.

ومن ثم، تغدو اللهجة وفقا لهذا المبدأ خطابا جهويا متغيرا، « تختلف مميزاته الصوتية والفونولوجية، وكذا خصوصياته الليكسيكية، ونادرا المورفوسانتكسية عن اللغة المهيمنة، وهذا التغيير عموما ليس مختلفا إلى درجة انعدام التقاهم بين متكلمين لا يتكلمون إلا هذه اللهجة

1- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص16.

2- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993، ص33.

3- ماريو باي، أسس علم اللغة، 1998، ص69.

4- المرجع نفسه، ص 138.

الجهوية، وبين آخرين لا يتكلمون اللغة الوطنية أو لهجة أخرى من نفس اللغة»¹. ويستشف من القول، أن اللهجة شكل من أشكال اللغة لها نظام خاص على المستوى الإفرادي، والتركيبي، والصوتي، وتستعمل في محيط ضيق بالمقارنة مع اللغة نفسها، فاللهجات عامة ذات بيئة خاصة، تستخدم عادة في شؤون الحياة العادية، ولعل هذا ما يفسر تعدد لهجات اللغة الواحدة وتنوعها، إذ تختلف لهجات القرى بعضها عن بعض، كما نجد هذا الاختلاف قائماً بين لهجات البدو من جهة، ولهجات الحضر من جهة أخرى، «بل أن المدينة الواحدة تتعدد فيها اللهجات بتعدد الأحياء أو الحرف، فلغة الصيادين مثلاً تختلف عن لغة النجارين وعن لغة المثقفين، بل أن لغة الشعر تختلف عن لغة النثر بين المثقفين أنفسهم»². ومرد هذا إلى اختلاف البيئة، واختلاف شؤون الحياة التي تهم كل واحد منها.

وتتميز كل لهجة بصفات تجعلها تختلف عن اللهجة الأخرى، « وهذه الصفات تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي، ولكن لا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها، وفي معظم الأسس التي تخضع لها بنية الكلمات، وفوق هذا وذاك في تركيب الجمل»³.

ونخلص مما سبق، إلى أن اللهجة هي مجموع السمات اللغوية التي ينطق بها سكان بيئة معينة للتعبير عن أغراضهم، والتي تبدو واضحة في أصواتها ودلالاتها وتراكيبها، فيتميزوا بذلك عن غيرهم من اللهجات أو عن اللغة الأم، واللهجة بهذه الصفات اللغوية لا تتفصل تماماً عن اللغة الأم، فما لقوالب التي تنتظم فيها الاستعمالات المختلفة إلا أعراف تواضعت عليها أقوام سابقة بحسب الحاجة والأسيقة والأزمدة التي جاءت فيها⁴

1- عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الجغرافية في التراث، دار هومة، الجزائر، 2013، ص23.

2- محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللشعر والنثر، ص26.

3- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 17-18.

4- ينظر، ابراهيمي بوداود، أنثروبولوجيا اللغة بين المرام والإجراء، مجلة أبحاث، مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران 1- العدد 2، 2015

5- مفهوم العامية:

في خضم الحياة اليومية، يقبل الفرد على شتى المجالات، الأمر الذي يفرض عليه نوعاً من أشكال التخاطب والحديث في تعامله مع الآخرين، وهذا الحديث العادي الذي يجري على ألسنتنا عرف العديد من المصطلحات كاللهجة والعامية والدارجة¹. وكلها تصب في المعنى ذاته.

ومما لا مرأى فيه، أن ترافق الفصحى مع اللهجات ظاهرة عامة ومشتركة تتجلى في النسيج التواصلية لكل المجتمعات اللغوية، وفي ذلك يقر "مارسيل كوهين" قائلاً: « وحدة اللغة مطلقاً لا وجود لها بهذا المفهوم، حتى أفراد المجتمع اللذين يملكون لغة واحدة لا يستعملونها بنفس الطريقة في كل المقامات»². وعليه، تكون العامية اللغة التي أنشأها العامة لحياتهم اليومية، والدليل على ذلك أنها لغة البيت والشارع والسوق والمجتمع فهي لغة العامة جميعاً، لغة الأمي والمتعلم، لغة الفقير والغني، أي لغة كل الفئات الاجتماعية، لكنها تضم اختلافات لهجية ترتبط خاصة بالموقع الجغرافي³.

وعلى الرغم من أن العامية تمتاز بالمرونة والسهولة، فهي من إنشاء العامة تلك الطبقة البسيطة التي لا يشترط فيها مستوى تعليمي، بل والعامي هو ذلك الأمي، ذلك الحرفي، ذلك الطفل بل العامية هي قبل كل شيء اللغة التي يتعلمها المرء في مراحل الأولى. غير أن ذلك لا ينفي أن يكون للعامية نظامها اللغوي الخاص بها على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي كونها لغة تؤدي وظيفة التواصل بين الأفراد في مجتمع معين، وفي هذا السياق يرى عبد الجليل مرتاض أنه: « حتى العامية العربية التي فقدت جانباً من محاصيلها

1- ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، 3، 2008، ص36.

2-Cohen Marcel, Pour une sociologie du langage, Paris, Albin Michel, 1956, 1vol, 355p.

3- ينظر: سهام مادن، الفصحى والعامية، ص32-33.

النحوية والصرفية بفعل آثار العوامل الصوتية وعوامل أخرى لم تتغير بنيتها الوظيفية»¹، فالعامية وإن لحقت بها تغيرات ما على صعيد مستوياتها اللغوية، إلا أنها حافظت على عنصر التواصل بين أفراد البيئة اللغوية الواحدة.

ومن هنا، نصل إلى نتيجة مفادها أن الفصحى هي اللغة التي يصطنعها الناس في كتاباتهم الأدبية والعلمية، وفي مقالاتهم، وبحوثهم في الصحف والمجلات، وفي أحاديثهم في وسائل النشر والإعلام، أما العامية فهي اللغة أو اللهجة التي يتحدث بها الناس في حياتهم اليومية المعتادة للتعبير عن شؤونهم المختلفة، فهي بهذا تقابل اللغة الفصحى، وتصدق هذه الصفة على اللغات كلها، فليس في العالم لغة غير متشعبة إلى هذا المستوى من العامية والفصحى. والعامية لا تكون واحدة في الوطن نفسه، بل العامية تنتوع على مستوى التآديات (اختلافات لهجية) وهذا يعني أن العامية تتضمن عدة لهجات فمثلا العامية الجزائرية تنفرع إلى لهجات الشرق، الشمال، الجنوب، الغرب.

1- عبد الجليل مرتاض، العربية بين الطبع والتطبيع، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص186.

6-الدرس اللغوي العربي بين سلطة الفصحى وحضور اللهجة:

مما لا شك فيه، أن محاولة استبيان طبيعة الدرس اللغوي، تستوجب تقصي تجلياته بدءاً من مرحلة التدوين التي كانت مؤشراً فيصلياً، دفع إلى انتقال اللغة من محور التلقي الفطري إلى التلقي عن طريق التعلم والاكساب.

إن عملية التدوين التي تحولت من خلالها ثقافة التلقي لدى العرب، من الثقافة السمعية إلى البصرية، لم تكن مجرد تسجيل أو تقييد للغة المنطوقة فحسب، وإنما امتدّت لتغدو مشروعاً شمولياً ساهم في تكريس معيارية الفصحى من جهة، وبعث «إمكانات البحث المتنوع والغني في شتى مجالات اللغة بهدف الحفاظ عليها من الانحلال والانحراف اللذين مساهما بفعل اللحن، وكذا تنوع مجالات اشتغالها خدمة للنص القرآني»¹.

ومن المعروف، أن العرب كانوا أمة امتدت حدودها الجغرافية على القبائل التي شملت أنحاء الجزيرة العربية، وكان لكل قبيلة استقلالها وكيانها الخاص، فأدى ذلك إلى انعزالها، فكان أن نشأت اللهجات العربية القديمة، وفي العصر الجاهلي تمسكت كل قبيلة بصفات الكلامية في حديثها العادي وفي لهجات التخاطب، لكن الخاصة من الناس من تلك القبائل لجأوا إلى اللغة المشتركة في مواقف الجد، يخطبون بها وينظمون بها أشعارهم، حتى إذا عادوا إلى قبائلهم تحدثوا مع الناس في شؤونهم العامة بمثل لهجتهم.

وفي عصر التدوين، انصبت جهود علماء اللغة على اللغة المشتركة (الفصحى)، قصد جمعها من مصادرها الموثوقة والوقوف على أسرارها، ومحاولة ضبطها وتقييدها، وقد أخذوا مادتهم اللغوية عن طريقين، أولهما: الرحلة إلى البادية والاستماع إلى أهلها الذين سلمت

1-مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفوننتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص05.

ألسنتهم من اللحن لعدم اختلاطهم بالأعاجم وغيرهم من أبناء الأمم الأخرى، وثانيهما: الأعراب الذين عدوهم فصحاء وكانوا يفتدون إلى البصرة والكوفة.

فقد انطلقت عملية جمع اللغة وتقعيدها وتدوينها خوفاً من انحلالها وذوبانها، «وعلّة ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخلل، ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم لم يعترض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ منهم كما يؤخذ من أهل الوبر»¹.

والواقع، أن هناك ظروفًا أملت على علماء اللغة هذه الطريقة من الجمع وهي أن «اللغة العربية آنذاك كانت تكتب بدون نقط، وكانت ما تزال تكتب بدون حركات، فكلمة "تبغ" وهي كلمة كتابية، يمكن أن تنطق إما "تبغ" وإما "تبع" وإما "تبغ" وإما "بيع"... فيؤكد من خلال هذا المثال أن اللغة العربية لم يكن جمعها إلا من الكلام المنطوق لا المكتوب، فكانت لغة الأعراب هي المطلوبة وحدها لتفي بالغرض»².

في ظل هذا التوجه، ولما كانت جهود العلماء منصبة على اللغة المشتركة، ألفينا الاهتمام بأمر اللهجات مهملاً، إذ لم يرد عنها إلا القليل في ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ، بل إن ما روي عنها جاء مبتوراً ناقصاً في معظم الأحيان، لا يعدو أن يكون مجرد إشارات متفرقة هنا وهناك، لا يمكن أن تصنع فكرة كاملة عن اللهجات وعن تاريخها.

وانطلاقاً من هذه الرؤية، باشر الرّواة في عملية التدوين، عبر الأخذ من القبائل الفصيحة، إذ ما لبثوا أن يفرقوا بين القبائل من حيث معيار الفصاحة، فغدوا ينسبون الفصاحة لبعض القبائل وينكرونها عن الأخرى، حتى أنهم بالغوا في الاعتزاز بكل ما يأخذ

1- ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دت، ج1/ص405.

2- ينظر: محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1983، ص85.

عن القبائل البدوية وإن كان مخالفا لما جاء به القرآن الكريم والآثار الأدبية في الجاهلية وصدر الإسلام، « ذلك لأنهم لم يفرقوا بين اللغة الأدبية التي جاء الإسلام فوجدها موحدة ذات خصائص متميزة، وبين لهجات التخاطب التي اشتملت على الصفات الخاصة للقبائل»¹. مما أدى إلى تعدد أوجه ابتناء قواعد اللغة العربية وتعدد وجوهها.

ولعل السبب في ذلك، يرجع إلى ذلك الدور الذي لعبته السياسة العباسية في تأجيج الصراع العلمي بين مدرستي البصرة والكوفة، فقد انتصر العباسيون للكوفيين في غالب الأحيان، وبلغ التنافس بين أنصار المدرستين ذروته في عصور تدوين اللغة، « إذ أن المعطيات والصراعات والتناقضات التي عرفها عصر التدوين هي المسؤولة عن تعدد الحقول الإيديولوجية والنظم المعرفية، وكذا تعدد المقولات وصراعاتها في العقل العربي»².

ويتجلى الفرق بين المدرستين في المنهج المتبع في الجمع والرواية، فقد انصرفت رؤية البصريين صوب الالتزام بوضع قواعد أساسية تلتزم بها في مشروع تدوين اللغة العربية، وتماشيا مع هذا المسعى، آثار البصريون « أن يهدروا الشواذ، فإذا ثبتت صحتها قالوا إنها تحفظ ولا يقاس عليها... فخطئوا بعض العرب في أقوالهم إذا لم تجر على القواعد، وإذا رأوا لغتين، لغة تسير معه لا تسير عليه، فضلوا التي تسير عليه وضعفوا من قيمة غيرها»³.

ولئن كان البصريون لم يأخذوا إلا من قبائل معينة وتجنبوا الأخذ من القبائل التي فسدت ألسنتها، بغض النظر إلى نوعية الخطاب المستعمل في هذه القبائل أكان يندرج ضمن اللغة الفصحى أم لهجات الخطاب اليومي، فإن الكوفيين اختاروا سبيل الأخذ عن كل القبائل العربية، ولذا تراوحت قواعدهم بين نظرة محافظة متشددة، وأخرى واسعة متحررة،

1- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 48.

2- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ص 71.

3- أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ط 1997، ج 2/ص 294-295.

وضمن هذا المعطى يروي السيوطي: « الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا، فيه جواز شيء مخالف للأصول، جعلوه أصلا، وبوبوا عليه بخلاف البصريين»¹.

إزاء هذا الطرح، يرى الجابري أن « الهروب من اللحن إلى لغة "الأعراب الأقحاح" قد أدى إلى ترك الحرية لـ "اللحن" يصنع لغة التعامل، لغة الحياة، اللغة اليومية، في حين أدى تحصين العربية الفصحى إلى تثبيتها في مرحلة بدائية فقيرة، مرحلة ما قبل تاريخ العرب»². مما أدى إلى اتساع الهوة بين لغة النطق ولغة الكتابة.

في ظل هذا الزخم، وحتى يتسنى لنا الوقوف على طبيعة الإفراس المعرفي للدرس اللغوي ومدى تأثير الفصحى واللهجات العربية في صياغة ملامحه، ينبغي استبيان واقع اللغة العربية قبل عصر التدوين.

1- السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين، ت 911هـ)، الاقتراح في أصول النحو، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط2، دت، ص89.

2- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ص88.

7- واقع اللغة العربية قبل عصر التدوين:

لقد كانت الجزيرة العربية قبل الإسلام تموج بشتى اللهجات المتباينة التي تتمايز فيما بينها على الصعيد الصوتي والتركيبى والدلالي، إلا أن اللغويين العرب لم يصفوا لنا تلك اللهجات العربية القديمة، وصفا دقيقا كاملا في كثير من الأحيان، وذلك لانشغالهم في المقام الأول بالعربية الفصحى، تلك اللغة الأدبية المشتركة بين جموع القبائل العربية، والتي كانوا يستخدمونها في مواقف الجد من القول، وينظمون بها أشعارهم، ثم شرفها الله تعالى، فأنزل كتابه الكريم بأعلى ما تصبوا إليه هذه اللغة من فصاحة وبلاغة، ومنذ ذلك الحين، ارتبطت هذه اللغة بالقرآن الكريم، واجتهد اللغويون والنحاة في دراستها، وتحديد معالمها.

وبالرغم من أن المسعى الأساسي لعلماء اللغة انساق صوب ضبط معالم اللغة الأدبية (الفصحى)، فإن هذا الوضع لا يعني انعدام اللهجات العربية في سياق الطرح اللغوي التراثي، إذ ما انفكت المصادر القديمة تشير إلى مقتطفات مبتورة عن تلك اللهجات العربية القديمة، مسندة إلى أصحابها حيناً وغير مسندة حيناً آخر ومختلطة بالفصحى بعض الأحيان، حيث تمتلئ المصادر العربية القديمة بالحديث عن كثير من خصائص هذه اللهجات القديمة، كحفحة هذيل، وعنعة تميم، وتلتلة بهراء، « وإن من يتأمل هذا الذي روي لنا عن اللهجات القديمة، في بطون المصادر العربية، يخرج بنتيجة واضحة وصريحة، وهي أن ما نراه الآن في لهجاتنا الحية المعاصرة، ليس في بعض ظواهره إلا امتداد لهذا الذي روي لنا في القديم»¹.

1- رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1980، ص264-265.

8- ألقاب اللهجات العربية وصفاتها:

1. الكشكشة: وهي إبدال كاف الخطاب في المؤنث شيئا في حالة الوقف، وبعضهم يثبتها في حال الوصل، قال سيبويه: « فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد، فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف لأنها ساكنة في الوقف، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث»¹.
2. الكسكسة: تتبدى الكسكسة من خلال إبدال كاف المخاطبة شيئا، كما اقتصر بعضهم على القول بأنها زيادة سين على كاف المخاطبة في الوقف².
- وتنسب ظاهرة الكسكسة إلى قبيلة بكر، وأيضا إلى قبيلة هوزان، وعن الفراء أنها تعزى إلى قبيلة ربيعة ومضر أما صاحب تاج العروس فينسبها لتميم لا لبكر³.

ومن شواهدهم على هذه الظاهرة في الشعر قول مجنون ليلي (من الطويل):

عَيْنَاشَ عَيْنَاهَا وَجِيدِشَ جِيدَهَا وَلَكِنَّ عَظْمَ السَّاقِ مَنْشٍ رَقِيقٌ⁴.

3. الشنشنة: هي تحويل « الكاف شيئا مطلقا كلبيش أي "لبيك"، وهذه الظاهرة الصوتية موجودة في لغة اليمن، وقيل أيضا: عند التغلبيين الذين يشنشنون»⁵.

4. الثلثة: التحريك، والإقلاق، والزعزعة، والزلزلة، وفي الاصطلاح: هناك خلاف بين علماء اللغة في تعريفها، فمنهم من قال أنها كسر تاء المضارعة، ويرى الحريري أنها كسر أحرف المضارعة مطلقا، ويرى شهاب الدين خفاجي أن بني الأخيل يكسرون

1- سيبويه، (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت 180)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، ج4/ص200.

2- ينظر: بن الأثير (مجد الدين)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تقديم: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، السعودية، 2000، ج4/ص174.

3- ينظر: عصام نور الدين، محاضرات في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ص111-112.

4- ابن جني، سر صناعة إعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث القديم، بيروت، ط1 ج6/ص206.

5- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد، ت328هـ)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982. ج2/ص475.

حروف المضارعة ما عدا الياء، ويرى ابن يعيش أنها خاصة بالفعل إذا كان على وزن فعل، يفعل وينسبها بعض العلماء إلى قبيلة البهراء، وقد عزاها صاحب اللسان إلى كثير من القبائل العربية فقال: « وتعلموا بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة، وعامة العرب وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوزان وأزد السراة، وبعض هذيل يقولون: تعلم، والقرآن عليها، وزعم الفراء: أن النون في نستعين، مفتوحة في لغة قريش، وأسد وغيرهم يكسرها»¹.

5. الطمطمانيّة: وهي إبدال لام التعريف ميما، فيقال: طاب أمهواء وصفا أمجوّ، أي طاب الهواء وصفا الجو، وجاء في الحديث الشريف: "ليس امبر امصيام في أمسفر" أي "ليس البر الصيام في السفر"²، وتتسب هذه الظاهرة اللهجية إلى حمير، وإلى طيء والأزد³.

6. العننة: وتتمثل في إبدال العين من الهمزة المفتوحة، وقد نسب بعض العلماء العننة إلى تميم خاصة ومنهم الخليل ابن أحمد، والأصمعي، وابن فارس، وابن جني، وجعلها ابن دريد في تميم ومن يليهم، وينسبها بعضهم إلى تميم وقيس وأسد⁴.

7. الفصححة: وهي جعل الحاء عينا، وقد جاء في اللسان أن هذيلًا وثقيفا تقولان: عتي في حتى كما روي ذلك في قراءات ابن مسعود، وبحثر ما في القبور في بعثر ما في القبور، وفي قول تميم محهم في معهم، وأعهد في أعهد.

1- ابن منظور، لسان العرب، ج20/ص383.

2- ثعلب (أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب)، مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط2، 1960، ج1/ص73.

3- ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص188.

4- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطور، ص171.

وتفسير ذلك صوتياً: مرجعه إلى التأثير الصوتي لمجاورة صوت العين المجهورة وهي ساكنة، لصوت التاء والحاء المهموستين¹.

8. العججة: هي إبدال الياء المشددة والمخففة جيما، فيقولون في تميمي تميمج، وكذلك الياء المخففة الواقعة بعد العين: مثل الراعج خرج معج في قولهم: الراعي خرج معي، وقال ابن فارس: وكذلك الياء المشددة تحول جميعاً في النسب: يقولون: بصرج، وكوفج².

9. الوقر: قلب السين تاء عند أهل اليمن فيقولون في الناس "النات" وفي الأكياس "الأكيات"³.

10. الوكر: كسر كاف الخطاب في الجمع متى كان قبلها ياء أو كسرة، فيقولون: السلام عليكم بكسر الكاف، وعليكم وبك، وتنسب هذه الظاهرة إلى ناس من بكر بن وائل، كما تعزى إلى ربيعة وقوم من كلب⁴.

11. الوهر: كسر هاء الغيبة المتبوعة بميم الجمع مطلقاً، والفصح أنها لا تكسر، إلا إذا كان قبلها ياء أو كسرة، فيقولون في: منهم وعنهم، وبينهم: منهم، وعنهم، وبينهم، وتنسب ظاهرة الوهم إلى بني كلب، أما سيبويه فقد نسبها إلى ربيعة، فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء، أو كسرة، واعلم أن قوماً من ربيعة يقولون: منهم، أتبعوها الكسرة ولم يكن المسكن حاجزاً حصيناً عندهم وهذه لغة ضعيفة⁵.

1- ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص211.

2- ينظر: ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت395)، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، 1964، ص37.

3- السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين السيوطي)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، (د ت)، ج1/ص222.

4- المرجع نفسه، ج1/ص222.

5- ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/ص195.

12. الاستطاء: وهو جعل العين الساكنة نونا إذا جاوزت الطاء وهو "أنطى" بدلا من أعطى، ومن شواهدة: "إذا أنطيناك الكوثر" كم قرئ ذلك في اللغة الشاذة. وفي الحديث: "لا مانع لما أنطيت، ولا منطى لما منعت" وحديث: اليد المنطية خير من اليد السفلى¹.

وتنسب هذه اللغة إلى سعد بن بك، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار، كما روي أنها لغة اليمن.

13. القطعة: وهي قطع الكلام قبل تمامه، قال الخليل: "والقطعة في طيء كالعننة في تميم، وهي أن تقول: يا أبا الحكا، وهو يريد يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن إبانة بقية كلامه"².

والقطعة قد تكون: ³

أ- في وسط الكلمة، كقولهم "منا، منازلها".

ب- كما قد تكون نتيجة اتجاه بعض القبائل العربية إلى نطق أواخر الكلمات المنتهية بـ: /ميم/، أو /نون/، أو /لام/، أو /فاء/، أو /باء/، أو /راء/، نطقا ضعيفا حتى يتهيأ للسامع أنها محذوفة، بل قد تجنح بعض القبائل إلى حذفها فعلا عند الكلام المتصل السريع.

14. اللخلخانية: حذف بعض الحروف اللينة وفيها قال الثعالبي: "اللخلخانية تعرض في لغات أعراب الشحر وعمان، كقولهم: مشا الله كان، في ما شاء الله كان"⁴. والتفسير

1- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج5/ص76.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، العين، تحقيق: عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، 1967، ج4/ص404-405.

3- راين تشام، اللهجات العربية القديمة، ترجمة: عبد الكريم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002، ص344.

4- الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، دار الحياة، بيروت، 1980، ص173.

الصوتي للظاهرة هو انتقال النبر الثاني في هذه الجملة، والحركات الطويلة تعاني

التقصير، بسبب تحول النبر عنها، كما هو مشاهد في تطور اللغات¹.

15. الغمغمة: ظاهرة صوتية « ناتجة عن سرعة التلفظ بأصوات الكلمات، وعدم تمييز

هذه الأصوات بعضها من البعض في كلمة واحدة أو في كلمات الجملة»².

16. الضجج: الإمالة وهي تقريب الألف من الياء، والفتحة من الكسرة، وتسمى الكسر لما

فيها من إمالة إلى الكسر، والبطح والإضجاع، وتسمى الكسر لما فيها من الإمالة

إلى الكسر والبطح لما فيها من بطح الفتحة إلى الكسرة، والفتح هو الأصل، والإمالة

فرع عليه. وتنسب ظاهرة التضجع إلى قيس وتميم وأسد وعامة أهل نجد³.

17. تسهيل الهمز: الهمزة صوت شديد وهو صوت مجهور، لأن فتحة المزمارة معها مغلقة

إغلاقاً تاماً، ولأشك أن انحباس الهواء عند المزمارة انحباساً تاماً، ثم انفراج المزمارة

فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضلي مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات⁴.

ولذا ألفينا العرب تختلف فيما بينها من حيث نطقها والتمسك بها في كلامهم، «فوجدنا

منهم من يحققها، ووجدنا من يخففها بإبدالها بحرف من جنس حركة ما قبلها، أو جعلها بين

بين، أو حذفها، والهدف من ذلك هو التخفيف في الصوت القوي، بتحويله إلى أصوات لين

ليمكن نطقها بيسر وسهولة»⁵.

1- ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص 151.

2- عصام نور الدين، محاضرات في فقه اللغة، ص 145.

3- ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد السلام هارون، وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975، ج 2/ ص 204 .

4- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1981، ص 90.

5- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، ص 10.

وينسب التسهيل إلى قبائل شمال الجزيرة وغربها، وقد ورد من كلام أبي زيد الأنصاري أن أهل الحجاز وهذيل، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، أما القبائل البدوية الواقعة في وسط الجزيرة وشرقها كتميم وما جاورها فكانت تنبر في كلامها، وقد استعاضت القبائل الحضرية عن المبالغة في تحقيق النبر إلى التسهيل والإبدال والإسقاط¹.

ويتبدى لنا مما سبق، أن العرب كانت تتكلم لغة مشتركة وهي الفصحى، في مواضع الجد من القول، وفي نظم الشعر، وفي صوغ الحكم، والأمثال، والخطب، وكانوا يتكلمون لهجات عديدة بتعدد القبائل العربية، وذلك في شؤونهم الخاصة، وأمورهم الحياتية، « وأما اللغة العربية التي نعرفها اليوم، فقد وصلت إلينا في صورة أدبية حيناً، وصورة شعبية حيناً آخر، أما الصورة الأولى، فإنها تتمثل فيما نسميه باللغة العربية الفصحى، أما الصورة الثانية، فلم تصل إلينا منها أعمال متكاملة وإنما نلاحظها فيما روي لنا في بطون اللغة والنحو والأدب، متناثراً عن لهجات القبائل العربية الخاصة بها»².

نشأت هذه اللغة المشتركة، ونمت وازدهرت قبل مجيء الإسلام، و« أقدم ما نستطيع تصوره في شأن شبه الجزيرة العربية هو أن نتخيلها وقد انتظمتها لهجات محلية كثيرة، انعزل بعضها عن بعض، واستقل كل منها بصفات خاصة، ثم كانت الظروف التي هيئت لبيئة معينة، في شبه الجزيرة فرصة ظهور لهجتها ثم ازدهارها، والتغلب على اللهجات الأخرى»³. وهذا يعني أنه قد طرأت عوامل مختلفة، حملت أهل هذه اللهجات على التقارب والاختلاط، فأدى ذلك إلى نشأة اللغة المشتركة التي يتقاهم بها الناس جميعاً.

1- محمد سالم المحيسن، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، 1/ ص 85 .

2- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص 108.

3- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 33-34.

ومن هذا المزيج نشأت اللغة المشتركة، التي تعضدت أركانها إثر العامل الاقتصادي، الذي كان له الأثر البالغ في تكوين اللغة المشتركة، فقد كان أهل مكة «تجاراً، ينتقلون بتجارتهم إلى أماكن مختلفة، ويرتحلون بها إلى اليمن في الشتاء، وإلى الشام في الصيف، ولا يستقرون في مكان إلا بمقدار الزمن، الذي يحدده لهم البيع والشراء، هذا النشاط التجاري الضخم قد أتاح لهم الغنى والشراء ومن ملك المال واحتضان الدين، فقد تحقق لهم سلطان سياسي قوي»¹، فأصبحوا بذلك أكثر حضارة وأقوى نفوذاً من غيرهم.

بالإضافة إلى ذلك، كانت هذه الأسواق ملتقى لندوات أدبية لشعراء العرب وخطبائهم، يلقي فيها الشعراء أروع ما أبدعت قرائحهم، «وكان سوق عكاظ أشهر هذه الأسواق التي تظل عامرة بلقاء الأدباء قرابة شهرين متتاليين، وكانت عكاظ قريبة من مكة، مما جعل أهلها يختلطون بهؤلاء الوافدين ويسمعون منهم شعرهم وخطبهم، وفي هذه البيئة نبتت البذرة الأولى للغة مشتركة بين القبائل العربية جميعاً»².

ومن خلال العاملين الديني والتجاري، اكتسبت مكة نفوذاً سياسياً وسلطاناً قوياً، «هذا النفوذ السياسي أهل لغة قريش أن تأتي في مقدمة لغات العرب ولهجاتهم ولتصبح هي اللغة المشتركة لجميع قبائل العرب، ثم نزل القرآن الكريم بلغة قريش التي كانت قد أصبحت لغة العرب الفصحى فزادها نموًا وازدهاراً وأكسبها مهابةً وتشريفًا»³.

1- رمضان عبد التواب، فصول فقه العربية، ص 89.

2- حسام البهنساوي، اللغة العربية الفصحى ولهجاتها، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 1988، ص 38.

3- المرجع السابق، ص 47.

9- تأثير اللهجات العربية في صياغة المقولات اللغوية التراثية:

مما لا شك فيه، أن اللغة بوصفها نسيجاً من المفوض المعبر عن جملة المعاني التي تتشكل في ذهن الإنسان يستمدّها من بيئته ومحيطه حيث لا يتعدى المعبر عنه حدود القدرة المعرفية والإدراكية للمتكلّم، حيث تصبح اللغة قرينة ومعيّاراً نصور من خلاله المكون الثقافي لذات المتكلّم¹، فإن الاختلاف الحاصل في لهجات القبائل العربية في البدء، كان انعكاساً طبيعياً لاختلاف ثقافتهم نتيجة تأثرهم وتلاقحهم بالثقافات الأخرى الوافدة من الشام وبلاد فارس والروم، فجاء انبعاث الدراسات اللغوية العربية التراثية، خشية على ملفوظ النص القرآني من الزلل والانحراف نتيجة اللحن الذي تقشّى بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول الأعاجم إلى الإسلام، ولذلك عكف علماء اللغة على وضع ضوابط تعين على تقنين المنظومة اللغوية العربية.

ولما كان الأمر كذلك، فإن شروط الضبط وتقنين اللغة العربية، استوجبت الانغلاق على اللسان العربي، وهو ما حتمّ على علماء اللغة الاكتفاء بالإمدادات التي تمنحها لغة القرآن الكريم.

إن المتأمل في نسق ابتناء الأطروحات الصوتية التراثية، يلحظ أن علماء اللغة القدماء قد باشروا صياغة منظومتهم الصوتية على أساس الامتثال لمعطيات النظام الصوتي المستقى من اللسان العربي، باعتبار الصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، فاللغة في جوهرها وكنهها أصوات ذات حمولة معنوية، لا يستطيع الدارس الوصول إلى آثرها الدلالية، إلا بدراسة تشكيلات البنية الصوتية². ومن هنا، فقد استهل

¹ - إبراهيم بوداود ، القرينة اللغوية بين الهوية والاعتراق - دراسة انثروبولوجية - مجلة مطارحات في اللغة والأدب، المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان - العدد 04، ديسمبر 2015.

² - ينظر، بن شيحة نصيرة، أسلوبية البناء الصوتي في الخطاب الشعري المعاصر، محمود درويش أنموذجاً، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس، 2012-2013، ص 14.

القدامى مدونة التقعيد للغة العربية بالمبحث الصوتي، ارتكازا على معيارية الخطاب القرآني، وكذا الاسترشاد ببعض التأثيرات اللهجية للقبائل العربية، ولهذا ألفيناها تنهض على ثنائيات من قبيل الأصل والفرع - الأصل والشاذ.

إن المطلع على كتب القدماء يلحظ اختلاف وجهات نظر العلماء إلى لغات القبائل من حيث الجودة والرداءة من جهة، ومن حيث مواقع الفصاحة من جهة أخرى، كما أنه من خلال مؤلفاتهم نظروا إلى العربية الفصحى نظرة تمجيد وذلك لأنها لغة القرآن، فنالت حظا وافرا من دراستهم، قلما حظيت به لغات القبائل، فحصروها في القبائل التي رأوا أنها فصيحة ورفضوا الأخذ عن غيرها لمجاورتها للأعاجم واحتمال تأثرها بهم.

كما ذهب علماء العربية القدامى إلى أن الفصحى هي لغة قريش، ذلك أن قريشا في نظرهم أفصح العرب وأصفاهم لغة بفضل ما تجّمع لديها من رقة اللسان، وبعد عن الألفاظ الموحشة وبفضل ما اختارته من لهجات القبائل، وفي هذا الصدد يقول ابن فارس (ت 941): « أجمع علمائنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاها لغة، وذلك أن الله - جل ثناؤه - اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، فجعل قريشا قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائرهم وسلاتقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب»¹.

وقد حاول العلماء تحديد زمان ومكان الفصاحة بمشاهدة العلماء للقبائل العربية في البادية في فترة ازدهار دراسة اللغة، وذلك بقيام العلماء من الرواة والدارسين بالارتحال إلى الأعراب في موطنهم، ثم توافد الأعراب على الحضر قصد أخذ اللغة عنهم.

1- ابن فارس، صاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص 52.

وقد أورد الفراهيدي نصه الذي حصر من خلاله رقعة الفصاحة، وهو ما يتبدى من خلال قوله: « ومن الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمهم، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يأخذ عن الحضر قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم التي حولهم»¹.

وكذلك فاضل العلماء بين اللهجات أو كما كانوا يسمونها لغات، « فقد كانوا يستحسنون بعضها ويستقبحون البعض الآخر، ويصفونها بالعلو والسمو أو الأقوى فصاحة كما يصفون البعض الآخر بالقبح أو الرداءة أو الفساد ويعبرون عنها بقولهم: "لغية" لما يشعر بتصغير أمرها وتحقير شأنها»²، وفي كتاب سيبويه نجد إشارات واضحة إلى هذه اللهجات كأن يقول: « قوم من العرب، أو ناس من العرب، أو بعض العرب الموثوق بهم، إلى غير ذلك، وسيبويه يصف اللهجة أحيانا بأنها جيدة وأحيانا أخرى بأنها رديئة أو رديئة جدا، أو ضعيفة أو قليلة خبيثة»³.

ومن الواضح أن نظرة النحاة للصلة بين الفصحى واللهجات قد انعكست بعض تجلياتها في دراسة النحو العربي، فقد ترتب على هذه النظرة اضطراب الدراسة، ففي المسألة الواحدة وجوه، ولكل وجه توجيه، وتجد هذه الوجوه والتوجيهات سندها في اللغات واللهجات، « ولو أعطى النحاة اللهجات حقها من الدرس لأراحونا من كثير من تأويلاتهم النحوية التي تبعد عن الفهم الصحيح للظاهرة اللغوية»⁴.

غير أننا نجد ابن جني قد نحى منحى آخر في نظريته إلى لهجات القبائل العربية، فكانت عنايته واضحة باللهجات، إذ صرح في خصائصه في باب اختلاف اللغات وكلها

1 - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص 19 .

2- محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللشعر والنثر، ص 79-80.

3- عبد الغفار حامد هلال: اللهجات العربية، ص 108 - 109.

4-عبد الرزاق: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص 37-38.

حجة بقوله: « ليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتهما، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها»¹، وفي موضع آخر يقول ابن جني: « رويت عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما: الصقر بالسين، وقال الآخر الصقر بالصاد، فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه، فقال لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر، أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها»². وهكذا تتداخل اللغات بأن تأخذ كل لهجة من غيرها من اللهجات.

ويتضح من خلال القولين أن ابن جني لم يكن رافضا للهجات وعدها حجة، وأجاز بذلك استعمال اللهجات جميعا. لكنّ ابن جني لم يترك كلمته من دون تقييد، لأنّه إذا مضى الناس على قوله لما بقيت لغة أدبية موحّدة بين العرب ومن القيود التي ذكرها ابن جني ما يلي:

- أ- أن تكون اللهجات في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين، أو كالمتراسلتين وذلك أن تختار إحدهما على الأخرى لقوة في القياس تعتقدها في التي تختار.
 - ب- أن تكون إحدى اللهجتين قليلة الاستعمال والثانية شائعة، كثيرة الاستعمال، وحينئذ ينبغي أن نستعمل ما شاع استعماله، وتتجاوز ما كان استعماله قليلا.
 - ج- أن يكون استعمال اللهجة في شعر أو سجع.
- وإذا تحقق هذا ف «لا حرج في استعمال ما ثبت ضعفه لقلّة استعماله، وليس لأحد أن يعترض على الشاعر أو السّاجع لاستعماله اللهجة الضعيفة لأنّ الشعر والسّجع مظنة الحاجة إلى ذلك»³.

1- ابن جني، الخصائص، ج2، ص104.

2- المصدر نفسه، ج1 / ص374.

3- المصدر السابق، ج2 / ص12.

وممن اهتموا بدراسة اللهجات من المتقدمين ابن خلدون في مقدمته، إذ وقف على الفروق اللغوية بين الفصحى واللهجات، ووصف اللغة التي كانت دارجة في عصره بأنها لا تعتمد على الإعراب، وغيره من صفات العربية الفصحى، وقد عقد ابن خلدون فصلاً خاصاً بتلك اللغة أسماها "فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير"¹ أراد من خلاله توجيه دراسة اللغويين إلى اللهجات من أجل استخلاص قوانينها.

وفي هذا الفصل، عرض ابن خلدون للغة مضر وتدوين العلماء لها ولقواعدها، ووضع مقاييسها، واستنباط قوانينها، ونتج عن ذلك علم مقنن ذو أبواب وفصول ومقدمات ومسائل، سمي فيما بعد بعلم النحو، ومما أورده ابن خلدون في وصف اللغة الأخرى، وهي اللهجة العامية التي كانت سائدة في عصره: « ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد، واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابية في دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه، فيتمكن الدارسون من استخلاص القواعد الخاصة بهذه الأمور الموجودة في اللهجات كما استخلصت قواعد الإعراب من العربية الفصحى»².

ونستشف مما سبق، أن علماءنا الأوائل كرسوا جهودهم لدراسة اللغة العربية الفصحى وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم فكان الداعي إلى حفظه من اللحن وضبط قواعده التي تصون لغته من الزيغ أن دعاهم ذلك إلى تحديد الرقعة المكانية والزمانية للفصاحة، فتوجه اهتمامهم للغة قریش (اللغة الرفيعة المشتركة) دون سواها من اللغة العربية، فأضحت البحوث والدراسات منحصرة فيها لا تتجاوزها إلى غيرها إلا بما يخدم بعض قضاياها.

1- ينظر: ابن خلدون: المقدمة: تحقيق عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط2014، ص1329.

2- المصدر نفسه، ص1329.

9-1- علاقة اللهجات العربية بالقراءات القرآنية:

يعمد كثير من اللغويين إلى الاتكاء على كتب القراءات في دراساتهم وأبحاثهم اللهجية، ذلك أن « القراءات القرآنية مرآة صادقة تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدا في شبه الجزيرة العربية آنذاك، فمنهج علم القراءات في طريقة نقل اللهجات تختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي ثم يعرضه على جبريل، ثم يقرأه على الصحابة ويقرؤون عليه، وعلى ضوء هذا المنهج سار أصحاب القراءات، فالقراءة لا تكتفي في نقل بالسماع بل لا بد من شرط التلقي»¹. وهذا، يدل على أن جل المقولات التي تم صياغتها في ظل علم القراءات، قد تمخضت عن اختلاف اللهجات بين قبائل العرب، حيث تم الأخذ بهذا الملمح بتسيير قدرات القبائل وما يدخل في إمكانها من عادات نطقية خاصة، وقد ظهر أثر هذه اللهجات في قراءة القرآن الكريم فيما أوضحته بعض الأحاديث من صحة القراءة باللهجات العربية المتعددة والحديث الذي رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي بن كعب واضح في هذا الصدد "أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ"².

وعلى الرغم من الخلاف القائم حول العدد والاختلاف في تفسير الحديث، فإن ذلك لا يؤثر في الدلالة التي تفهم من الحديث، وهي أن القراءات لتعدد اللهجات بين قبائل العرب، ومدى مقدرتهم على نطق اللغة المشتركة متأثرة بهذه اللهجات، « وأن هذه اللهجات كانت آثارها بارزة في القراءات القرآنية التي جاءت تيسيرا على الناطقين المسلمين في جميع الأمكنة والأزمنة، فالعرب كانوا يقرأون بلحونهم على تنوعها واختلافها: من تحقيق الهمز،

1- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص82.

2- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، ص106.

وتخفيفه، والمد، والقصر والفتح والإمالة والإظهار والإدغام، وضم الهاء وكسرها من عليهم وإليهم، واستعمال الكلمات على أوجه مختلفة كبرى وبراءة، وسرى وأسرى»¹.

ويرى الرافعي أن « المراد بالأحرف السبع اللغات التي تختلف بها لهجات العرب حتى يوسع على كل قوم أن يقرؤوه بلغتهم، وما كان العرب يفهمون من معنى الكلام في هذا العدد وخاصة فيما يتعلق بالإلهيات، كالسماوات السبع، والأراضي السبع، والسبعة أيام التي برئت فيها الخليفة، واللغات التي نزل بها القرآن غير لغة قريش هي: لغة بني سعد ابن بكر الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم مستعرضا فيها، هي إحدى لغات العجز من هو زان. ثم لغات جثم بن بكر، ونصر بن معاوية وتثقيف وأولئك هم أفصح العرب جملة، ثم خزاعة وهذي وكنانة وأسد وضبة، وكانوا على قرب من مكة يكثر التردد إليها، ومن بعدهم قيس ومن جاورهم في وسط الجزيرة»².

وإذا كانت القراءات القرآنية هي المقام الأول والرئيسي المعتمد في معرفة اللهجات، وجب الاعتماد على كل أنواع القراءات صحيحها وشاذها، فالقراءات الصحيحة ليست كل القراءات التي كان يقرأ بها المسلمون الأوائل لكنّها المشهورة. يقول السيوطي: « كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به سواء كان متواترا أم أحاد أم شاذ، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية، إذ لم تخالف قياسا معروفا بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه»³.

ويرى "عبده الراجحي" أنه بإمكاننا الاعتماد على القراءات صحيحها وشاذها في معرفة اللهجات العربية، واقترح منهاجاً لذلك يتضح في قوله: « لكننا نتبع منهاجاً آخر، وهو أن

1- المرجع السابق، ص 93 .

2- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة رحاب الجزائر، ط8، ص82.

3- السيوطي جلال الدين، الاقتراح في أصول النحو، ص17.

نجمع هذه القراءات من مظانيها، ونخرج منها ما نراه ممثلاً للهجة من اللهجات. ونعزو هذه اللهجات إلى قبائلها، ونبحث عما يؤديها في المصادر الأخرى من اللغة والأدب»¹، وذلك من أجل دراسة اللغة العربية دراسة علمية صحيحة.

فتلاحم القراءات القرآنية بالأصوات العربية وائتلافها واللهجات تلاحم وطيد، كما رأينا فيما علله ابن قتيبة لاختلاف القراءات واللهجات. وما وصفوه من ضوابط للقراءات باللهجات العربية، ومن بينها أن تكون القراءة موازية للعربية ولو بوجه، وهذا ما يؤكد صحة القراءات باللهجات العربية على تنوعها، مما دفع المسلمين لحفظ تراثهم، وهو القرآن الكريم كونه دستورهم، وهذا يعني إتقان النطق الصحيح لحروفه. فالتحري والدقة لهما أهمية كبرى في صيانة القرآن الكريم وحفظه على مرّ العصور.

وتلك الإجابة في النطق تبعد المسلم عن الوقوع في الخطأ والتّحريف ودون ذلك، وذلك لا يأتي إلا بالتّلقّي والمشافهة وفق قواعد مرسومة متلقاه عن أئمة القراءة المتّصلة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأيُّ بعد عن هذا المنهج يعدّ عدولاً وخروجاً عن القراءة الصحيحة، ولحنا يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في الإثم والظلال.

ومن هنا، قامت مآثر علم التّجويد على أساس وصف مخارج الحروف التي يهتدي بها الناطق وترشده إلى التمثيل الصحيح للأصوات العربية، وطريقة نطقها في القرآن الكريم، كما حدد هذا العلم صفات الحروف وعرف أنواعها «من جهر وهمس وشدة ورخاوة وتوسّط وانفتاح واستعلاء وإطباق وما يترتّب عليها من قوة أو ضعف»². وهذا الاعتدال على إجابة

1- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص90.

2- ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، ت833 هـ)، النّشر في القراءات العشر، تقديم علي محمد الضّباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002، ج1، ص211.

هذه المخارج والصفات، واجب الإلتباع لتحقيق النطق الفصيح المجود للقرآن الكريم المتمثل في الحروف الهجائية التي استوت عند العرب على أحسن وجه.

وليست القراءات السبعة وحدها مصدرا من مصادر اللّهجات العربية؛ بل تشاركها القراءات الشاذة، لأن لها سند من صحة الرواية وموافقتها وجها من وجوه العربية، ويرى علم الدين الجندي أنّ القراءات الشاذة صورة نابضة بالحياة لكثير من لهجات القبائل العربية، ولكن هذه القبائل لم تتل مجدا وجاها فحكموها بشذوذ قراءتهم التي هي صور حية للهجاتهم. والقراءة وإن شذت فهي أقوى من تراث النثر والشعر على السواء، ذلك أن الاستدلال بالقراءة الشاذة في قواعد اللغة أقوى من الاستشهاد أو الاستدلال بالشواهد الشعرية والنثرية، وبذلك يكون القرآن الكريم مصدرا أوثق في دراسة اللّهجات العربية القديمة لأنها متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن¹، وبذلك تتضح العلاقة بين القراءات واللّهجات.

بالإضافة إلى ذلك، فإن أصحاب القراءات زيادة على شهرتهم بالضبط والدقة والإتقان كانوا على معرفة واسعة بالعربية ووجوهها فقد كان معظمهم نحاة وعلماء لغة، ورغم ذلك ظهر صراع كبير بين النحاة والقراء، فلو «كان النحاة مهتمين بدراسة اللّهجات العربية القديمة لما ردّوا هذه القراءات ولما جرحوا أصحابها»²، فالنحاة أصحاب تعقيد وتنظيم وكثيرا ما نجد روايات القراء تخرج على قواعدهم، فلا يكون منهم إلا تجريحها وإخراجها على التّوهم.

أمّا القراء، فهم أصحاب أداء وأهل وتألق وعرض، وهم في نقلهم للغة وعرضها أدق من النحاة، وقد كان علماء القراءات والمهتمون بها يدركون هذا الفرق بين منهجي النحاة

1- ينظر: علم الدين الجندي، اللّهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1983، ج1/ص108.

2- عبده الراجحي، اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، ص 186.

والقراءات، ويرون أنّ منهجهم أوثق وأصح من هذه الأصول والقواعد التي خضع لها النحاة وحاولوا أن يُخضعوا لها العربية.¹

ويتضح من هذا، أن القراءات القرآنية تعد مظهرا من مظاهر اختلاف اللهجات العربية، وهي من أوثق المصادر التي يعتد بها في دراسة اللهجات صوتيا، وصرفيا، وتركيبيا، ومعجما، ولأن الله رحيم بعباده أباح لرسوله الكريم أن يقرأ كل قوم على ما اعتادوه، فكان أن تعددت القراءات لتعدد اللهجات، وأضحت كتب القراءات مجالا خصيبا للدراسات اللغوية العربية.

10- الدرس اللهجي عند علماء اللغة المحدثين:

10-1- عند العرب:

مما لا شك فيه أن المبحث اللهجي في سياق الأطروحات اللغوية يعد « من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، فلقد نمت هذه الدراسات بالجامعات الأوروبية خلال القرن التاسع عشر والعشرون، حتى أصبحت الآن عنصرا هاما بين الدراسات اللغوية الحديثة وأسست لها بعض الجامعات الراقية، فروع خاصة بدراستها، تعني بشرحها وتسجيل نماذج منها تسجيلا صوتيا يبقى على مر الزمان»².

وعلى الرغم من محاولات الغربيين منع زحفها، « وجدنا سبيلها يتحقق في كل مكان، ورأينا انشعاب اللغات الفصحى إلى عديد من اللهجات الشعبية، تبعا لسنة الطبيعة، وعوامل الاجتماع في الداخل والخارج، فلم يستطيعوا أن يحسروا الموجات المتتابعة منها، فاضطروا

1- ينظر: المرجع السابق، ص82.

2- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص9-10.

إلى التسليم بالأمر الواقع والاتجاه إلى تلك اللهجات الناشئة، حتى يعرفوا خط سيرها»¹، فبدأوا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في الاهتمام بتلك اللهجات ودراستها.

ولأن اللغة « ليست هامة أو ساكنة بحال من الأحوال، وبالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحيان، فإن الأصوات، والتراكيب، والعناصر النحوية، وصيغ الكلمات، ومعانيها، معرضة كلها للتغير والتطور»²، فهي إذ تتكشف عبر ألسنة المتكلمين وتحيا بحياتهم، فإنها « شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها»³، أصواتها، قواعدها، ومنتها، ودلالاتها.

وانطلاقاً من فكرة التطور اللغوي، توصل العلماء إلى أن تغير اللغة عبر الزمن وتشعبها إلى لهجات أمر حتمي، ولا تخلو أي لغة من اللغات الإنسانية منه، « هذا التطور المستمر في اللغة لا يوصف بأنه اتجاه إلى الأحسن أو الأقبح، أو أنه تطور إلى الارتفاع أو الانخفاض، أو الصحة أو الفساد، فاللغة أو اللهجة لا تقاس صلاحيتها بحسب التقدم أو التأخر في الزمن، والرقي أو التأخر في الحضارة، بل بحسب قدرتها على أداء دورها الاجتماعي بين من ينطقونها، بل تستجيب للتعبير عن تجاربهم ومظاهر حياتهم»⁴، وتحقيق الاتصال والتفاهم بينهم. فوجود اللغة المشتركة واللهجات المحلية في اللغات أمر تحتمه الضرورة الاجتماعية، وما تقتضيه من تفاوت مستوى الاستعمال وحاجاته، تبعاً لحاجة الناطقين أنفسهم لاستخدام اللغة في المواقف العامة، والراقية، أو مواقف الحياة العادية، والخاصة بالبيئة المحلية، لذا يرى علماء اللغة المحدثين أن اللغة الواحدة تتشعب إلى

1- عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، مطبعة الجبلاوي، شبرا، 2، 1986، ص 104.

2- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، المنيرة، القاهرة، 1990، ص 156.

3- علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، مكتبة زهراء الشرق، ط 1، 1998، ص 78.

4- محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، ص 42.

لهجات، إذ ما فصلت بين أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية وفي هذا الصدد يقول دي سوسير: « ولكل لغة لهجاتها، وليس لواحدة منها السيادة على الأخريات، وهي في العادة متفرقة، مختلفة»¹.

ويرجع علماء اللغة انقسام اللغة وتفرعها إلى لهجات للأسباب التالية:

الأسباب الجغرافية: فإذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة تختلف الطبيعة فيها من مكان لمكان، كأن توجد جبال أو وديان تفصل بقعة عن أخرى، بحيث ينشأ عن ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة أخرى، فإن ذلك يؤدي مع الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية، فالذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين في بيئة صحراوية بادية².

العوامل الاجتماعية: وتتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في النظم الاجتماعية، والعرف، والتقاليد، والعادات، ومبلغ الثقافة، ومناحي التفكير والوجدان، فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صده في أداة التعبير، إذ أن المجتمع الواحد يتفرع إلى طبقات كما يؤكد "عبد الغفار حامد هلال" في قوله: « والمجتمع الواحد قد يوجد فيه الطبقات الأرستقراطية، والدنيا، أو الطبقات الصناعية، والزراعية، والتجارية، وغيرها من أرباب المهن المختلفة، ويقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات المجتمعات وتختلف»³.

1- فرناند دي سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، بغداد، 1985، ص40.

2- عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص37.

3- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص42.

العوامل الفردية: لقد أثبت علم اللغة أن لكل إنسان لهجته الخاصة وأن هناك لهجات في اللغة بقدر ما هناك من أفراد يتكلمون هذه اللغة، فاللغة وإن كانت واحدة لا يتكلمها الأشخاص بنفس الطريقة، واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى نشأة اللهجات، ويؤكد علماء اللغة أن المجتمع الذي يتكلم أفراده لغة واحدة لا وجود له¹.

عوامل الاتصال البشري (الصراع اللغوي): يتصل بنو البشر لتبادل المنافع، كما أن الإنسان قد يحتاج إلى الهجرة من وطنه الأصلي إلى مكان آخر بحثاً عن القوت، أو لأسباب أخرى دينية أو استعمارية، « وبديهي أن تلك الاتصالات تحتاج إلى معرفة هؤلاء وهؤلاء بلغات الآخرين حتى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات، أو إخضاع جماعة ما لسيطرتهم، وهذا يؤدي إلى احتكاك اللغات بعضها ببعض، ونشوب صراع بينها، فالتوسع وضرورة الاتصال يقتضي معرفة لغات عدة معرفة جيدة»²، وقد تكون الغلبة في هذا الصراع للغة على حساب أخرى.

وانطلاقاً من هذه الرؤية الحديثة لدراسة اللهجات، « فإن الباحث في اللغة ينبغي أن يقتصر عمله على الملاحظة، والوصف، فمكانه الصحيح وراء النشاط اللغوي لاستقرائه، وملاحظته، وتصنيفه، وليس من حقه أن يضع نفسه أمام هذا النشاط لتوجيهه، وليس من حقه أيضاً أن يتخذ ملاحظاته وقواعده التي حصل عليها من وصف النشاط اللغوي في فترة خاصة قوة يفرضها على فترة أخرى بالتحكم والمصادرة»³.

وفي هذا الصدد، ألفينا تمام حسان يعقد مقارنة يبين من خلالها طبيعة تعامل الباحث مع اللغة، إذ يقول: « اللغة بالنسبة للمتكلم معايير تراعى، وبالنسبة للباحث ظواهر تلاحظ،

1- فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخيلي ومحمد قصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2014، ص29.

2- المرجع نفسه، ص427.

3- محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات والنثر والشعر، ص31.

وهي بالنسبة للمتكلم ميدان حركة، وبالنسبة للباحث موضوع دراسة، وهي بالنسبة للمتكلم وسيلة حياة في المجتمع، وبالنسبة للباحث وسيلة كشف عن المجتمع، المتكلم يشغل نفسه بواسطتها، والباحث يشغل نفسه بها، ويحسن المتكلم إذا أحسن القياس على معاييرها»¹، ويكون الباحث محسناً إذا وصف نماذجها.

وليتيهاً للباحث الكشف عن أسرار اللهجات الحديثة، «لأبد من دراستها دراسة علمية صحيحة، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً، لنعرف أولاً ما تتصف به كل لهجة من خصائص، هذا ودراستنا لها يجب أن تبدأ أولاً وصفية، نشرحها، ونسجلها، ونحلل أصواتها، وكلماتها، دون التعرض في البدء إلى أي نوع من المقارنات، أو الحكم على أي صلة بلهجة قديمة»². وقد استعانت هذه الدراسة بكل الوسائل العلمية الحديثة حتى استطاعت أن تضع قوانين لحياة اللغات، وما يعرض لها من انقسام إلى لهجات وأسباب ذلك ونتائجها.

وقبل البدء بدراسة لهجة معينة، ينبغي للباحث أن يكون موقفه من عمله موقف العالم المتجرد عن كل غرض، وينبغي أن يكون أسلوبه علمياً دقيقاً، «لأن هناك من ينظر إلى اللهجات المحكية على أنها ليست لغة، هي لهجة ركيكة تتميز بالرطانة والعجمة، سقيمة في تركيبها، فقيرة في معجمها سخيفة في أدبها، سمجة في روحه»³. فإذا انطلق الدارس من هذه الفكرة فإنها حتماً ستصبح بحثه بصيغة ذاتية خاصة.

وتجدر الإشارة، إلى أن الجامعات في كثير من الأمم الناهضة تتجه إلى دراسة لهجاتها الحديثة، لأنها تمثل تطوراً تاريخياً تحرص الأمة على تسجيله قبل أن يصيبه تطور آخر أو يندثر، ولا ندهش لذلك أن يعكف كثير من اللغويين في تلك الأمم على دراسة

1- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000، ص3-4.

2- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص12.

3- أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989، ص115.

اللهجات الحديثة دراسة وصفية، فتراهم يصفون أصواتها وصفا علميا دقيقا، ويصفون صيغها، ويضبطونها، ويستعينون في هذه الدراسة بأجهزة التسجيل، ومعامل التجارب الصوتية، كما يرسمون خرائط موضحة لكل ظاهرة من ظواهر اللهجة العامية، بل في بعض الأحيان لكل كلمة من كلماتها، خريطة تتبين دلالتها، أو كيفية النطق بها في كل منطقة من مناطق اللهجة [...] وقد تألفت من هذه الخرائط أطالس ضخمة في بعض الجامعات الأوربية¹.

ومن ثمة، فإن هذه الأطالس اللغوية « قد ألفت ضوءا على الصيغ الحية للغة أي بلد، بالإضافة لما تحويه من خصائص لهجية متنوعة، وقد ساعد هذا كثيرا من علماء اللغة التاريخيين، وبخاصة عند تحديد معالم التغيير التي نمت في الماضي حينما تكون الشواهد مطلوبة مفقودة أو غير كافية»². فهي تمدهم بمعلومات مفيدة عن مراكز اللغات في العالم، وما يعتري أي منها من تغيير أو استبدال في مناطق معينة.

والهدف من هذه "الأطالس اللهجية"، يتمثل في الكشف عن الحدود الجغرافية لتوزيع مميزات لغوية عادة ما ترمي إلى حد لهجي، يتوافق هذا الحد مع عامل جغرافي أو سياسي معين مثل سلسلة جبال أو نهر، أو حد ولاية، فقد « اقتبس علم اللغة منذ أكثر من نصف قرن مضى، طرق علم الجغرافيا ليضع حدودا لغوية للهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كل لهجة وتفرق بين لهجة وأخرى»³. ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا، إلا في أن ما يظهر عليها من ظواهر لغوية تطلع الدارس على أدق الفروق في الأصوات، والمفردات، بين اللغات المختلفة، واللهجات المتباينة.

1- ينظر: عبد العزيز مطر، لهجة البدو في إقليم الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية، دراسة لسانية، دار المعارف، القاهرة، 1981، تصدير: إبراهيم أنيس، ص5.

2- ماريوباي، أسس علم اللغة، ص132

3- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص404-405.

والأطلس اللغوي يحوي خرائط متعددة للوقوف على ظواهر اللغة أو اللهجة مع الاستعانة ببعض النواحي الهندسية، وعلى هذا فالأطلس اللغوي يقوم على عمل خرائط لبيان أصوات أو كلمات أو تراكيب لغة أو لهجة معينة، أو عدة لهجات وتوضيح صلتها باللغة الأصلية أو بأخواتها من اللغات أو اللهجات الأخرى.

10-2- معالم الدراسة اللهجية العربية لدى المحدثين:

لم يكن اهتمام علماء اللغة في الغرب منصبا على اللهجات في أوروبا، بل كان للهجات العربية قديمها وحديثها جانب من اهتمامهم، فقد قَدّم المستشرقون أبحاث ودراسات هامة في اللهجات العربية الحديثة كـ بعض اللهجات الجزائرية، والتونسية، والمصرية، والفلسطينية، واللبنانية، والعراقية والسورية، فكانت هذه الدراسات حافزا في توجيه أنظار العلماء نحو دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة علمية صحيحة، ففتحت مدارس ومعاهد مختلفة في أوروبا لتدريس الفصحى والعامية العربية معا، فعكفوا على تأليف الكتب والبحوث الخاصة باللهجات العربية، ومن بين الدراسات التي أجريت من قبل المستشرقين على اللهجات العربية¹:

- دراسة ماكس لوهر: وهي دراسة عنيت بلهجات القدس والشام، ومصر، وجاءت الدراسة في مائة وأربع وأربعين صفحة.
- دراسة ليمان: وهي عبارة عن حكايات عربية بلهجة القدس والحروف العربية، طبعت الدراسة في هولندا 1905، ثم ستراسبورج، وتقع في ثمان وخمسين صفحة.
- أطلس اللهجات السورية والفلسطينية "لبرجشتراسر" ألفه في العام 1915.

1- ينظر: عبد الرؤوف خربوش، اللهجات الفلسطينية: دراسة صوتية، دار أسامة، الأردن، عمان، ط1، 2004، ص6.

- أصول اللغة العربية العامية والفصحى للفرنسي "دي سفاري"، ط 1784.
- قواعد العربية في مصر للألماني "ولهلم سيبتا"، ط 1880.
- قواعد الشرقية والمغربية للفرنسي "كوسان دوبر"، ط 1858.
- لهجة بغداد والعامية، للفرنسي "لويز ماسنيون"، ط 1912.
- لهجة مراكش العامية وقواعدها، للفرنسي "بت سميل"، ط 1918.
- عامية دمشق للألماني "برجستراسر"، ط 1924.¹

وأعد "هاريل الأمريكي" 1957 دراسة في اللهجات العربية تطرق فيها إلى "أصوات العامية في مصر"، كما درس كانتينو لهجتي تدمر ودمشق، وكتب ماتسو "دروسا صوتية في اللهجة العامية في بيروت، ودرس مايسنر "لهجة بغداد" وهوداس الفرنسي لهجة الجزائر"، وكتب الألماني "جورج كمبفماير" بحثا بعنوان "لهجة قبائل اليمن وما جاورها من جنوب الجزيرة العربية"، وهيس "لهجة نجد الحالية" وتناول فيشر بالدرس لهجة المغرب الأقصى، وهناك دراسات أخرى كثيرة.

أما على الصعيد العربي، فقد كان من أوائل من درس اللهجات العربية في صدارة العصر الحديث حنفي ناصف بك في رسالته الصغيرة والمهمة الموسومة بـ "مميزات لغات العرب" التي ألقاها في مؤتمر المستشرقين بفيينا سنة 1304هـ، فكانت «الصيحة الأولى للعناية باللهجات»² غير أنها لم تلق القبول والإجابة من قبل الدارسين العرب.

إلا أنه كان لنداء مجمع اللغة العربية الذي نص في قانونه الصادر في 13 ديسمبر 1932 على تنظيم دراسات علمية للهجات العربية الحديثة في مختلف الأقطار العربية، صدى عميق في نفوس كثير من الدارسين العرب، وعلى لسان العقاد عضو

1- ينظر: أحمد المطوع: اللحن في اللغة العربية، تاريخه وأثره، المطبعة العصرية، إصدارات جامعة الكويت، ص54.

2- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص5.

المجمع، وعضو لجنة اللهجات جاء: « من أغراض المجمع دراسة اللهجات العامية في مصر وسائر الأقطار العربية، ونحسب أنه أنفع أغراض المجمع في خدمة اللغة الفصحى، لأننا نساير اللهجة العامية في تعبيراتنا بها، وتصرفنا فيها، ونقيس عليها، فنخلص من المشابهة حيناً والمخالفة حيناً، إلى شيء من الأصول التي جرت عليها اللغة الفصحى فيما يقابل هذه التعبيرات، أو هذه التصرفات»¹.

ويرى اللغويون العرب أن لدراسة اللهجات العربية أهمية عظيمة وفوائد جمة أهمها:²

- 1- نحتاج في عصرنا هذا إلى الوقوف على مراحل تطور اللغة العربية في جميع مستوياتها، حيث أن الدراسة المكتملة لعلم اللهجات تمكننا من اكتشاف القوانين التي سارت عليها اللغة في تطورها.
- 2- التمعن في فهم القرآني خدمة للدين والنص القرآني، أحكامه وآدابه.
- 3- الحاجة ملحة إلى علم اللهجات وذلك لافتقار اللغة العربية إلى معجم تاريخي.
- 4- البحث في اللهجات العربية الحديثة يكشف لنا عن احتفاظها بعناصر لغوية كثيرة ترجع في كثير من الحالات إلى اللهجات العربية القديمة، أكثر من رجوعها إلى اللغة الفصحى (الأدبية أو المشتركة).
- 5- تفيد دراسة اللهجات الحديثة في تحديد الأماكن التي استقرت فيها القبائل العربية بعد الفتوح الإسلامية، حيث أن كل منطقة نطقت العربية بلهجة النازلة بها من العرب.

1- ينظر عباس محمود العقاد، آمال من اللهجات العامية، إخراج مجمع اللغة العربية، القاهرة، 107/10.

2- ينظر: محمد أحمد خاطر، في اللهجات العربية، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1998، ص 7-10. وينظر: اللهجات العربية، نشأة وتطورا، ص112.

6- احتفاظ اللهجات بعناصر لغوية اندثرت من اللغة المكتوبة، وربما أهملها أصحاب المعاجم، في حين هي حية تملك من مقومات الحياة، وعناصر الخلود ما مكنها من الانتصار في صراع البقاء.

ومن اللغويين العرب الذين درسوا اللهجات العربية قديمها وحديثها، وعرضوا لها في مؤلفاتهم:

- كتاب "في اللهجات العربية" لإبراهيم أنيس.
- كتاب "اللهجات العربية، نشأة وتطورا" لعبد الغفار حامد هلال.
- كتاب "المقتضب في لهجات العرب" لأحمد تيمور.
- كتاب "في اللهجات العربية القديمة" لإبراهيم السمراي.
- كتاب "اللهجات وأسلوب دراستها" لأنيس فريحة.
- كتاب "اللهجات العربية في القراءات القرآنية" لعبد الرحيم الراجحي.
- كتاب "اللهجات العربية في التراث" لأحمد علم الدين الجندي.
- كتاب "لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية، دراسة لغوية" لعبد العزيز مطر.
- كتاب "معجم لهجة تطوان وما حولها" لعبد المنعم سيد عبد العال.
- كتاب: "مقدمة للدراسة في اللهجات العربية" لمحمد أحمد خاطر.

والمطلع على البحث الحديث في دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها يجد أن الاتجاه الحديث في دراسة اللهجات اتخذ منحيين، الأول تناول لهجة واحدة لمنطقة أو قبيلة بعينها، ودرس جوانبها الصرفية والصوتية والنحوية والدلالية، والثاني تناول اللهجات العربية عامة، وفي كلا المنحيين يقوم الباحث بجمع كل ما يمكنه من ظواهر تلك اللهجات، ويقدم

دراسة تاريخية، وجغرافية، واجتماعية عن أصحابها، يحلل مادتها اللغوية، ويصنفها إلى عناصرها، ويدرسها من كل جوانبها، للكشف عن العوامل التي أثرت فيها، واستنباط القوانين التي خضعت لها.

الفصل الأول

تحليلات المنهج المقارن في الدرس الصوتي العربي

إن الحديث عن التعدد اللهجي واختلاف مظهراته اللغوية، يندرج ضمن مشروع بحثي يستدعي الاتكاء على عتبة منهجية تعين على الوقوف على تلك التجليات اللغوية المتباينة، فلئن كانت اللغة الأم تتفرع عبر الزمن ولعوامل متعددة إلى لهجات متباينة، فإن الكشف عن الأصول المرجعية لهذه اللهجات والسمات النوعية المتباينة والمشاركة بينها وبين اللغة الأم يستدعي مساءلة من نوع خاص، تعين على حصر هذا التنوع والتعدد اللغوي، وقد كان المنهج المقارن بآلياته الإجرائية أحد هذه الأدوات التي باشرت هذا المشروع.

1-الأصول المرجعية للمنهج المقارن: 1-1-في الدراسات العربية القديمة:

مما لا مرأى فيه أن المنهج المقارن كتصور منهجي وإجرائي، نتاج إفرازات النظرية اللسانية الغربية، إلا أن هذا الطرح لا يتنافى مع وجود بعض ملامحه في التراث اللغوي العربي، وإن لم تكن بالمعنى العلمي الذي عرفت به حديثاً، فلم يكن اللغويون العرب « على جهل باللغات السامية بل كان بعضهم يعرف العلاقة بين العربية وبعض هذه اللغات وإن لم تثمر عندهم في الدرس اللغوي»¹، ومنذ ذلك ملاحظات الخليل بن أحمد ت(175) لما قارن بين العربية والكنعانية ووقف على العلاقة بينهما فقال: «وكنعان بن سام بن توح بنسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية»².

تبعا لذلك، فإن المتتبع لمسار الدرس المقارن ضمن الطرح الصوتي القديم، لا يعدم توسم ذلك ضمن مجمل ما انتهت إليه محددات الميز والمغايرة بين مختلف صيغ

1- محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2011، ص107.

2- ينظر: الخليل بن أحمد، العين، 205/1.

الأبنية الفاعلة بصريا وصوتيا في إحداث فرادة التشكل وحياسة الإيقاع، على حد ما أبان عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ت(224)، حيث إن « للعرب في كلامها علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه، منها إدخال الألف واللام في أول الاسم والزامهم إياه الإعراب في كل وجه في الرفع والنصب والخفض، كما أدخلوا في (الطور) وحذفوا الألف التي في الآخر، فألزموه الإعراب في كل وجه، وهو بالسريانية (طورا) على حال واحد في الرفع والنصب والخفض، وكذلك (اليم) هو بالسريانية (يمًا) فأدخلت العرب فيه الألف واللام وصرفته في جميع الإعراب على ما وصفت»¹.

على إثر ذلك، يرد التشابه توخيا لاكتمال الدرس وانتظام ديباجة البون والتشافع بين اللغتين العربية والسريالية إذ « كثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي، أو يقاربه في اللفظة»².

في مقابل ذلك، فإن المتدبر لمعالم التشاكل والتنافر بين العربية والعبرية والسريالية يتوضح لديه « أن اختلافهما إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل»³.

على مسلك ما يتوخاه هذا الطرح، ينعطف البحث إلى الإبانة عما مفاده أن (ابن بارون) قد ألف كتابا في نهاية القرن الحادي عشر بعنوان: "الموازنة بين اللغة العربية والعبرية"، وقد خصص الكتاب للدراسة المقارنة بين اللغتين نحويا ولغويا، وكشف عن

1- أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق حسين الهمداني، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، ط1، 1994، 77/1.

2- السهيلي(عبد الرحمن بن عبد الله، ت581)، التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، تحقيق: عبده مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص11.

3- ينظر: ابن حزم الأندلسي (ت456)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاکر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 2010، 30/1.

أوجه الشبه والاختلاف، والكتاب مقسم إلى قسمين: القسم الأول مخصص للنحو المقارن، والقسم الثاني يضم معجماً مرتباً ألفبائياً لجذور الكلمات الواردة في الكتاب المقدس والتي لها مقارن عربي، وقد حدد ابن بارون أوجه التشابه بين اللغتين (العبرية والعربية) في النقاط التالية:

• التشابه في الخط واللفظ والمعنى.

• التشابه نتيجة لتعاور الحروف المتشابهة المخارج.

• التشابه نتيجة لتعاور الحروف المتجاورة.

• التشابه نتيجة التصحيف.¹

وقد انتهت دراسة (ابن بارون) إلى نتيجة مجملها أن « العربية والعبرية والسريانية مقاربات الاشتقاق، والتصريف، والألفاظ، وذلك كقرب مزاج أهلها وقربهم في الإقليم»². ولعل هذا المقتضى، ما أوعز لـ "جودة بن قريش" أن يصدر مؤلفاً في القرن الرابع الهجري، تتراءى ضمنه ملامح الدرس المقارن، عبر توسله سبل الأخذ بعملية التشذير انطلاقاً من التحديد البنائي والتأصيلي للغات الثلاث العربية والآرامية والعبرية، منتهياً إثر ذلك إلى كونها تمخضت عن أصل واحد، غير أن مدارة تحديد التمايز وإضفاء معالم التباين يرجع أساساً إلى ترحالها من منطقة إلى أخرى وكذا تلاقحها وتفاعلها مع لغات تخالفها الأصل والمرتع، وعليه فإن « العربية، والآرامية، والعربية قد صيغت في الطبيعة بطريقة واحدة»³.

1- ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988، ص330 . 335.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 235.

3- ينظر: المرجع السابق، ص 236.

1-2- في الدراسات اللغوية الغربية:

يتعامل المنهج المقارن مع اللغات -موضوع الدراسة- وفقاً لتصور معين، يفترض أن لغات العالم عبارة عن فصائل لغوية، وكل فصيلة انقسمت إلى عدة لغات متفرعة عنها، وعالم اللغة يقارن من خلال هذا المنهج بين لغتين أو أكثر في فصيلة لغوية واحدة، بهدف رصد التشابهات بين هذه اللغات لإعادة بناء اللغة الأم التي تشعبت عنها هذه اللغات، وهذه اللغة لغة افتراضية يحاول الباحثون صنعها من خلال هذا المنهج وإعادة بنائها.

وقد بدأت بوادر هذا التصور المنهجي تتكشف، إثر التحول الذي طرأ في الدراسات اللغوية، بعد أن اكتشف السير وليم جونز العلاقة الوثيقة بين اللغة السنسكريتية واللغات الأوروبية عام 1786 وتوصل إلى أوجه الشبه بينها وبين كثير من اللغات الأوروبية، مما جعله يحكم بأن السنسكريتية وكثير من اللغات الأوروبية تنتمي إلى أسرة واحدة أسماها بالأسرة (الهندية الأوروبية)، وذلك من خلال الدراسات التي قدمها عن العلاقات القوية بين السنسكريتية، والفارسية القديمة، وبين اللاتينية والجرمانية، والكلتية، والتي تعد بمثابة الريادة للمنهج المقارن، كان قد هيأ لظهور هذا المنهج¹.

فكان تصريح وليام جونز بذلك بمثابة فاتحة التأسيس لمرتكزات المنهج المقارن، ف« منذ أن اهتدى سير وليام جونز (1746-1794) إلى اكتشاف هذه اللغة الهندية القديمة ذات الاشتراك في الأصل الآري، والدارسون المهتمون يلهجون بهذه اللغة حتى أنك لا تجد عالماً لغوياً واحداً من علماء القرن التاسع عشر لا يعرفها، ولا يدرسها أو يقيم أطروحته فيها»².

1- ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 223.

2- عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 67.

في ظل هذا الطرح، وبناء على هذا التوجه، انصرف البحث اللغوي عن المنهج التاريخي، وانفتح على أوليات المنهج المقارن، القائم « على وجود تصنيف واضح للغات إلى أسرات لغوية، ولم تكن القرابة بين اللغات معروفة على نحو علمي دقيق إلى أن اكتشفت اللغة السنسكريتية في الهند، لقد قورنت السنسكريتية باليونانية واللاتينية، وثبتت بهذه المقارنات أن كثيرا من هذه اللغات تحمل أوجه شبه في البنية، والمعجم وبذلك اتضحت معالم أسرة لغوية كبيرة تضم لغات كثيرة في الهند، وإيران، وأوروبا، وأطلق الباحثون على هذه الأسرة اسم اللغات الهندية الجرمانية»¹.

ويقوم المنهج المقارن على المقارنة بين لغتين أو أكثر بشرط انتماء هذه اللغات إلى أسرة لغوية واحدة، لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف، وتحديد صلات القرابة بين هذه اللغات، « ولعل الباحث يكون آمنا، حين يقرر انتماء لغات متعددة إلى أصل مشترك، إذا وجد بينها تماثلا كافيا في تركيباتها النحوية، ومفرداتها الأساسية، وإذا لاحظ ازدياد قربها بعضها من بعض كلما اتجهنا إلى الوراء»².

ويتكئ تصنيف اللغات في المنهج المقارن على أوجه التشابه في المستويات اللغوية، صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية بين اللغات موضع التصنيف، « فبمقارنة الأصوات، والصيغ تتجلى ضروب التجديد الخاصة بكل لغة، في مقابلة البقايا الباقية من حالة قديمة، وقد نجح اللغويون في أن يحددوا ما قبل تاريخ اللغات الهندوأوروبية»³.

وتجدر الإشارة إلى أن علم اللغة المقارن نهض في أول أمره على أيدي الأوربيين، حين أدركوا أن لغاتهم القديمة والحديثة تفرعت عن أصل واحدة تمثل في اللغة

1- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للنشر، الأردن، ط2، 1978، ص19.

2- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 168.

3- فندريس، اللغة، ص375.

السنسكريتية، ليتها لهم الإقرار باكتشاف « أن كل لغة من لغاتهم أصبحت متباينة مع الأخرى قد تطورت عبر الزمن، وأحداث التاريخ الآري الطويل للغة واحدة منقرضة، تواضعوا على تسميتها باللغة الهندية الأوروبية»¹.

ومما لا شك فيه أن العلماء قد توصلوا إلى نتائج جلية في مجال علم اللغة، وذلك من خلال مباشرتهم للمنهج المقارن في تحليل الظواهر اللغوية، وهو ما دفع سويسر إلى الإقرار بأن: « من أعظم ثمرات هذا العلم تلك التصنيفات التي تقسم اللغات إلى فصائل، بحيث أصبح من المتيسر الآن على الباحثين أن ينطلقوا بالبحوث المقارنة إلى أفق أرحب، إن البحث المقارن الآن أصبح يشمل كل دراسة تبحث تفسير بعض الظواهر اللغوية في لغة معينة في ضوء تشابهها مع ظواهر لغوية مماثلة في لغة أخرى تشاركها نفس الأصل اللغوي، وهي بهذا تسد بعض الثغرات التي تظهر في طريق البحث التاريخي»².

وقد ارتهن المنهج المقارن لإجرائية معينة لصياغة مقولاته، تمثلت في الحصول على مجموعة من أقدم الكلمات لكل فرع من فروع الهندية الأوروبية، ثم وضعها جنبا إلى جنب، ووصف ما بينها من تشابهات واختلافات ثم استخلاص العناصر المشتركة ووضعها في قائمة واحدة على أنها الصيغة المحتملة للغة الأم بالنسبة للغات اللاتينية، واليونانية، والسنسكريتية، والسلافية القديمة، والكلتية القديمة، « هذا مما يعني أن النحو المقارن يقدم لنا نظاما تصنف فيه اللغات في أسر تبعا لخصائصها»³.

1- عدة باحثين، دراسات لغوية في ظل الماركسية، ترجمة ميشال عاصي، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1979، ص 73.

2- ينظر: فرناند ديسويسر: محاضرات في علم اللغة العام، ص189-190.

3- فندريس، اللغة، 375.

وبذلك تحدد التصور المنهجي، لإجرائية التحليل المقارن، بالبحث في لغتين أو أكثر، بالكشف عن الأصول المشتركة بينهما، وتحديد صلة القرابة بين هذه اللغات موضع المقارنة، وذلك من خلال دراسة الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، بين لغتين تنتميان إلى أسرة لغوية واحدة أو فرع من تلك الأسرة.

إن هذا المسعى التحليلي يتوخى تحقيق أهداف معينة، يمكن أن نجملها على النحو الآتي¹:

✓ إعادة بناء الأصل المشترك بين (اللغة الأم) التي تنتمي إليها اللغتان المدروستان،

وهذا الأصل ليس موجود في الواقع إنما هو من اختراع اللغويين وتصورهم.

✓ الوقوف على التغيرات اللغوية التي تحدث لأي من اللغتين المدروستين عبر الزمن.

✓ قد يكون المراد من هذه الدراسة الوقوف على مظاهر الاتفاق والاختلاف بين اللغتين المدروستين في شكلهما الحديث.

✓ يمكن الاستفادة من نتائج الدراسة المقارنة في تعلم اللغات المختلفة، وتعليمها بطريقة ميسرة.²

✓ استقصاء جوانب المقارنة بين اللغتين المدروستين صوتياً، وصرفياً، ونحوياً، ومعجمياً، ومن ثم أمكن الوصول إلى درجات الاختلاف التي أدت إلى انشعاب لغة من أخرى.

✓ يمكن تحديد درجة علاقة الماضي بالحاضر من الفرعين اللغويين، وهي دراسة تطبيقية تتعرض للصواب والخطأ، وتعتمد على استنتاجات اللغوي وفهمه الدقيق.¹

1- ينظر: نادية رمضان النجار: فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية، 2006، ص136-142.

2- ينظر: محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، مكتبة الشباب، مصر، ط 1998، ص 151.

✓ وأخيرا تهدف هذه الدراسة إلى تأصيل المواد اللغوية في المعاجم، على نحو ما أنجزه الأوروبيون مثل معجم المترادفات في اللغة الهندية الأوروبية الذي صنفه (بك) *Buck* طبقا للمعاني.²

2- مواد الدرس المقارن:

احتكم فرانز بوب: (1791-1867*) للدرس المقارن وفق طرح منهجي علمي منسجم، في ضوء تقرّيه للنظام الصرفي ضمن اللغة السنسكريتية ومقارنتها بالجرمانية واللاتية والفارسية واليونانية³، على إثر ذلك تأتته مكنة الصدارة، وحياسة التفرد العلمي عبر ما أثاره حول « قضية الروابط المتبادلة بين اللغات الهندية الأوروبية يمكن أن تصبح موضوع الدراسة خاصة، ثم عاد بوب مرة أخرى سنة 1833م ليقدم بحثه المستفيض الخاص بالنحو المقارن للغات الهندية الأوروبية»⁴.

-
- 1- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، مناهج البحث في اللغة والمعاجم، مكتبة الأسرة، مصر، ط1، 1991، ص47.
 - 2- ينظر: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2001، ص 99.
 - 3- مشتاق عباس معن، المعجم الفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص83.
 - 4- عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، ص72.

وعلى الرغم من أن « العلامة الألماني فرانز بوب *FRANZ BOPP* * لم يكن له أسبقية اكتشاف أوامر القربى بين السنسكريتية، وبعض اللغات من أوروبا وآسيا، فإنه فيما يبدو كان السباق إلى إدراك العلاقة بين اللغات التي يجمع بينها رحم واحد، يمكن لها أن تصبح مادة لعلم مستقل لأن تسلط ضوء لغة على أخرى، وأن نشرح صيغ إحداها مقارنة بصيغ غيرها هذا شيء لم يتم تحقيقه قبل الآن»¹. ولهذا علينا أن نقر قرارا علميا وتاريخيا من أن فرانز بوب مؤسس بحق القواعد المقارنة بعد صدور كتابه منظومة تصريف الأفعال في السنسكريتية عام 1816 « مقارنا إياها بالأنظمة الصوتية المعروفة في اللغات اليونانية، واللاتينية، والفارسية، والجرمانية ليوسع دراسته بعد ذلك في كتابه حتى يشمل الأعراب»².

لأجل هذا لزم أن تكون حظوة التفرد بتأسيس الأسلوب المقارن من نصيب فرانز بوب الذي قفز باللسانيات خطوات بارزة، إذ إنها على عهده « عرفت [...] تغيرا حقيقيا

* (1791 _ 1867) فرانتس بوب Franz Bopp باحث لغوي ألماني، ولد في مدينة ماينتس Mainz على نهر الراين، وتوفي في برلين. بدأ بتعلم اللغة السنسكريتية عام 1812 في باريس، من أجل دراسة مخطوطات لغوية، ثم انتقل إلى لندن عام 1820 للغرض ذاته، وأصبح أستاذاً للآداب الشرقية ونظرية اللغة العامة في جامعة برلين حتى 1864. يعد بوب مؤسساً لقواعد اللغات الهندية . الجرمانية المقارنة، إذ أنه بكتابه «حول نظام الصرف في اللغة السنسكريتية بالمقارنة مع اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية» _ über das Conjugations system der Sanskrit sprache mit jenem der griech., lat., und german. Sprache الصادر عام 1816 بدأ مرحلة جديدة في دراسات علم اللغة في أوربة، حيث أثبت علاقة اللغة السنسكريتية باللغات الأوربية من خلال مقارنة بنية صيغ الفعل فيها وفي اللغات اللاتينية والجرمانية بهدف توضيح نشوء الصرف والإعراب، معتبراً أن المقاطع الملحقة بالفعل Suffix كانت سابقاً كلمات مستقلة، واستخدم للتعبير عن آرائه مصطلح « نظرية الإصاق Theory of agglutination»، ثم أضاف إلى هذه اللغات اللغة اللتوانية والسلافية القديمة والأرمنية. وفي كتابه «النحو المقارن» Vergleichen de Grammatik طبّق بوب نظريته على جميع صيغ الصرف، وبحث طرائق لفظ الأحرف الصوتية في كل لغة، بالمقارنة مع الأخرى. وفي بحوثه الصادرة عن أكاديمية برلين 1839 و1853 و1854 أثبت انتماء اللغة الكلتية (السلتية Celtic) والبروسية القديمة والألمانية إلى مجموعة اللغات الهندية -الجرمانية، إحدى فروع ماشاع تسميته باللغات الهندية الأوربية

1- فرنانددي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 12.

2- عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، ص72.

نوعياً، ودخلت مرحلة علمية جديدة بتخليصها من القواعد المعيارية وفقه اللغة، لأن مفهوم القرابة الذي صار قاعدة لهذا العمل العلمي الجديد، حل محل تأملات سابقة لأوانها عن اللغة وبعيدة عنها أو عن واقعها كل البعد»¹.

هوبولدت: *Wilhelm von Humboldt* (1787-1835م)*

تكاد تلامس اهتمامات هوبولدت أهداف الدرس المقارن، غير أنه سرعان ما تأوتبتها حيثيات نقلتها من المركز إلى الهامش، إذا ما قيس الأمر بطروح "بوب"، وعليه فإنها لم تتعد بعض « القضايا والأمانى التي كانت تشغل نهاية القرن الثامن عشر، فحفل بالاطلاع على الديانات، والأجناس الأدبية القديمة ليستخلص منها أفكار أصحابها وعاداتهم، والمنعرج الذي اهتم به هوبولدت أنه ظل يحلم بوضع علم إنساني مقارن، ولم يكن هدفه القواعد المقارنة مثل راسك، وبوب، وغيرهما حتى إن مصطلح القواعد المقارنة عنده لا يعني المصطلح الشائع بقدر ما يعني ما كان يسمى بالجهاز العضوي للغات»².

1- المرجع نفسه، ص 77.

*فريدريك فلهيلم فون هوبولدت (Wilhelm von Humboldt) ولد في 22 يونيو 1767 وتوفي في 8 أبريل 1835. هو فيلسوف، مؤسس جامعة هامبولت ببرلين، له إضافات هامة في حقل فلسفة اللغة ومسألة التعليم من ناحية نظرية وعملية. لقد كان هامبولت هو واضع أساسيات نظام التعليم في بروسيا. ما يسميه هامبولت الشكل الداخلي للغة هو أسلوب ترميز العلاقات بين أجزاء من جملة يعكس الطريقة التي يرى فيها عدد محدد من الأشخاص العالم. تقع على عاتق علم الصرف مهمة التفرقة بين طرق متنوعة تختلف فيها اللغات فيما بينها حول أشكالها الداخلية، وبالتالي تصنيف تلك اللغات وترتيبها على ذلك الأساس "يعود لهامبولت الفضل في كونه أول لغوي أوروبي يقول أن اللغة البشرية هي نظام محكوم بقوانين، وليس فقط مجموعة من الكلمات والجمل مقرونة بمعاني. إن هذه الفكرة تعد إحدى أسس نظرية اللغة لنعوم تشومسكي. كثيراً ما يقنّبس نعوم تشومسكي وصف هامبولت لنظام اللغة الذي "يخلق استخدامات لانتهائية من وسائل نهائية"، ويعني بذلك أن عددا لانتهائياً من الجمل يمكن أن يخلق باستخدام عددا نهائياً من القواعد النحوية. غير أن الأكاديمي المتأثر بهامبولت، تيلمان بورش، لاحظ اختلافات عميقة بين نظرة هامبولت للغة ونظرة تشومسكي.

2- عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، ص 74-75.

راسك R.Rask (1787م - 1832م*):

يذهب راسك إلى كون التشكيل الإيقاعي للكلمات في اللغات الجرمانية يكاد يضارع من ناحية الانتظام ما تؤديه « كلمات اللغات الهندية الأوروبية من الناحية الصوتية، وكان راسك معاصرا لـ"بوب"، إلا أن راسك لم ينل شهرة "بوب"، وذلك لأن راسك دعا إلى تطبيق المعايير التاريخية في البحث اللساني، ومن ثم عد عند الكثيرين مؤسس اللسانيات التاريخية"¹.

جاكوب غريم *Jacob Ludwig Karl Grimm* (1785م - 1863م)*:

تأتى عبر مختلف ما قدمه العالم المثبت أعلاه، انبثاق فكرة القواعد الثابتة بين العلاقات التي كانت أحد أهم إفرزات المنهج الاستقرائي الذي قارب من خلاله بين «الخصائص النحوية لمجموعة اللغات الجرمانية كلها (القوطية، والألمانية، والهولندية، والإنجليزية، والفريزية، واللغات الإسكندنافية)، وذلك في عام 1819م في كتابه النحو الألماني، والذي أضاف في طبعته الثانية مقارنة بين الصوامت الجرمانية، والصوامت المناظرة لها في اللغات الهندية الأوروبية الأخرى، وأرسى فكرة وجود قواعد ثابتة تحكم هذه العلاقات، وهو ما يعرف في اللسانيات باسم قانون غريم"².

على هامش هذا الاستقطاب التعاقبي، تجدر الإشارة إلى أن فضل السبق في استكشاف قانون الإبدال الصامتي يعود أساسا إلى غريم الذي كثيرا ما كان عمله يركز «على رصد التطورات في اللغات الجرمانية، ووصفها كما أسماه بإبدالات الصوامت التي

* - عالم فيلولوجيا - مستشرق دانمركي عنى باللغات الهندية الأوربية، والفارسية القديمة. ورحل إلى فارس والهند فدرسها وقارنها بعضها ببعضها الآخر. واقتنى مخطوطات فريدة ما زالت محفوظة في كوبنهاجن. وساعد على تفسير الكتابات المسماة في اصطخر. ولما رجع إلى الدانمرك جعل تعليم الفارسية القديمة يقوم على أسس جديدة..

1- ينظر: دي سويسر: محاضرات في الألسنة العامة، 188-189.

• العالم الألماني جاكوب جريم، انصرف الى دراسة تقابلات الأصوات بين اللغات الجرمانية وغيرها من اللغات الهنداوروبية، مستنبطا بذلك قوانين صوتية تتحكم في هذا التقابل، سميت قوانين جريم

2- ينظر: سويسر، محاضرات في علم اللغة العام، ص 188-189.

تعد أحد القوانين الجوهرية التي لا تزال اللسانيات التاريخية، والقواعد المقارنة تستعملها حتى عصرنا الحالي، إن غريم يفسر التبادلات الصوتية التي اكتشفت حديثاً كنتيجة للتحول، ويسمى الإبدال الصوامتي الظاهرة الصوتية التي تشاهد في اللغات الجرمانية من جهة، وفي باقي اللغات الهندية الأوروبية من جهة ثانية، وذلك من وجهة نظر الصوامت الحابسة *OCCLUSIVES* (*K.T.P و G.D.B*) ويسمى هذا القانون بقانون غريم¹.

شلايش:

أسهم شلايشر في تطوير آليات وتقنيات الأسلوب المقارن، وعليه « يمكننا أن نقول أنه أول لغوي في القرن التاسع عشر عرض إلى جانب الأسلوب المقارن-بصورة أوضح من همبولدت - علما لغويا عاما منسجما، ومتكاملا أشبه بالعلوم اللغوية العامة التي وضعت في القرن السابع عشر، والتي ظهر انحلالها وهرمها بفضل علم اللغة الحديث²».

من هنا تصبح مقولة التصنيف الإجناسي والإنواعي، محور تفسير ذلك الاتفاق التأسيلي بين اللغات لدى كل من "شليشر، وكارل برجمان، ودلبروك وغيرهم ... (ممن) توصلوا إلى التصنيف السلالي للغات، وهو الذي يقسمها إلى ثلاث أسر كبيرة "هندية أوروبية" و"إغريقية آسيوية" و"طورانية"، وكل أسرة منها تتفرع إلى فروع أصغر منها، إلا أن هناك رابطا يجمعها هو اتفاقها في البنية والشكل³.

1- عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، ص 81.

2- جورج مونان، تاريخ علم اللغة، ترجمة: بدر الدين القاسم، مطبعة دمشق، 1972، ص 202.

3- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، مناهج البحث في اللغة والمعاجم، ص 47.

3- علاقة المنهج المقارن بالمنهج الوصفي والنارثي:

يتعاضد المنهج المقارن بمقتضيات المنهج الوصفي، إذ إن الدرس المقارن للغات يستدعي سلفاً الأخذ بمحددات الوصف الفاعلة في الإبانة عن مختلف الخصائص الفارقة، للولوج إلى عوالم المقارنة العلمية التي تحاذر الوقوع في مهالك الاختلال بين ما تؤديه المعطيات وما تقول إليه النتائج.

ومن جهة أخرى، يتلاقح البحث التاريخي المقارن بالمنهج الوصفي « حين يأخذ الدارس لغة ما في فترتين زمنيتين معالجا كلا منهما أولاً معالجة وصفية، وذلك باستخلاص النماذج الصوتية، والتراكيب النحوية والرصيد اللغوي لكل مرحلة من مراحل اللغة، وأخيراً يقارن الاثنتين ليصل من ذلك إلى التغيرات التي طرأت على الظواهر التي يهتم بدراستها»¹.

عند هذا المأخذ، يلتفت البحث إلى ذلك التجاوب المنهجي بين طروح الدرس اللغوي المقارن والمنهج التاريخي، « حيث تقتضي الدراسة المقارنة تتبع الظواهر المشتركة في لغتين أو أكثر من عائلة واحدة، وهذا يعني أن الدراسة المقارنة شكل من أشكال الدراسة التاريخية، لأنه ينطلق من فرضية أن لغتين أو مجموعة من اللغات تنتمي إلى أصل واحد، وهذا يعني ضمناً أن تطورا ما قد أصاب هذا الأصل وأدى إلى هذا الانقسام»².

في سياق هذا الطرح، نجد فندريس يؤكد أن المنهج المقارن ما هو إلا امتداد للمنهج التاريخي في أعماق الماضي السحيق، وينحصر في نقل منهج التفكير الذي يطلق على العهود التاريخية، إلى عهود لا نملك منها أية وثيقة³، "ومنذ نشأة طريقة المقارنة

1- ماريوباي: أسس علم اللغة، ص 59.

2- ينظر سوسير: محاضرات في علم اللغة العام، ص 190-191.

3- ينظر: فندريس: اللغة، ص 375.

بين اللغات - وهي أصلاً طريقة تاريخية - وهي تحظى بمكانة مرموقة في علم اللغويات كما صارت البحوث اللغوية التاريخية وقفاً على كبار العلماء والباحثين، على حين استمرت الطريقة الوصفية كما كانت من قبل طريقة عملية ذات نفع عاجل، تعالج تعلم الناس للغات الأجنبية وتعرفهم بالطريقة الصحيحة لاستخدام لغاتهم»¹.

والمتفحص للدراسات اللغوية المقارنة، يلحظ بأنّها ذات سمة تاريخية، غير أنّها كانت تحاول أن ترتب المستويات اللغوية واللغات المختلفة المنتمية إلى أسرة واحدة ترتيباً يهتم في المقام الأول بالصيغ، والمستويات المعرّقة في القدم، والتي يمكن أن يتعرف منها الباحث على الصيغة الأصلية، أو الشكل الأقدم الذي خرجت عنه باقي الصيغ، ولهذا فقد وصف هذا العمل بأنه تاريخي مقارن².

وفي ضوء هذه الحقيقة، ألفينا جورج موانان يقر بأن: "الدراسات المقارنة التي ظهرت قبل 1870 كانت ممتزجة بالعوامل التاريخية امتزاجاً لا يدحض وجوده، نجد ذلك لدى غريم مثلما نجده عند فريديش دييز [...]. إذ يقول "أنطوان ميه" لما كان "بوبBopp" في سبيل إعداد القواعد المقارنة كان غريم في الوقت نفسه يضع القواعد التاريخية للغة الألمانية، ثم راحوا يقتفون أثره فوضع دييز قواعد مقارنة، وتاريخية معاً للغات الرومانية، ومنذ عام 1870 كانت الأبحاث قد طبعت بطابع جديد»³.

في ضوء هذا المعطى التتبعي لمسار الدرس اللغوي المقارن، ينتج لدى الباحثين أن هذا الأخير «يعني تماماً علم اللغة التاريخي، إنه يحوي أساساً منهاجاً للبحث بواسطته توضع مجموعة من اللغات بعضها بجانب بعض بقصد الوصول إلى الروابط والعلاقات بينها»⁴.

1- ماريوباي، لغات البشر، الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1970، ص76.

2- ينظر: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص23.

3- جورج موانان، تاريخ علم اللغة، ص183-184.

4- ماريوباي، أسس علم اللغة، ص58.

وينهض علم اللغة المقارن على المنهج التاريخي لأن « التاريخ اللغوي بأبعاده الكاملة من شأنه أن يعطي صورة واضحة لتاريخ الحياة اللغوية، ولا يقتصر هذا البحث على تغير البنية اللغوية من الجوانب الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، بل يتناول بالضرورة مستويات الاستخدام اللغوي في البيئات المختلفة، وتغير ذلك عبر الزمن، كما يتناول الانتشار اللغوي ودخول اللغة إلى مناطق جديدة، ويبحث أيضا في الانحسار اللغوي عن مناطق محددة... فالتاريخ اللغوي يتناول دراسة التغير في البنية، ويبحث التغير في مستويات الاستخدام»¹.

4- تجليات المنهج المقارن في الدرس الصوتي العربي:

ينهض الدرس الصوتي العربي على مقولات معينة يستجيب لفكر المرحلة التي ينتمي إليها، ومن ثم، فقد تباينت مقولات الدرس الصوتي العربي بين مقولات تأسيسية ترتد إلى صلب الممارسات اللغوية التي حاولت أن تحيط بتجليات النسق اللغوي للخطاب القرآني، والتي ساهم الصوت فيها في تحديد معالمها المادية والتركييبية بناء على الروافد التي يتأسس عليها اللسان العربي، والتي تستند إلى الخطاب القرآني أساسا.

ومما لاشك فيه، أن بدايات الدرس الصوتي العربي قد ارتبطت ارتباطا مباشرا بالقرآن الكريم، لأنه كلام الله المقدس، فكان حب الناس لقراءته وتدبر معانيه وتعلمه وتعليمه دافعا لهم إلى دراسة لغته، والبحث عن أسرارها، وخصائصها، ووضع قواعد تحفظها من الزبغ خاصة لما دخل الأعاجم الإسلام، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، و« أخذ اللحن يتسرب إلى الألسنة بعد أن كان اللسان العربي عندهم صحيحا محروسا، لا يتداخله الخل ولا يتطرق إليه الزلل إلى أن فتحت الأمصار، وخالط العرب غير جنسهم،

1- ينظر: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص24.

فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن»¹. ولهذا، فقد حظي الجانب الصوتي باهتمام خاص من لدن الدارسين القدماء على اختلاف مشاربهم العلمية وتوجهاتهم الفكرية، فمنهم القراء، ومنهم النحاة وعلماء الأصول والبلاغيين والفلاسفة².

أما المقولات الحدائثة التي تشكلت وفقا لها مرتكزات الطرح الصوتي العربي، فقد تأسست على رؤية منهجية انسأقت صوب تمثل الإطار النظري للدرس اللساني الذي تنتمي إليه النظرية الصوتية من جهة، واستجابت لمقتضيات التطور التكنولوجي والمخبري من جهة أخرى، « فإذا كانت أصوات الكلام تتألف من ظواهر تنتمي إلى عالم الطبيعة والمادة، وجب أن تعتمد في دراسة هذا الجانب منها على العلوم التي تعالج فيزياء الصوت، وعلم التشريح، وعلم وظائف الأعضاء»³.

ولما كان اللهجات العربية حضور في صياغة معالم الدرس اللغوي بمختلف تجلياته المعرفية، لاسيما الصوتية منها، فقد كان من الطبيعي أن تتكشف ملامح دراسة صوتية تعتمد إلى تجلية السمات النطقية والأكوستيكية للخطابات اللهجية، وهو ما ستعتمد هذه الدراسة إلى استجلائه عبر مقارنة صوتية مقارنة .

فلئن كان الخطاب اللهجي يعكس مظهرا من مظاهر التنوع الصوتي والتركيبية، الذي يطرأ على بنية اللغة على المحور التعاقبي، بحيث تطرأ تحولات نوعية على البنية الصوتية للغة الأصلية على مر الزمن، فإن مظاهر التنوع الصوتي تتأتى أيضا على المحور الأفقي الذي يتشكل بتداخل عدد من اللهجات في فترة زمنية معينة.

1- بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 1 / ص 5.

2- ينظر أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 61.

3- سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 01، 2000، ص 9.

إن هذا التباين والتداخل على المحورين العمودي والأفقي، والذي ساهم في إفراز عدد من اللهجات العربية، يستوجب الركون إلى آلية لمقاربة تجلياته اللغوية والتركييبية، ولذا نحسب أن المنهج المقارن، هو أنسب المناهج للوقوف على طبيعة الاختلافات اللهجية للخطاب العربي.

في ظل هذا الطرح، وحتى يتهيأ لنا الوقوف على تجليات المنهج المقارن في الدرس الصوتي العربي، نحسب أن المنهج يحتم علينا تبيان المرتكزات الأساسية التي تنهض عليها المقولات الصوتية، ليتسنى لنا - لاحقاً - تلمس انعكاسات المنهج المقارن فيها.

4-1- المقولات الأساسية للدرس الصوتي العربي:

يشغل الدرس الصوتي مكانة هامة في الدراسة اللغوية، وقد بين اللغويون واللسانيون في العصر الحديث أهمية الدراسة الصوتية في العديد من مؤلفاتهم، ذاكرين مكامن الاستفادة منها، « فهي تشير إلى حقائق عن كيف تصنع الأصوات، وتعطي أسماء لهذه الحقائق وباستعمال المصطلحات التي توفرها الفونتيكا، يمكننا وصف كيف تتميز الأصوات عن بعضها البعض، وتصنف معاً الأصوات التي تشترك في أسلوب معين لإخراجها»¹. فلا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما، أو لهجة ما دراسة علمية، «ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، وأنظمتها الصوتية، فالكلام أولاً وقبل كل شيء سلسلة من الأصوات فلا بد من البدء بالوصف الصوتي للقطع الصغيرة أو العناصر الصغيرة، أي أصغر وحدات الكلمة»².

وقد كان القديما على وعي عميق بفاعلية الدرس الصوتي في سياق الأطروحات اللغوية، وهو ما اتضح من خلال تعاملهم مع المكون الصوتي، الذي شكّل حضوره في

1- شرف الدين الراجحي وسامي عيادحنا، مبادئ علم اللسانيات، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2003، ص198.

2- محمود السعمران، علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997، ص104.

المدونة اللغوية التراثية رافدا حتما يستوجب الاستئناس به لصياغة معالم أي نظرية سواء أكانت معجمية أم صرفية أم نحوية أم بلاغية. وكان هذا التوجه فاعلا بدءا من الإرهاصات الأولى لظهور علم الأصوات على يد الخليل بين أحمد الفراهيدي، ومن ثم سيبيويه وابن جني وجمهور الفلاسفة، الذين اصطبغت لديهم الدراسة بطابع علمي أعمق.

4-1-1-المقولات الفيزيولوجية:

مما لاشك فيه، أن علماء اللغة القدماء اعتمدوا على المعيار الذوقي وتحسس موضع الصوت، حتى يتمكنوا من الوقوف على مخارج الحروف، وذلك لاعتمادهم «على الملاحظة الذاتية للظواهر الصوتية»¹، فكانوا يتذوقون الحروف ويحاولون تحديد مخارجها.

كما أن المطلع على كتب اللغة، يلحظ اختلاف علماء العربية في تحديد عدد مخارج أصوات العربية، ومحور الخلاف هو مخرج الحروف الجوفية أو الهوائية، التي تسمى حروف المد واللين، وهي الألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، فالخليل ومن تبعه يرى أن لها مخرجا مستقلا بها، وبذلك يكون عدد مخارج الحروف عنده سبعة عشر مخرجا، يقول الخليل: « في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا، لها أحياء ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي الواو، والياء، والألف اللينة، والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»².

وعلى هذا الأساس رتب الخليل الحروف الصحيحة والهوائية بحسب مخارجها على

النحو الآتي:

1- عصام نور الدين، مقالات ونقاشات في اللغة، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص8.

2- الخليل، العين، 57/1.

"فالعين والحاء والغين والحاء حلقيه؛ لأن مبدأها من الحلق؛ والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأها من اللهاة؛ والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم؛ والضاد والسين والزاي أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان؛ والتاء والذال نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى؛ والظاء والذال والتاء لثوية، لأن مبدأها من ذلف اللسان؛ والفاء والباء والميم شفوية، لأن مبدأها من الشفة؛ والباء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيء"¹

أما سيبويه فعنده مخارج الحروف ستة عشر مخرجا، وبهذا سار على خطى الخليل، إلا أنه أسقط مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المد واللين، إذ جعل مخرج الألف من أقصى الحلق وجعل الواو المدية من مخرج الياء المتحركة من وسط اللسان، إذ قال سيبويه "ولحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثة"²

الأول: فأقصاها مخرجا: الهمزة، والهاء، والألف.

الثاني: ومن أوسط الحلق مخرج: العين، والحاء.

الثالث: وأدناها مخرجا من الفم: الغين، والحاء.

الرابع: من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.

الخامس: من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

السادس: من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج: الجيم، والشين، والياء.

السابع: من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد.

الثامن: من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وما بين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا، مخرج اللام.

1- المصدر نفسه، 1 / 64 - 65.

2- سيبويه، الكتاب، 4 / 433 - 434.

التاسع: من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون.

العاشر: من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام مخرج: الراء.

الحادي عشر: من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، مخرج: الطاء، والذال، والتاء.

الثاني عشر: مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا، مخرج: الزاي، والسين، والصاد.

الثالث عشر: مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، مخرج: الظاء، والذال، والثاء.

الرابع عشر: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، مخرج: الفاء.

الخامس عشر: مما بين الشفتين، مخرج: الباء، والميم، والواو.

السادس عشر: من الخياشيم، مخرج النون الخفيفة، أي النون الساكنة.

وذهبت طائفة من العلماء إلى عدها أربعة عشر مخرجا ومنهم كما جاء في قول

الداني: « زعم الفراء وقطرب والجرمي وابن كيسان أن مخارج الحروف أربعة عشر

مخرجا، فجعلوا اللام والراء والنون من مخرج واحد وهو طرف اللسان، وجعلهن سيبويه من

ثلاثة مخارج»¹.

1- ينظر: الداني أبو عمر وعثمان بن سعيد الأندلسي، التجديد في الإتيان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، بغداد، ط1988، ص1، ص106.

4-1-2-المقولات الفيزيائية:

تأسست المقولات الفيزيائية لدى القدماء على الملامح التمييزية التي تحددت وفقها صفات الحروف، فقد قسم علماء العربية قديما صفات الحروف قسمين، من حيث التمييز وعدمه وهي: صفات مميزة: والتي من شأنها التمييز بين الأصوات المشتركة في المخرج الواحد مثلا(ث، ذ، ظ)، وصفات محسنة: وهي مجموعة الصفات التي لا ضد لها، وتعطي الصوت جرسه الخاص به دون أن يكون لها سمة التفريق بين الأصوات"¹.

الجه:

عرفه سيبويه بقوله: « حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت»².

ومن الذين عرضوا للأصوات المجهورة بالدراسة والتعريف المبرد إذ قال فيها:«بأنها حروف إذا رددتها ارتعد الصوت فيها»³.

الهمس:

عرفه سيبويه بأنه « حرف أضعف الاعتماد في موضعه وجرى معه النفس»⁴.

ويرى بعض المحدثين أن القدماء قد أحسوا الفرق بين المجهور والمهموس ولكنهم لم تكن لهم معرفة بالوترين الصوتيين، ودورهما في إنتاج الأصوات المجهورة والمهموسة⁵.

1- ينظر: غانم قدوري الحمد، مدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص117.

2- سيبويه، الكتاب، ج4/ ص434.

3- المبرد، المقتضب، 1/ 194.

4- المصدر السابق، 4/434.

5- ينظر، إبراهيم عبود السامرائي، المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، دار جرير، الكويت، ط1، 2011، ص119.

الشدّة والرّخاوة:

- الشدّة عند القدماء:

عرفها سيبويه بقوله: « ومن الحروف الشديدة وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والذال، والباء، وذلك لو أنك قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك»¹.

ولعل هذه المقاربة قد تهيأ حضورها لدى المبرد، في معرض توسمه لصفات الحروف إذ « منها حروف تمنع النفس، وهي التي تسمى الشديدة»²، أما ابن جني فيحددها تحديدا دقيقا حيث يقول: « إلا أن بعض الحروف أشد حصرا للصوت من بعضها ألا تراك في الدال والطاء واللام: أد، أط، أل، ولا تجد للصوت منفذا هناك»³. وعدّد الأصوات الشديدة بقوله: « الشديدة ثمانية أحرف، هي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والذال، والتاء، والباء، ويجمعها اللفظ، أجدت طبقك»⁴.

وقد ورد لدى عبد العزيز الصيغ أن: « علماء العربية ممن جاء بعد سيبويه قد أعادوا تعريفه دون زيادة ومنهم ابن عقيل في "شرح التسهيل"، وابن الجزري في "النشر" والسيوطي في "الهمع"»⁵.

1- سيبويه، الكتاب، 4/434.

2- المبرد، المقتضب، 1/194.

3- ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/70.

4- المصدر السابق، 1/70.

5- عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، بيروت، ط2، 2007، ص117.

الرخاوة:

وقد عرف المبرد الأصوات الرخوة إذ قال: « فأما الرخوة فهي التي يجري النفس فيها من غير ترديد، والشديدة خلافها»¹. والأصوات الرخوة هي: " ف، ث، س، ش، خ، ح، هـ، ذ، ظ، ز، غ، ض، ص"².

بين الشدة والرخاوة (الوسط):

ويوضح المبرد هذا النوع من الأصوات بقوله: « الحروف التي تتعرض بين الرخوة والشديدة هي شديدة الأصل، وإنما يجري فيها النفس، لاستعانتها بصوت ما جاورها من الرخوة»³.

أما السكاكي، فقال: « إذا لم يتم الانحصار ولا الجري كما في حروف قولك (لم يروعا) سميت "معتدلة" ما بين الشدة والرخاوة»⁴.

الإطباق والافتتاح:

الإطباق:

ويعرفه سيبويه بقوله: « إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك الأعلى، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف»⁵.

وذكر ابن دريد الكيفية التي يكون بها الإطباق: « لأنك إذا لفظت بها أطبقت عليها حتى تمنع النفس أن يجري معها»⁶.

1- المبرد، المقتضب، 1/ 195.

2- ينظر عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية، الفونيتيكا، ص 226.

3- المصدر السابق، 1/ 196.

4- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، ت 626 هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد، 1982، ص 4.

5- سيبويه، الكتاب، 4/ 436.

6- ابن دريد، جمهرة اللغة، 1/ 8.

كما حدد مكي بن طالب الأصوات المطبقة إذ قال: « حروف الإطباق: هي أربعة: الطاء، والظاء، والصاد، والضاد، وإنما سميت بحروف الإطباق، لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك الأعلى عند النطق بهذه الحروف، وتتحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم»¹.

وانطلاقاً من التعاريف السالفة الذكر للإطباق، فالصوت المطبق هو الصوت الذي ينطبق « عند النطق به - طرف اللسان وما يحاذيه من سقف الحنك، على تفاوت في درجة الانطباق، فهو تام في "ط" ومتوسط في "ص وض" ونسبياً في "ظ"»².

الانفتاح:

عرف سيبويه الانفتاح في مقابل الإطباق بقوله: « فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى، وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك الأعلى... وأما الذال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضع لسانك في مواضعهن، فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بين بصر الصوت، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها»³.

وقد ذكر مكي بن طالب صفة الانفتاح وسبب التسمية بقوله: «الحروف المنفتحة وهي خمسة وعشرون حرفاً، وهي ما عدا حروف الإطباق المذكورة، وسميت بالمنفتحة لأن

1- مكي بن طالب، الرعاية، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط2، 1984، ص117.

2- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 203/1.

3- ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ص18.

اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك الأعلى عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك، وتخرج الريح عند النطق بها»¹.

الاستعلاء والاستفال:

الاستعلاء:

عرفه ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) في قوله: «ومن الحروف أيضا حروف الاستعلاء وحروف الانخفاض، ومعنى الاستعلاء: أن تتصعد في الحنك الأعلى، وهي سبعة أحرف (الخاء، والغين، والقاف، والضاد، والطاء، والصاد، والطاء)، وما سوى ذلك من الحروف منخفض»².

وفي السياق ذاته، يوضح السيوطي سبب تسمية هذه الزمرة من الحروف بهذه التسمية، إذ يشير إلى أنها «سميت المستعلية لأن اللسان يعلو إلى الحنك عند النطق بها، فينطبق الصوت مستعليا بالريح وضدها المنخفضة، ويقال المستقلة، لأن اللسان لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك بل يستقل بها إلى قاع الفم عند النطق»³.

الاستفال:

ملمح صوتي تمييزي، «وهو انخفاض أقصى اللسان عند النطق بالصوت إلى قاع الفم، وإنما سميت مستقلة لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك، كما يستعلي عند النطق بالحروف المستعلية»⁴. والحروف المستقلة اثنان وعشرون حرفا، وهي ما عدا الحروف المستعلية⁵.

1- المصدر السابق، ص 123.

2- الخفاجي، سر الفصاحة، ص 31.

3- السيوطي، همع الهوامع، 2/230.

4- مكي بن طالب، الرعاية، ص 124.

5- ينظر المصدر نفسه، ص 123-124.

التخخير والترقيق:

التخخير: « هو تغليظ الحرف أو تسمينه وذلك بجعله في المخرج سميئا، وفي الصفة قويا فيمتلئ الفم بصداه، فيسمع مغلظا»¹.

الترقيق:

ويتأتى الترقيق من خلال « تحفيف الحرف بجعله في المخرج نحيفا وفي الصفة ضعيفا، فيرق صوته ولا يمتلئ الفم بصداه، والحروف المستقلة كلها مرققة لا يجوز تخخير شيء منها إلا اللام من اسم الله تعالى بعد فتحة أو ضمة إجماعا، أو بعد بعض حروف الإطباق في بعض الروايات، وإلا الراء المضمومة أو المفتوحة مطلقا في أكثر الروايات والساكنة في بعض الأحوال»².

القلقلة:

ويعرف سيبويه الأصوات المقلقلة بقوله: «أما صوت القلقللة الذي يسمع عند الوقف على حروف (قطب جد)، فإنه صوت ناتج من انفتاح مخرج الصوت الشديد، وهو مكمل للصوت، لكنه يكون أكثر وضوحا في الوقف منه في درج الكلام»³.

وكذلك عرض ابن جني لهذه الصفة، إذ عرفها وذكر حروفها وسبب التسمية، وذلك عند حديثه عن أقسام الحروف، ومما جاء في قوله عنها ما يلي: «واعلم أن في الحروف حروفا مشربة، تحفز في الوقف، وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقللة، وهي: القاف، والجيم، والطاء، والذال، والباء، لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت»⁴.

1- عبد الفتاح السيد المرصفي، هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، 1 / 103.

2- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1 / 215.

3- سيبويه، الكتاب، 4 / 174.

4- ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1 / 73.

الصفير:

ذكر سيبويه الصفير في معرض حديثه عن إدغام أصوات الصفير قائلاً: «وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن لأنهن حروف صفير»¹، وقد سميت بهذه التسمية «لأن الصوت يخرج منها عند النطق بها يشبه الصفير»².

اللين:

اللين بحسب تحديد سيبويه صفة تختص بـ« صوتي الواو والياء غير المديتين دون الألف، فقال: "ومنها اللينة وهي الواو والياء»³.

النكرين:

وهو صفة لصوت الراء، والمكرر عند سيبويه: «حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يجر الصوت فيه وهو الراء»⁴.

ونخلص مما سبق أن العلماء العرب القدماء قد وفقوا إلى حد كبير في الوقوف على مخارج الأصوات وصفاتها، رغم اعتمادهم على قدراتهم الذاتية وحسهم المرهف، وكذا افتقارهم للوسائل التكنولوجية المتطورة والمختبرات العلمية، حيث لا تختلف النتائج التي توصلوا إليها كثيراً عما توصل إليه المحدثون⁵.

1- سيبويه، الكتاب، 4/346.

2- ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص 100 - 101، وينظر، النشر، 1/203.

3- المصدر السابق، 4/425.

4- المصدر نفسه، 4/343.

5- ينظر: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص 95.

إن المنظومة الصوتية التي تمكن القدامى من صياغة معالمها، تعكس الخصوصية المادية والوظيفية لأصوات النظام اللساني العربي، إلا أن هذا المعطى لا ينفى ارتهان القدامى إلى التنوعات الصوتية التي تفرزها اللهجات العربية، والتي تم على إثرها الوقوف على تفرعات الأصوات العربية، وفقا لضبطية النظام الصوتي من جهة، والتنوعات الألفونية التي يفرزها المكون الصوتي للخطاب اللهجي.

4-2- تجليات المنهج المقارن في الدرس الصوتي التراثي:

إن المتأمل في نسق ابتداء الأطروحات الصوتية التراثية، يلحظ أن علماء اللغة القدامى قد باشرُوا صياغة منظومتهم الصوتية على أساس الامتثال لمعطيات النظام الصوتي المستقى من اللسان العربي، والاسترشاد ببعض التأثيرات اللهجية للقبائل العربية، ولهذا قسموا الحروف إلى حروف أصول وأخرى فروع.

وقد كشفت معالم هذا التقسيم بدءاً من الدرس الصوتي الذي انبثقت أولياته على يد سيبويه، الذي أشار إلى انقسام حروف العربية صنفين، أحدهما أصلي وثانيهما فرعي، ويتضح ذلك من خلال قوله: « فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً... وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة، يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجم، والصاد التي كالزاي، وألف التخميم، يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم الصلاة والزكاة والحياة»¹.

ثم يضيف سيبويه إلى هذه الحروف حروفاً ثمانية، يصفها بأنها غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهذه

1- سيبويه، الكتاب، ج4، ص572.

الفروع هي: « الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والطاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء. وهذه الحروف التي تتمتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلا بالمشافهة»¹.

وقد نتج عن الأخذ بهذا التقسيم، التعامل مع (الأصول) بوصفها ثوابت النظام الصوتي لتحديد مخارج الحروف وصفاتها، مما استوجب اللجوء إلى ما تفرزه اللغة العربية المعيارية (اللسان العربي)، في حين أدى الأخذ بالفروع إلى اللجوء إلى التنويعات الصوتية التي تفرزها اللهجات العربية، « حيث لا يخرج الحرف الفرعي عن كونه من لغات القبائل، مثل همزة بين بين، وألف الإمالة، أو مجاورة حرف لحرف آخر مثل الصاد المسموعة كالزاي، لمجاورة الصاد في نحو (مصدر) المهموس حرف الدال المجهور»². أو « لكنة أعجمية من نحو تغيير الطاء والتاء حرف شديد مهموس، ولا فرق بينه وبين الطاء سوى اتخاذ اللسان شكله المقعر المنطبق على الحنك الأعلى ورجوعه إلى الورا قليلًا، لذلك عدّ من حروف الإطباق»³، وهو ما نتج عنه تقسيم الحروف إلى حروف مستحسنة وأخرى مستهجنة.

إن التفريع الذي أشار إليه "سيبويه"، والذي انقسمت على إثره الأصوات العربية، إلى حروف أصول وأخرى فروع، لا يخلو من ملامح حدائية، تكرست أبعادها في الفونولوجيا الحديثة، التي أحالت الصنفين إلى تنوعات مشروطة وأخرى غير مشروطة.

1- المصدر السابق، ص572.

2- غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، عمان، الأردن، ط3، 2007، ص172.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص62.

تنوعات مشروطة (أوفونات مقيدة): يعد هذا الصنف من التنوعات، «تنوعا اضطراريا، يحصل عند تركيب الحروف في الكلمة، فيؤثر كل صوت في الآخر، وهذه التأثيرات ناتجة عن التفاعلات بين الأصوات داخل سياق الكلام»¹.

تنوعات غير مشروطة: ويوصف هذا الصنف أيضا بأنه تنوع لهجي خاص بجماعة من الناطقين... إذ تؤدي هذه الجماعة صوتا من الأصوات بطريقتها الخاصة، وغالبا ما ترجع أسباب هذا التنوع إلى عوامل اجتماعية وتاريخية².

يتجلى من خلال هذا الطرح، أن الأصوات الفروع نوعان، نوع يعكس التنوع الموقعي للأصوات الأصول وذلك نحو: الجيم التي كالشين في (مجتمع، اجتهد، اجتمعوا) والصاد التي تنطق كالزاي في نحو(مصدر)، ونوع ثان يتمخض عن تنوع لهجي يمكن سماعه في نطق بعض القبائل العربية مثل: ألف التخميم بلغة أهل الحجاز، وألف الإمالة وغيرها.

وهذه التنوعات النطقية كما أشار سيبويه "لا تتبين إلا بالمشاهدة" مما يعني أن هذه الأصوات لا تظهر إلا في سلسلة الكلام، سواء أكانت هذه التنوعات موقعية (تركيبية) أم لهجية، وهي لا تؤدي إلى تغيير المعنى، بدليل أنها لم تحظ برموز كتابية خاصة بها على غرار الحروف الأصول³.

إن هذا التقسيم لم يكن حكرا على علماء اللغة، وإنما امتد ليستقر لدى علماء القراءات القرآنية، حيث كان لعلماء التجويد اهتمامات واضحة بفكرة تقسيم الأصوات إلى أصول وفروع، فقد ذكر القرطبي الحروف بصنفها المستحسنة والمستهجنة، إذ أضاف

1- ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص72.

2- المرجع نفسه، ص73.

3- ينظر: مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1998، ص20.

على ذلك حروفاً أخرى زيادة على التي قال بها سيبويه وهو ما يتضح من خلال قوله: « إن حروف العربية تبلغ على قياس ما عدّه سيبويه اثنين وخمسين حرفاً، ولا أجد هنا ضرورة لعرضها»¹.

صور من الأصوات الفروع في لهجات القبائل العربية:

أشار سيبويه في معرض حديثه عن انقسامات الحروف العربية، إلى آلية اهتدائه لهذا التقسيم القائمة أساساً على إجرائية المشافهة، والارتهان إلى العامل النطقي في تقسيمه للحروف الفروع، إلا أنه لم يقدم أنموذجاً واضحاً يبيّن من خلاله كيفية النطق والملاحم التمييزية للأصوات الفروع، حيث اكتفى بسرد تعدادها وتبيان نوعها على نحو يعكس تقاطعها مع الحروف الأصول حيناً، ومخالفتها لها حيناً آخر. وفيما يلي بعض النماذج من لهجات القبائل العربية التي تتفق في بنائها الصوتي مع الأصوات الفروع التي ذكرها سيبويه، والتي تعد في حقيقتها مظهراً لهجياً أقرت به كثير من الدراسات اللغوية القديمة منها والحديثة:

النون الخفيفة:

تعد النون الخفيفة ملمحاً لهجياً تنويعياً، وقد اعتبر علماء التجويد إخفاء النون مظهراً من مظاهر قراءة القرآن، وهي « النون الساكنة المتبوعة بحروف الإخفاء»². مما يؤدي إلى ضياع الكثير من خصائصها الصوتية واكتسابها من الصوت الذي يليها.

1- عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، د ت، ص 81-87.

2- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، ص 52.

الهمزة التي بين بين:

لقد شرح سيبويه هذا المصطلح، وهو أول من جاء به في قوله: «هذا باب الهمز، اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق والتخفيف والبدل... وأما التخفيف فتصير الهمزة بين بين... اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزینتها مخففة، غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي لأنك تقربه من هذه الألف، وذلك قولك سأل في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم»¹. وهذا يعني أن أهل الحجاز يميلون إلى التخفيف، بينما يميل بنو تميم إلى تحقيق الهمز.

الألف التي تمال إمالة شديدة:

وقد عبر عنها سيبويه بقوله: «هذا باب ما تمال فيه الألفات، فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك عبد، ومساجد، وعذافر، وهابيل... وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها منها»².

والقبائل التي ارتبط اسمها بالإمالة وتكرر في كتاب سيبويه، هي بنو تميم وقوم من قيس وأسد، كما وردت عبارة (يميلها فيه ناس كثير من العرب)، وفي بعض المواطن وردت عبارة (وأهل الحجاز لا يميلون)³. وهذا كله يشير إلى أن الإمالة ألصق ببني تميم منها بالحجازيين.

الشين التي كالجيم:

ويحدث هذا إذا وقعت الشين المهموسة بجوار صوت مجهور مثل الدال أو الجيم أو الباء وما شابه، ولا بد من كون الشين ساكنة، ففي مثل هذه الحال يؤثر الصوت

1- سيبويه، الكتاب، ج2، ص163.164.

2- المصدر نفسه، ج2، ص259.260.

3- ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص262.263.

المجهور على الصوت المهموس (الشين) تأثيراً رجعياً، فيكسبه شيئاً من الجهر، فإذا كان صوت الجيم والشين متجاورين، ومتحدين في المخرج، فإن اكتساب أحدهما من الآخر بعض صفاته يجعله مثله، ومن أمثلة هذه الظاهرة¹:

[أشدق] [أجدق]

[مشدود] [مجدود]

[مشغل] [مجغل]

[أشجار] [أجار]

الصاد التي كالزاي:

إن السبب الذي دعاهم إلى تقريب الصاد من الزاي هو التخفيف، وقد عبر سيبويه عن هذا بقوله: «وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا أسنتهم في ضرب واحد، إذ لم يصلوا إلى الإدغام... وبعض العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة فيقولون في قصد: قزد، وعندئذ تبدل الصاد زايا ولا تكون صاداً شبيهة بالزاي»².

ألف التخيم:

شرح ابن جني ألف التخيم فقال: «فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم: سلام عليكم وقام زيد. وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو»³. وقد نسبها سيبويه إلى لغة أهل الحجاز ومثّل لها بكلمات الصلاة والزكاة والحياة⁴.

1- ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001 ج10، ص137، وينظر: الرضي الأستربادي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ج3، ص200-206.

2- سيبويه، الكتاب، ج2، ص426.

3- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص56.

4- المصدر السابق، ج2، ص426.

الكاف التي بين الجيم والكاف:

لا يعرف النطق الحقيقي لهذا الصوت لأن سيوييه لم يمثل له، غير أن ابن عصفور مثل له فقال: « بفروع مستحسنة لا توجد إلا في لغة ضعيفة، وهي الكاف التي كالجيم نحو جمل في كمل»¹. ويبدو أن هذا الصوت غير المستحسن يعود إلى كونه صوتاً محدود الانتشار، كان يشيع في عوام أهل بغداد بصورة طاغية شبيهة بالثلثة².

الجيم التي كالصا:

لم يذكر سيوييه تمثيلاً لهذه الجيم، غير أن ابن عصفور أورد مثالاً لها، فكلمة "رجل" تصبح "ركل" ragul، وهو بذلك يجعل هذه الجيم أختاً للجيم القاهرية ومطابقة لها³.

الجيم التي كالسين:

وقد مثل لها ابن عصفور بكلمة [اجتمعوا] التي تصير بهذه الجيم (اشتمعوا)⁴.

الضاد الضعيفة:

من العرب إذا نطق كلمة تشتمل على صوت متبوع بحرف مفخم مجهور، يحدث في نطق الثاء شيء من عدوى الترخيم والجر الضعيفة، فتصير الثاء بذلك ضادا ضعيفة مثل كلمة "أثر" التي تعتبر "أضر".

الصاد التي كالسين:

صوت الصاد المفخم ونظيره السين المرقق يشتركان في صفات كثيرة، فهما من مخرج واحد، ومن الأصوات الاحتكاكية، ومن أصوات الهمس والصفير، وهذا ما يجعل

1- ابن عصفور الإشبيلي، المقرب، تحقيق: الجوّاري والجبوري، مطبعة العاني، بغداد، 1971، ج 1/ ص 326.

2- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1979، ص55.

3- نقلا عن تمام حسان، المرجع نفسه، ص55.

4- ينظر: جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح قرمادي، مركز البحوث والدراسات، تونس،

1966، ص89.

تأثر الصوتين ببعضهما سهلا إذا تهيأت الظروف لذلك، وقد مثل اللغويون لهذا الصوت بكلمات مثل "1":

[سابر] في [صابر]

[سبغ] في [صبغ]

[سائر] في [صائر]

الطاء التي كالتاء:

من المعروف أن التفخيم والترقيق هو أوضح ما يفرق بين الطاء والتاء، فإذا أشبهت الطاء التاء فقدت تفخيمها، ومثل ذلك في كلام العرب كلمة "طال" التي تصير إلى صورة "تال".

الطاء التي كالتاء:

وفي وصفها يقول المقدسي: "هي تسمع من عجم أهل المشرق كثيرا، لأن الطاء في أصل لغتهم معدومة، فإذا احتاجوا إلى النطق بشيء فيه طاء تكلموا ما ليس في لغتهم فضعف نطقهم"2. مما يعني أنه صوت أعجمي انتقل إلى العربية بمخالطة العرب للأعاجم.

الباء التي كالفاء:

وقد وصف ابن سينا هذا الصوت الفارسي مشيرا إلى ملامحه المشدودة الواقعة في لغة الفرس عند قولهم (بيروزي)، وتحدث بشد قوي للشفتين عند الحبس وقلع بعنف وضغط للهواء بعنف". وهذا الصوت ينطبق على صوت p، ووصف ابن سينا صوتا آخر وهو فاء تشبه الباء، فقال "وتقع في لغة الفرس عند قولهم (فروني) تفارق الباء بأنه ليس فيها حبس تام" وهذا الوصف ينطبق على صوت v، وعلى هذا فإنه من غير المستبعد أن

1- ينظر ابن عصفور، المقرب، ج1/ص226.

2- المقدسي (ابن غانم)، بغية المرتاد لتصحيح لغة الضاد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، دت، ص28.

يكون صوت الباء التي كالفاء قد تولد عن تأثير هذين الصوتين الفارسيين، ومما يؤكد هذا تعرب الفرس ودخولهم في الإسلام واختلاط العرب بهم في الحياة.¹

ومن العلماء الذين أشاروا إلى هذا التنوع الصوتي ابن عصفور حيث قال: «والباء التي كالفاء، وهي على ضربين: أحدهما لفظ الباء أغلب عليه من لفظ الفاء والآخر بالعكس، نحو: بلج»². فربما قصد بالأول صوت /p/ وقصد بالثاني صوت /v/ .

ونخلص مما سبق أن سيبويه وبعبقرية فذة توصل إلى أن كل حرف مكتوب هو أصل تتفرع عنه تنوعات صوتية هي فروع له، وهو بذلك قارب نظرية الفونيم وما يتفرع عنها من ألوفونات التي أقرت بها الدراسات الصوتية الحديثة، وأن عبارته التي وصف فيها صعوبة التعبير عن هذه التنوعات الصوتية في (أنها لا تتبين إلا بالمشاهدة) تعد إرهابا يبعث على تحفيز علماء الأصوات المحدثين على صياغة ألفبائية صوتية تكون قادرة على تسجيل كل تنوع صوتي (ألوفون) يظهر في الاستعمال اللغوي وعلى المستوى اللهجي.

ولئن كان علماء اللغة قد استرشدوا بمعالم المغايرة النطقية بين الحروف الأصول والفروع، إثر التفريق بين أصوات النظام اللساني العربي، والتنوعات الصوتية التي يحدثها التنوع اللهجي، فإن مجال الاشتغال الصوتي الذي تكشفت ملامح المقارنة فيه لدى الفلاسفة ارتكزت على المقارنة بين الصوت اللغوي والصوت الموسيقي، وهو ما تبدى من خلال تلك المقاربة بين الجهاز النطقي وبعض الآلات الموسيقية، قصد «بيان فصول وأعراض تحقيق الأصوات مطلقا لبيان أصناف الألحان التي تلتئم عن أنغام الآلات

1- ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 57.

2- ابن عصفور، المقرب، 1/ ص 326.

الموسيقية، وأنواع الألحان التي تأتلف عن النغم الكائنة بالتصويت الإنساني على سبيل التشابه والتساوي والتمزيج»¹.

فقد ساهم الفلاسفة المسلمون في إثراء الدرس الصوتي، فأولّوه عناية خاصة وسجلوا فيه جهوداً معتبرة، وتجلّى ذلك في جهود كل من ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف، التي اشتملت على ستة فصول، الفصل الأول في حدوث الصوت، والفصل الثاني في سبب حدوث الحروف، والفصل الثالث في تشريح الحنجرة واللسان، الفصل الرابع: في الأسباب الجزئية لحرف من حروف العرب، وكان الفصل الخامس في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب، وهي الأصوات التي سمعها ابن سينا في لغات أخرى غير العربية، مثل: السين الزائفة، والزاي السينية، والزاي الظائفة، والفاء الشبيهة بالباء، والفصل السادس في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية.²

ترد محصلة هذا المأخذ، استناداً إلى طبيعة البحث لدى الفلاسفة العرب وكذا إسهاماتهم الثرة والفاعلة في بناء المنظومة العلمية العربية، ولعل من أبرز ما نضخته جدّة البحث لديهم وقوفهم على الجانب الفيزيائي للظواهر الصوتية مما مكنهم من دراسة الجوانب الطبيعية في الظاهرة الصوتية، ورصدها رصدًا يهيئ لهم الوقوف على الكثير من حقائقها، ومحاولة تفسيرها، وهو مسار أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة صحته.

وعلى حذو هذا المسلك من الطرح الذي نهجه الفلاسفة العرب في تحليلهم للظواهر الصوتية في رحاب التشافع المعرفي بين هذا التحليل، وما تجود به باقي التخصصات كالطب والفيزياء، نجدهم يحددون طبيعة العلاقة بين الصوت اللغوي والصوت الموسيقي، مبرزين خصائص إيقاعية التي تخص لغة ما بجانب من التفرد الذي يحول دون تشابها

1 - مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، ص9

2- ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص102.

بغيرها من الأمم. وعليه فإنّ « الفحص عن الأصوات وعن النغم من جهة الأشياء التي هي أسباب حدوثها ووجودها، وأسباب الأشياء العارضة لها، وتلك الأشياء التي ينظر فيها صاحب العلم الطبيعي، فإذا يلزم صاحب هذه الصناعة أن تكون له معرفة أمور طبيعية يأخذها مبادئ لما في صناعته، وتلك الأجسام التي توجد فيها أصوات، وأي حال تكون في الجسم حتى يكون له صوت، وأي شيء يكون فيه حتى لا يكون له صوت، ثم الأجسام التي توجد فيها نغم والتي لا توجد فيها، والأسباب التي توجد فيها، والأسباب التي تجعلها عديمة النغم»¹.

الأمر الذي لا يكاد يخرج عما أبان عنه إخوان الصفا حين اهتموا بالموسيقى وعلاقتها بالصوت، فضلا عن ذكرهم أصوات الطبيعة التي لها علاقة واسعة بالموسيقى، حيث « إنه لو لم يكن لأهلها فائدة من القوة السامعة، الموجودة فيهم، فإن لم يكن لهم سمع، فهم صمّ بكم عمي، وهذه حال الجمادات الجامدات الناقصات الوجود»².

وفي معرض هذا التحليل أبان (إخوان الصفا) عن أن الصوت الموسيقي، يتشذر عن الأصوات الحيوانية الآلية، فالأصوات لديهم حيوانية وغير حيوانية، حيث إنّ الأصوات الحيوانية، تكون طبيعية وآلية، فالطبيعية كأصوات الحجر والرعد، والآلية كصوت الطبل والبوق³.

1- الفارابي (أبو نصر محمد)، الموسيقى الكبير، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي، القاهرة، د ت، ص 169 - 170.

2- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، بيروت، د ت، د ط، 1/ 206-207.

3- ينظر: المرجع نفسه، 1/ 188-189.

4-3- المقولات الحدائثة للدرس الصوتي العربي:

انفتحت الدراسات الصوتية الحدائثة على آفاق تحليلية، تمكنت فيها من مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهدته الحقول المعرفية المادية، وهو ما أدى بالدراسة إلى الاصطباغ ببعد إجرائي أعمق، نتج عنه انبثاق فروع معرفية، عكفت على احتواء التمظهرات المادية والوظيفية للمكون الصوتي عبر آلية إجرائية، تمكنت من التخلص من الحس الذوقي الذي كان سائدا في التراث اللغوي القديم.

في ظل هذا الطرح المتجدد، استطاعت الدراسات الصوتية الوقوف على توصيف علمي للصوت اللغوي، باختراق مجالات البحث الفونتيكي التي تحرص على تبيان البعد المادي للصوت اللغوي، بخلاف الطرح الفونولوجي الذي يتوخى الوقوف على العامل الوظيفي للصوت داخل النسق اللغوي .

إن هذا التقسيم الذي تفرعت فيه الدراسة الصوتية إلى دراسة فونتيكية وأخرى فونولوجية، أدى إلى ظهور ميادين متنوعة للدراسة الصوتية، عمدت إلى إخضاع الصوت البشري لمحددات الرؤية التطبيقية والمنهجية لعلم اللغة الحديث، فكان أن تباينت فروع علم الأصوات على النحو يستجيب لذلك التطور العلمي والتكنولوجي من جهة، والتصور المنهجي للدرس اللساني من جهة أخرى¹.

ولاشك، أن الدراسات الصوتية العربية الحديثة، لم تبق بمنأى عن التحول المنهجي والإجرائي الذي شهدته الدرس الصوتي، ولذلك ألفينا انبثاق معرفة صوتية متجددة، تنهض على مقولات فيوبولوجية وفيزيائية استثمرت البعد العلمي الذي أفرزته ميادين الدراسة الصوتية، لاسيما على الصعيدين الفيزيولوجي والفيزيائي.

1- حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، ط1، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2005، ص16. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص102، خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص44.

4-3-1- المقولات الفيزيولوجية للدراسة الصوتية لدى المحدثين:

مما لا ريب فيه، أن انفتاح الدراسة الصوتية على البعد التشريحي للجهاز النطقي أدى إلى الوقوف على مخارج الحروف العربية بمنأى عن الحس الذوقي القديم. وعليه أجمعت جل التحليلات الصوتية على أن تعداد المخارج ينحصر في عشرة مخارج، يمكن إثباتها على النحو الآتي¹:

الحنجرة: ويسمى الصوت الخارج منها صوتاً حنجرياً، والأصوات الحنجرية هي (الهمزة والهاء).

الحلق: ويسمى الصوت الخارج منها صوتاً حلقياً، والأصوات الحلقية (العين والحاء).

اللسان: ويسمى الصوت الخارج منها صوتاً لسانياً، والأصوات اللسانية هي (القاف).
الطباق: ويسمى الصوت الخارج منها طباقياً، وأصوات الإطباق هي (الكاف، والغين والحاء).

الغار: ويسمى الصوت المنسوب إليها غارياً، والأصوات الغارية هي (السين، والجيم، والياء).

اللسان: ويسمى الصوت الخارج منها لسانياً، والأصوات اللسانية هي (اللام، الراء والنون).

الأسنان واللسان: تسمى الأصوات التي مخرجها الأسنان بمصاحبة اللسان أصواتاً أسنانية لسانية وهي: (الضاد، والذال، والثاء، والطاء، والزاي، والسين، والصاد).
الأسنان: وتسمى الأصوات الخارجة منها أسنانية، وهي (الذال، والطاء، والثاء).

1- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1981، ص 319-325، ووفاء البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط1، 1994، ص 1480-1481، ورمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخاجي، مصر، ط3، 2013، ص 30-31.

الشفة والأسنان: ويسمى الصوت الخارج منها شفويا أسنانيا، والصوت الخارج منه صوت (الفاء).

الشفة: ويسمى الصوت الخارج منها شفويا وهي (الباء والميم والواو).

4-3-2- المقولات الفيزيائية للدراسة الصوتية لدى المحدثين:

يمكن تمييز الأصوات العربية من خلال صفات خاصة، نتمكن من خلالها تبيين كيفية النطق بكل صوت منها، ومن هذه الصفات ماله ضد وتسمى بالصفات المتضادة، وهي إحدى عشرة صفة، ومنها ما ليس له ضد وتسمى بالصفات التي لا ضد لها وهي ثمانية.

الصفات المتضادة للأصوات العربية:

الجه والهمس:

الجه (voiced):

وهو الصوت الذي تصحبه نبذبة الوترين الصوتيين، وتسمى حروفه بالمجهورة، وهي ستة عشر حرفا يجمعها قولهم: (عظم وزن قارئ ذي غضد طلب): وهي حروف "أشبع الاعتماد في مواضعها فمنع النفس أن يجري معها حتى ينقضي الاعتماد فيجري النفس".¹

1- ينظر: إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1983 ص40.

الهمس (Voice less):

وهو الصوت الذي يبقى الوتران الصوتيان معه مفتوحين دون نذبذة وتسمى حروفه بالمهموسة، وهي عشرة حروف يجمعها قولهم (فحته شخص سكت)، وسميت بذلك لأنها «حروف أضعف الاعتماد في مواضعها فجرى معها النفس»¹.

الشدّة والرخاوة وبينهما النوسط:

الشدّة:

وهو أن يحدث الصوت عن طريق التقاء عضو بآخر التقاء فجائيا وعندما ينفصلان يحدث الصوت، وتسمى حروفه بالشديدة لكمال الاعتماد على المخرج، وعددها ثمانية حروف يجمعها قولهم (أجدت طبقك) أو (أجد قط بكت) أو (أجدك قطبت)².

الرخاوة:

وهو أن يكون الالتقاء بين الوترين الصوتيين ليس شديدا يسمح بمرور صوت احتكاكي، وعددها خمس عشر حرفا بإخراج صوت الضاد وإضافة الواو والياء والعين وحروفه هي: (ه، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ذ، ف)، وسميت بذلك لأنها لا تمنع الصوت أن يجري فيها لرخاوتها³.

1- ينظر: المرجع نفسه، ص 40.

2- ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 112.

3- ينظر، فرج توفيق الوليد، قواعد التلاوة وعلم التجويد، دار الرسالة، بغداد، ط 1974، ص 1، ص 32.

النوسط:

وهو أن الصوت بين بين، أي لا يجري الصوت جريان الرخاوة، ولا محصور انحصار الشديدة، وإنما اعتبر الإسكان في أحواله أبين، وحروفه خمسة يجمعهم قولهم (رمل)¹.

الاستعلاء والاستفال:

الاستعلاء:

يعني ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف، وحروفه سبعة يجمعها قولهم: (خص ضغط قض)، وسميت بذلك لتصعد الصوت واستعلائه بعد الاعتماد على المخرج، أما الاستفال فيعني انخفاض اللسان عن الحنك الأعلى إلى قاع الفم عند النطق بحروفه، وهي اثنان وعشرون حرفاً، أي غير حروف الاستعلاء السبعة، وسميت كذلك لأنها لا يمكن الاستعلاء بها بعد الاعتماد على المخرج².

الإطباق والافتتاح:

الإطباق:

وهو أن ينطبق اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بحروفه، وهي أربعة: (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء) وسميت بحروف الإطباق لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف³، وعد المحدثون الحروف التي تملك صفة التفخيم من مجموعة الحروف المطبقة كالراء واللام والقاف والخاء والعين⁴.

1- ينظر: المصدر السابق، ص32.

2- ينظر: أبو عمر الداني، التحديد في الإتيان والتجويد، ص127.

3- ينظر إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص55.

4- ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص89.

الانفاح:

وهي الحروف التي لا ينطبق اللسان بها على الحنك الأعلى بعد اعتمادها على مخارجها بحيث يخرج الهواء من بينها عند النطق بحروفها، وحروفها خمسة وعشرون حرف، وهي عدا حروف الإطباق الأربعة¹.

الإذلاق والإصمات:

الاذلاق:

ذلق اللسان يعني طرف اللسان، ويقصد بالإذلاق سرعة النطق بالحرف لخروجه من طرف اللسان، أو من الشفتين، وتسمى حروفه بالذلقية (المذلفة)، وهي ستة أحرف يجمعها قولهم (فرمن لب)².

الإصمات:

يعني امتناع حروفه من الانفراد أصولاً في الكلمة الرباعية أو الخماسية، وحروفه ثلاثة وعشرون حرفاً، وهي ما عدا حروف الإذلاق، وسميت بالحروف المصمتة، لأنها حروف منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب إذا أكثر حروفها، لصعوبتها على اللسان، لذلك لا تنفرد بنفسها بكلمة كثيرة الحروف، أي إذا تجاوزت ثلاثة، إلا إذا كان معها غيرها من الحروف المطلقة³.

1- ينظر إبراهيم العطية، م س، ص 55.

2- ينظر، فرج توفيق الوليد، قواعد التلاوة، ص 38.

3- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص 202-203.

الصفات التي لا ضدها في الأصوات العربية: أ- الصغير:

يعد الصغير حالة من حالات الصوت الرخو، وذلك لخروجها « من بين الشفتين، وحروفه ثلاثة: (الصاد، الزاي، السين) وسميت بحروف الصغير لأنهن يحدثن صوت كأنه صوت صغير الطائر، لأنها تخرج من بين الثنايا، وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك ويأتي كالصغير، وأقوى هذه الحروف الصاد لما فيها من استعلاء وإطباق»¹.

ب- القلقة:

وتعني التحرك والاضطراب، قال سيبويه في هذا السياق: « واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت عليها خرج معها من الفم صوت ونبا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقة»²، وحروفها خمسة يجمعها قوله: (أجدك قطبت) وتنقسم القلقة إلى ثلاثة أنواع:³

الانحراف:

ويعني خروج الهواء من أحد طرفي اللسان أو كليهما معا، وحروفه اثنان اللام والراء، فاللام في البحث الصوتي الحديث صوت لثوي يتم نطقه باتصال طرف اللسان باللثة، فيها انحراف وميل صفتها من الرخاوة إلى الشدة، لا نصرفها إلى ناحية طرف اللسان، أما الراء فإنها تنحرف عن مخرج النون الذي هو أقرب المخارج إليها، إلى مخرج اللام، وهو أبعد المخارج عنها وعن مخرج النون، لذلك سمي صوتا منحرفا⁴.

1- ينظر: سيبويه الكتاب، ج4، ص464.

2- ينظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج4، ص203.

3- المصدر السابق: ج4، ص174.

4- ينظر: إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص60.

النكراس (النكرين) (rolled):

ويعني ارتعاد رأس اللسان حال النطق بصوت الراء وحرف الراء وحده قابل للتكرير لما يصاحبه من ضربات متلاحقة عند النطق، وسمي بحرف التكرير لكي يتجنبه القارئ فعند النطق به يجب على القارئ أن يلحق ظهر لسانه بأعلى الحنك بحيث لا يرتعد¹.

النشبي:

ويقصد به انتشار الهواء من الفم عند النطق بصوت الشين، ومجهورها صوت (j) بالإنجليزية، فعند النطق بها يلتصق اللسان على الحنك الأعلى حتى يتصل بمخرج الظاء².

الاسطالته:

ويقصد به امتداد الصوت من أول إحدى حافتي اللسان إلى آخرها، وحرفه الضاد وحده، لما فيه من القوة والجهر والإطباق والاستعلاء، ويمتد في مخرجه إلى أن يتصل بمخرج اللام من دون أن تضرب بسقف الحلق³.

الغنة:

صوت يخرج من الخيشوم ويكون أغنا مجهورا شديدا، وحروفه (الميم والنون) وتكون الغنة في الحرف المشدد أكمل منها في المدغم، وفي المدغم أكمل منها في المخفي، وفي الحرف المخفي أكمل منها في الساكن المظهر، وفي الساكن أكمل منها في المتحرك. وهذه مراتب الغنة في حالة التشديد، والإدغام، والإخفاء، أما الساكن المظهر، والمتحرك فالموجود فيها أصلها⁴.

1- ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب ج1/ص72.

2- ينظر في البحث الصوتي عند العرب، ص56.

3- القسطلاني شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ت(923هـ)، لطائف الإشارات، تح عبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1392هـ، ج1، ص202.

4- غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص95.

اللين:

ضد الخشونة، أي السهولة، والتنعيم، ويقصد به إخراج الحرف في اللين وعدم كلفة على اللسان، وخروجه بسهولة حال النطق به، وحروفه (الواو والياء) الساكنتان المفتوح ما قبلهما، ويمدان حال الوقف لا حال الوصل، ويكون وصف اللين في هذين الحرفين عند مجانسة ما قبلهما فيجري عليهما المد والتوسط والقصر¹.

4-4 تجليات المنهج المقارن في الدراسة الصوتية الحديثة:

تعد الدراسات اللغوية لاسيما الصوتية التي قدمها المستشرقون انعكاسا واضحا للمنهج المقارن، فقد نالت اللغات السامية اهتماما بالغا من قبل المستشرقين، قصد الوقوف على الملامح اللغوية المشتركة، ولذا عمد المستشرقون إلى تطبيق آليات المنهج المقارن على مجموعة من اللغات السامية للوقوف على السمات اللغوية المشتركة والمتباينة. وقد كان من نتاج هذا المشروع، أن حظيت الدراسات الصوتية عند النحاة العرب باهتمام المستشرقين، فكانت لهم آراء بالغة الأهمية في الوقوف على جهود العلماء العرب،" تكشف ملامحها إثر الاهتمام الأوروبي بالبحوث الصوتية التي قدمها النحاة العرب ومقارنتها بما أمكن استخلاصه من عناصر، من كيفية النطق التقليدي بالعربية الفصحى، ومن مختلف كيفيات النطق بالألسن الدارجة"².

عقب ما خلا إيراده، يؤكد كانتيو أن فضل سبق في تلك الدراسات، يعزى أساسا إلى المستشرقين الألمان، « فقد كانت دراسات المستشرقين الألمانين: فلين 1800م، وبروكة 1860م، وليسيوس 1861م، دراسات من هذا القبيل، ثم صدر الفصل الذي كتبه فوللرز 1892 بعنوان (نظام الأصوات العربية)، فجمع فيه ما ورد في كتب النحاة العرب

1- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/ص204-205.

2- ينظر، جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص 11.

من معلومات صوتية، ثم اصدر كتابه المسمى (لغة الشعب ولغة الكتابة في الجزيرة العربية قديما) 1906 فكان دراسة هامة للقضايا الصوتية المتعلقة باللغات العربية التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية «¹».

ولعل هذا ما دفع بـ "شاده" إلى معاينة الدرس الصوتي لدى سيبويه ضمن محاضراته التي ألقاها في الجمعية الجغرافية الملكية في القاهرة، ثم أصدره ضمن مؤلفه الموسوم بـ (علم الأصوات عند سيبويه)².

وقد تعقب "فليش" المسار التاريخي للكتب التي ألفها النحاة العرب القدماء، وبخاصة تلك التي تناولت علم الأصوات، بدءا بالكتاب لسيبويه، وانتهاء بأسباب حدوث الحروف لابن سينا، حيث أفرد ابن سينا لعلم الأصوات رسالة من عشرين صفحة لدراسة الوضع التشريحي لأعضاء النطق، وعنون هذه الرسالة بـ (أسباب حدوث الحروف، ويؤكد "فليش" في عرضه هذا ..أن النظرية الصوتية عند النحاة العرب لم تظهر ظهورا كاملا ومنظما، متسقا بوصفه علما مستقلا له أصوله (النظرية صوتية كاملة)، إلا عند ابن جني (ت 392هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب معتمدا على جهود سابقيه من النحاة العرب، وقد شهد القرن الرابع الهجري استقرار المصطلحات الصوتية التي وضعها النحاة العرب قبل ابن جني³.

ويتضح من خلال هذه الدراسات، أن المستشرقين عكفوا على قراءة التراث اللغوي العربي عامة والصوتي خاصة، ووقفوا من خلال ذلك على الفروق الجوهرية بين دراسة الأصوات عند علماء الغرب، وبين النحاة العرب، « فقد كان قدماء العرب أول علماء

1- المرجع السابق، ص 12.

2- ينظر، شاده، علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، مقدمة الدراسة، صبيح التميمي، مجلة آداب الرفادين، الموصل العدد 58، 2010، ص 8.

3- ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب تر: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، 1968، ج 2، ص 53.

الأصوات في لغتهم، فنحن نجد في كتابات سيبويه ترتيباً صحيحاً للحروف حسب مخرجها وملاحظات هامة حول صفات الحروف وبحثاً غزير المادّة، في إدغام الحروف ومعلومات صحيحة تتعلق بمد الحركات وباعتلال جروسها، وإشارات إلى مختلف الألسن الدارجة وخصائصها الصوتية»¹. لذا فقد اعتمد كانتينو في مؤلفه دروس في علم أصوات العربية، على أمهات الكتب اللغوية العربية مثل: الكتاب لسيبويه، والمفصل للزمخشري وشرح المفصل لابن يعيش...

وواضح أن دراسة الأصوات العربية قد «اكتسبت معطيات جديدة في تلك الحقبة، بسبب تقدم البحوث الخاصة بالألسن العربية الدارجة عند المستشرقين، فقد احتوى كتاب اشتمّه الخاص بلهجة تونس 1892م، وكتابه المتعلق بلهجة طرابلس الغرب 1898م، وكتاب مارسى في لهجة تلمسان 1902م، وكتابه "في لهجة أولاد إبراهيم بمدينة صيدا 1908م وكتاب ماتسون" لهجة بيروت" 1911م وكتاب م. كوهين" لهجة مدينة الجزائر 1912م، على فصول في الصوتيات صافية غزيرة الشواهد، بل إن كتاب ماتسون مقصور في الحقيقة على دراسة الصوتيات فقط»².

إضافة إلى هذه التآليف، فقد ذكر "كانتينو" ثلاثة وعشرين كتاباً من أعمال المستشرقين اللغوية التي اقتصت بعلم الأصوات العربية، أو تضمنت مقدمات صوتية مهمة صدرت منذ عام 1855م حتى عام 1937م، منها³:

✓ الأطلس اللغوي الخاص بسوريا وفلسطين (برجستراسر) 1910 جمع فيه مؤلفه خرائط متعددة خاصة بالصوتيات.

1- جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص 11.

2- ينظر: عبد العزيز مطر، لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط دراسة لغوية، ص 1.

3- ينظر: جان كانتينو، دروس في علم الأصوات، ص 11-13.

✓ كتاب براقمان مواد وبحوث في نظريات العرب الصوتية، 1934 من أورد فيه معلومات جديدة استقاها من كتب التجويد.

وقد خصص "كانتينو" لصوتيات اللهجات الشرقية قسما من أقسام تأليفه منها: اللسان العربي الدارج بتدمر 1932 من ودراسات في بعض لهجات البدو الرحل في الشرق، الجزء الأول 1936 من والجزء الثاني 1937م، وكتاب اللهجات حوران العربية، ويحتوي هذا الكتاب على أطلس لغوي فيه عدد من الخرائط الصوتية.¹

وبذلك نخلص إلى أن للمستشرقين دور هام في الكشف عن الآراء الصوتية المبتوثة في كتب التراث، حيث أعاد المستشرقون قراءة التراث الصوتي العربي في ضوء المعطيات الصوتية الحديثة، إضافة إلى اهتمام باللهجات إلى جانب الفصحى.

1- ينظر: المرجع نفسه، ص13.

5- آليات المقارنة الصوتية المقارنة:

يندرج علم الأصوات المقارن ضمن التصور المنهجي الذي يحيط بالنظرية اللسانية، ولذلك فإن آليات المقارنة الصوتية في ظل المنهج المقارن، لا تنفصل عن الأدوات التي تمنحها اللسانيات المقارنة، والتي تستوجب توفر عدد من اللغات تنتمي إلى أصل واحد، لیتسنى « مقارنة الحقائق الصوتية بعضها ببعض، في فترات زمنية متلاحقة إما في اللغة الواحدة، وإما في لغات متعددة تربطها صلات لغوية، فيقارن بين أصواتها والأغلب أن تكون الدراسات التاريخية والمقارنة ذات طابع فونولوجي لفقدان عنصر النطق في الفترات غير المعاصرة»¹.

ولما كانت اللغة تميل إلى التغير عبر الزمان والمكان، مما يولد لهجات متعددة تتفرع عن الأصل (اللغة الأم)، فإن حصر مجمل التغيرات التي تطرأ على اللغات، يستوجب الركون إلى برنامج تحليلي يواكب هذا التغير والتطور اللغوي.

ومما لا شك فيه أن اللغة المنطوقة أكثر عرضة والتبدل والتغير عبر الزمن، «ولعل أول ما يبدو من تأثير قوانين التطور اللغوي، التي تعمل على إحداث تغيرات في اللغة، يتجلى في التغير الصوتي، أي أن صفات الأصوات تبدأ بالتغير إلى صفات أخرى، مما يؤدي إلى ميلاد أصوات جديدة، وموت أصوات كانت موجودة قبل هذا، والأغلب أن يتدخل قانون السهولة واليسر، الذي ينص على أن اللغة تميل في تطورها نحو السهولة واليسر، محاولة التخلص من الأصوات العسيرة، وتستبدل بها أصوات أخرى، وهي الأصوات التي لا تتطلب مجهودا كبيرا»².

وضمن هذا المعطى يرى أحمد مختار عمر أن تطور اللغات في جانبها الصوتي أسرع وأكثر تنوعا من تطورها في جوانب الصيغ والنحو والمفردات، والسبب واضح في

1- كمال بشر، علم اللغة العام، ص32.

2- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص174.

هذا، وهو أن الجانب المنطوق في اللغة يمارس حرية أكثر من الجانب المكتوب، بالإضافة إلى أن اللغة تصادف في تركيباتها، وتجمعاتها الصوتية ظروفًا سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب، وبهذا ينفصل الصوت عن صورته، ويتطور دونه، وخير دليل على ما نشاهده في كثير من اللغات من مخالفة النطق للكتابة، مما يعني في بعض أمثله تطور النطق وبقاء الهجاء القديم.¹

في ضوء ما سلف، تجدر الإشارة إلى كون هذا التطور ناتج عما تحفل به اللغة من حيوية، إذ إنها « كائن حي تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء وهي كذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي»²، الأمر الذي كفّل لها فعل التطور الاطرادي لمختلف العناصر البانية لها نحو: أصواتها، وقواعدها، ومنتها، ودلالاتها، علما أن هذا التطور لا يتأتى بشكل عرضي هوائي تصادفي، بل وفقا لإرادة الأفراد عبر الانصياع لقوانين جبرية ثابتة مطردة النتائج... فليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور لغة ما، أو يسيروا بها في سبيل غير السبيل التي رسمتها لها سنن التطور الطبيعي، فمهما أجادوا في وضع معجماتها، وتحديد ألفاظها ومدلولاتها وضبط أصواتها وقواعدها... فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال، وتقلت من هذه القيود وتسير في السبيل التي تريدها على السير فيها سنن التطور³.

وفي السياق ذاته، يشير ماريو باي إلى أن الاتجاه الطبيعي للغة، وبخاصة في صورتها الدارجة، أو المتكلمة، هو اتجاه يبعدها عن المركز، فاللغة تميل إلى التغير سواء خلال الزمان أو عبر المكان، إلى الحد الذي لا توقف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز

1- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص369.

2- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وقوانينه وعلله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997، ص9-10.

3- ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص78.

... هذه الخاصية العالمية للغة، هامة لعالم اللغة التاريخي، حيث أنها تشكل الأساس في كل تغيير لغوي¹.

بمقتضى ذلك يرد التطور اللغوي لدى أولمان مطلباً ضرورياً تنزع إليه اللغة فيما هي تتجرد من لبوس الثبات، « بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحيان، فالأصوات، والتراكيب، والعناصر النحوية وصيغ الكلمات، ومعانيها، معرضة كلها للتغيير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة، فلو قمنا بمقارنة كاملة بين فترتين متباعدتين لكشف لنا الأمر عن اختلافات عميقة كثيرة من شأنها أن تعوق فهم المرحلة السابقة، وإدراكه إدراكاً تاماً»².

وكل هذه التغيرات، بخاصة الصوتية منها - طالما أنها مطردة فإنه يمكن صياغتها في شكل قانون، « وهنا يهتم علم الأصوات التاريخي بدراسة التغير المنتظم الذي ينتاب صوتاً من الأصوات في كل سياقاته اللغوية، فمثلاً الأصوات الأسنانية الاحتكاكية تحولت في لهجة القاهرة إلى نظيرها الانفجاري مثل: ذهب وذهب، ثعلب وتعلب، ظل وضل»³، وتدرس هذه التغيرات وفقاً لقوانين محددة تسمى قانون صوتي.

ولعل من العوامل المهمة في حدوث عمليات التغير الصوتي، التقارب في المخرج أو الصفات بين الأصوات التي يحدث بينها تغير، وذلك كما في القاف والكاف، والقاف والجيم المفردة، والسين والتاء، والتاء والذال، والذال والضاد، والسين والراء، والطاء والذال، والسين والذال، والصاد والزاي ... وغيرها.

1- ماريوباي، أسس علم اللغة، ص71.

2- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص156.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص113.

6- اللغة العربية والتغير الصوتي:

من المؤكد، أن اللغة العربية كغيرها من اللغات الإنسانية قد تعرضت للتغير والتبدل شأنها في ذلك شأن كل اللغات الأخرى، وانطلاقاً من هذا المعطى فإن « اللغة العربية الجاهلية، ليست بدعا بين اللغات، فهي سلسلة حلقات طويلة، من التغير والتطور، أي أنها لم تكن كما يتخيل بعض الناس بصورتها التي رويت لنا، منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، [...] وما نسميه نحن بالعربية الفصحى، يشتمل في الكثير من ظواهره على بعض حلقات التطور، أي أننا نلاحظ في هذه اللغة أحيانا، صورتين أو أكثر لظاهرة لغوية واحدة، وبعض هذه الصور، يمثل فترة تاريخية أقدم من الصور الأخرى»¹.

وها هنا، « تدلنا الملاحظة على أنه من المحتمل جدا أن يوجد نطقان مختلفان، أحدهما جديد والآخر تقليدي محافظ، أو أكثر يتعايشان سويا لسنوات كثيرة قد تصل أحيانا إلى عدة قرون»²، غير أن العربية لها ظرف خاص « لم يتوفر لأي لغة من لغات العالم ذلك أنها ارتبطت بالقرآن منذ أربعة عشر قرنا، ودون بها التراث العربي الضخم، الذي كان محوره هو القرآن الكريم في كثير من مظاهره، وقد كفل الله الحفظ مادام يحفظ دينه، [...] ولولا كل هذا لأمست العربية الفصحى لغة أثرية تشبه اللاتينية أو السنسكريتية، ولسادت اللهجات العربية المختلفة، وازدادت على مر الزمان بعدا عن الأصل الذي انسلخت منه»³.

على غرار ذلك، ينتهي التراث الشعري إلى ممارسة فعل الشاهد على القرآن الكريم وأقوال النبي عليه الصلاة والسلام ف: « لولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب، والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم،

1- ينظر: رمضان عبد التواب: التطور اللغوي، ص 10-11.

2- ماريو باي: لغات البشر، ص 42.

3- ينظر: المرجع السابق، ص 11-12.

والصحابية والتابعين، والأئمة الماضين لبطل الشعر، وانقرض ذكر الشعراء، ولغفى الدهر على آثارهم، ونسي الناس أيامهم»¹.

6-1- أهمية دراسة التطور الصوتي:

تعد دراسة تحول الأصوات أحد أهم المنطلقات الأساسية في الإبانة عن خصيصات أبنية الكلمة، حيث إن دراسة الصرف لم تعد بالصورة التقليدية التي كانت عليها سابقاً، بل أصبحت تعتمد على دراسة البنية الصوتية للكلمة، ولذا فإن دراسة التحول الصوتي في اللغات تمهد لدراسة بنية الكلمة وأثر قوانين التطور الصوتي في تشكيل هذه البنية، وثناء المعجم اللغوي بصفة عامة².

ولا مندوحة، في أن الدراسة الصوتية تعتبر عنصراً هاماً من عناصر الدرس اللغوي، سواء أكان البحث تاريخياً أو مقارناً أو وصفيًا، « فهو يقارن بين أصوات لغة معينة في فترة معينة، وبين أصوات نفس اللغة في فترة أخرى من فترات تطورها بعد دراستها في هذه الفترة دراسة وصفية، أو بينها وبين أصوات لغة أخرى في عصر خاص من عصور تطورها، إنه لا سبيل إلى قيام النحو المقارن دون الاعتماد على الأساس الصوتي، فهذا الجانب من الدراسة اللغوية يظهرنا على التغيرات التي تطرأ على أصوات معينة في لغات متقاربة، ويصل من ذلك إلى شبه قوانين تعرف بالقوانين الصوتية»³.

يقصد علم اللغة المقارن من الناحية الصوتية الوقوف على « الأصوات الموجودة في هذه اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة، محاولاً التوصل إلى قواعد مطردة تفسر التغيرات الصوتية التي طرأت على مدى الزمن، فانقسمت اللغة الواحدة إلى لهجات

1- أبو حاتم الرازي: الزينة في الكلمات الإسلامية، 1/116.

2- آمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، 2008، ص 1.

3- محمود السعران، علم اللغة، ص 126.

ولغات كثيرة، انقسمت بدورها إلى لغات أخرى»¹. وقد اتضح في إطار البحث الصوتي المقارن «أن مجموعة من الأصوات مستمرة دون تغير يذكر في كل لغات الأسرة الواحدة، فكل اللغات السامية مثلا بها صوت الراء دون تغير، وعلى العكس من هذا فهناك أصوات خضعت لتغيرات بعيدة المدى، منها مثلا صوت الضاد الذي اختفى بمضي الوقت من اللغات السامية باستثناء العربية، وكل هذه البحوث في مجال الأصوات تعد بمنهج مقارن»².

ولعل من أبرز ما أثار قرائح العلماء، أن «أول ما يبدو من تأثير القوانين التطور اللغوي التي تعمل على أحداث تغيرات في اللغة، يتبدى في التغير الصوتي، أي أن صفات الأصوات تبدأ بالتغير إلى صفات أخرى، مما يؤدي إلى توليد أصوات جديدة، وموت أصوات كانت موجودة من قبل»³.

من ضمن ما يمكن أن نؤول إليه من خلال ما سلف طرحه، أن دراسة التطور الصوتي يمثل أخصب حقول الدرس اللساني المقارن. وعليه نخلص إلى أن اللغة تتغير باستمرار، وأن عملية التغير الصوتي تسير بصورة تلقائية، ولا يمكن الحكم على هذا التغير بالحسن أو القبح، لأن الأفراد لا يملكون سلطة لمنعه، والتطور الصوتي قد يستغرق أزمنة مديدة، وقد تحدث عملية التغير في سنوات إذا ساعدت عوامل معينة على تسريع هذه العملية.

1- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 19 - 20.

2- المرجع نفسه، ص 19-20.

3- أمانة الزعبي، التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص 6.

6-2- أقسام التغيرات الصوتية:

تنقسم مجمل التغيرات الصوتية إلى قسمين كبيرين هما: التغيرات التاريخية، والتغيرات التركيبية.

6-2-1- التغيرات التاريخية للأصوات:

هي تلك التغيرات التي تحدث إثر تحول النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتاً آخر، يؤديه ذلك « التغير المنتظم الذي ينتاب صوتاً من الأصوات في كل سياقاته اللغوية، ويستتبط هذا التغيير من مقارنة كلمات في نصوص ترجع إلى حلقات تاريخية مختلفة، أو مقارنة كلمات في نصوص تمثل عدة لغات متفرعة عن لغة أم واحدة، مما يساعد اللغوي التاريخي في تتبع التطور التاريخي لصوت معين»¹.

ويستجدي عالم اللغة التاريخي في هذا العمل بالصفة المكتوبة للغة، كما تظهر في المكتوبات، ضمن وقت لم تكن فيه اللغة المنطوقة مسجلة، وهناك فرعان من الدراسة يتكئ عليهما، وهما علم النقوش (*épigraphie*) الذي يتعلق بدراسة النقوش وتفسيرها، وعلم الوثائق (*paléographie*)، الذي يتعلق بدراسة الوثائق العتيقة، والوسيلة المكتوبة على أوراق البردي والرقاق ونحوها².

الأمر الذي يؤول إلى ما مفاده، أن التغيرات التاريخية للأصوات تكون مطردة في أصوات المستوى اللغوي الواحد بمنأى عن السياق الصوتي للكلمة، « إنها تغيرات غير مشروطة بسياق معين، وإنما هي عامة في المستوى اللغوي الواحد، ومن هذه التغيرات تلك القوانين التي توضح المقابلات الصوتية بين العربية الفصحى واللهجات، ودراسة هذه التغيرات الصوتية عبر الزمن بحاجة إلى أن تدرس ضمن اللغات التي يجمعها أصل

1- صلاح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات، ص 67.

2- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 141.

واحد، لأن دراسة هذا التحول في لغة واحدة لا يفضي إلى نتائج دقيقة، كما هو الحال عند مقارنتها باللغات التي تنتمي إلى الفصيلة نفسها، لأنه عند ذلك سيصار إلى اكتشاف القوانين العامة التي تحكم اللغة في سيرها التطوري»¹.

وإذا أردنا أن نستدل بنماذج للتغيرات التاريخية في أصوات اللغة العربية، فإن «صوت الجيم في العربية، مثالا طيبا للتغيرات التاريخية في الأصوات، فإن مقارنة اللغات السامية كلها تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت كان بغير تعطيش كالجيم القاهرية تماما... أما العربية الفصحى فقد تحول فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار أي من أقصى الحنك إلى أوسطه، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج يبدأ بدال من الغار، ثم ينتهي بشين مجهورة»².

6-2-2- التغيرات التركيبية:

يقصد بها تلك « التغيرات التي تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في الكلمة الواحدة، فهي لذلك مشروطة بتجمع صوتي معين وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللغوية، وأهم قوانين التغيرات التركيبية للأصوات قانونان هما: قانون المماثلة، وقانون المخالفة، أما الأول يدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب، في حين يدعو الثاني صوتين متماثلين إلى التخالف والتباعد»³.

1- أمانة الزعبي: التغير التاريخي للأصوات، ص1.

2- ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص25.

3- المرجع نفسه، ص29-30.

6-3- القوانين الصوتية:

ويقصد بها مختلف « التغيرات الصوتية التي تطرأ على اللغة اسم: "القوانين الصوتية" مثل تلك التي تسمى قوانين "جريم" *grimm* المتعلقة بالإبدال المباشر في الأصوات الصامتة في الجرمانية، وقد نشرها "جريم" في عام 1822م»¹.

ولاشك أن هذه القوانين الصوتية « تعبر عن علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة، في وسط اجتماعي معين فهو ليس قانونا عاما شبيها بقوانين علم الطبيعة أو الكيمياء، والقانون الصوتي يفترض تغيرا ولكن لا يبصرنا بسبب ذلك التغير ... ومن المبادئ الأساسية في المنهج المقارن أن التغير لا يحدث على نحو مشتمت غير مطرد، بل يحدث وفقا لقواعد ثابتة يمكن أن نصوغها في دقة إذا تناولنا لغة ما في عصرين متتابعين من تاريخ تطورها، وإن التغير يحدث على نحو مستقل متميز في كل عنصر من عناصر اللغة الثلاثة: الصوت والصيغة والدلالة»².

وجدير بالذكر، أن القوانين الصوتية تختلف عن قوانين العلوم الأخرى « فمن المعروف مثلا أن القوانين في العلوم الطبيعية تصدق دائما بقطع النظر عن المكان الزمان، فالتيار الكهربائي، إذ وقع تحت ظروف معينة سوف يحلل الماء إلى أوكسجين وهيدروجين في أي مكان وفي أي زمان، أما قوانين الأصوات فليست لها هذه الخواص، إنها تبنى فقط عن قدر معين من الاطراد في التطورات السابقة في حدود معينة من حيث الزمان والمكان، أي أنها تشير إلى أن صوتا معينة قد تطور إلى صوت آخر بذاته في فترة كذا، وفي لغة كذا تحت ظروف معينة، ومحددة تحديدا دقيقا»³.

1- فندريس، اللغة، ص 71.

2- ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى اللغة ومناهج البحث في اللغة، ص 209.

3- أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 187-188.

ولئن كانت اللغات معرضة للتغير باستمرار، فعلى اللغوي أن يجتهد في الكشف عن مثل هذه التغيرات، وذلك « مثل العاملين في الحقول العلمية المختلفة، فأول عمل يقوم به اللغوي هو أن يبلور الحقائق حول تنوع التغيرات اللغوية، ثم يحاول أن يكتشف القوانين التي تحدد أسس هذا التغير.... والتغير الصوتي لأسباب غير واضحة لا يستمر إلى ما لا نهاية، بل أنه يعمل في وقت محدد، وأنه يؤثر في كلمات اللغة التي تحتوي على هذا الصوت في الفترة التي يعمل فيها القانون الصوتي، وهذا القانون ليس محددًا بالوقت فقط ولكنه محدد بالمكان أيضا، فالناس في أماكن مختلفة يتكلمون بطرق مختلفة»¹. وهذا يعني أن لهم لهجتهم الخاصة.

6-4- التغيرات الصوتية في الحركات العربية مقارنة مع صوائت اللغة السامية:

أثبتت الدراسات اللغوية المقارنة صلة القرابة بين اللغة العربية، وأخواتها اللغات السامية الأخرى، لذا فالوقوف على النظام المصوتي للغة السامية الأم، ومقابلة المصوتات العربية بنظائرها في اللغات السامية الأخرى، يساعد الباحث على معرفة طبيعة المصوتات، والوقوف على مشكلاتها، وملاحظة التشابه في رسم علاماتها (رموزها الصوتية)، ومتابعة تطورها في حقب متلاحقة.

وتتميز المصوتات في اللغات السامية بأمرين هما:

أولاً: تتميز هذه اللغات بكثرة الصوائت فيها، فهي تتجاوز عشرين صوتاً بقليل أو كثير، في حين تقل فيها الصوائت حتى تصل إلى أصوات ثلاثة أساسية².
بينما ذهب موسكاتي إلى « أن الصوائت الأساسية في الساميات صوتان حسب، هما الفتحة وصوت آخر ضيق، قد يكون بين الضمة والكسرة، ثم تفرع هذا الصوت إلى

1- ينظر: صلاح حسنين، المدخل في علم الأصوات المقارن، ص 112.

2- هنري فليش، العربية الفصحى، تر: عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط2، 1986م، ص 35.

صوتين اثنين، هما الضمة والكسرة، هذا أنه ثمة آثار كثيرة تدل على أن الكسرة والضمة لا فرق بينهما في الأصل معنى ووظيفة»¹.

ومرد كثرة الصوامت في اللغات السامية إلى كونها لغات اشتقاقية، «تقوم الصيغ فيها على نظام الجذور، وهي في معظمها تتكون من ثلاثة أصوات صامتة تعبر عن المعنى الأساسي للكلمة، ثم يحدد معنى الكلمة الدقيق ووظيفتها بإضافة الحركات، وكذلك بإضافة مقاطع من حروف في صدر الكلمة، أو وسطها، أو آخرها، فالحروف الثلاثة /ك/ . /ت/ . /ب/ مثلا هي الجذر، ومعناها الكتابة»².

ثانيا: يتبين من خلال تقصي البعد البصري للصوائت في اللغات السامية، نزوع «معظم هذه اللغات إلى إهمال كتابة الصوائت في أثناء الكلمة، لأن صيغ المفردات في هذه الساميات تتألف من جذور تكون في الغالب من الصوامت، وهذه الجذور هي التي تعطي للكلمة معناها الأساسي، أما المعنى الصرفي فهو مرتبط بأصوات المدّ في الكلمة، فإن الساميين القدماء كانوا يعتقدون في كتاباتهم ببيان المعاني الأساسية حسب ويتركون المعاني الصرفية لإدراك القارئ نفسه، كأنهم اعتادوا ذلك فصار من الأمر المألوفة عندهم»³.

ويذهب محمود فهمي حجازي في مسألة طبيعة الحركات في ذلك الزمن القديم، وكيفية التعرف عليها، يقول: «إننا لا نكاد نتعرف على طبيعة الحركات في هذه اللغات إلا بالقياس على اللغات الأخرى القريبة منها، أما اللغات العربية والآرامية والعبرية،

1- ينظر: موسكاتي، التطور النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 2003م، ص57.

2- سباتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، راجعه محمد القصاص، لندن، 1957م، ص44.

3- ينظر: علي جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1957، ج2/ص29.

واللغات السامية الأخرى كالحبشية، فنستطيع بنحو متفاوت التعرف على طريقة النطق المتوارث عند أبنائها من النطق القديم لهذه اللغات»¹.

وعمد جان كانتينو إلى تصنيف الصوائت في السامية الأم إلى:

ثلاثة مصوّتات قصيرة، هي:²

الحلقي الخلفي المفتوح: الفتحة / ā /

الحنكي الأمامي المغلق: الكسرة / i /

الحلقي الخلفي المغلق: الضمة مع استدارة الشفتين / u /

وللسامية الأم ثلاثة أصوات مد طويلة مقابلة لها، هي:

الألف والياء والواو / a- i -u /

والمتأمل لهذه الصوائت « يلحظ أن اللغة العربية من بين اللغات السامية التي

احتفظت بالنظام الحركي في الساميات احتفاظاً كاملاً تقريباً، ويتمثل هذا النظام في ثلاث

صوائت، ويكون لكل جرس منها صورتان، إما قصيرة وإما طويلة»³.

وعليه يمكن تصوير هذا النظام بهذا الشكل⁴:

/ َ ، ُ ، ِ ، َ ، ِ ، ِ /

ولئن اختلفت الآراء حول الصوائت في اللغة العربية، ومقارنتها بنظائرها في اللغات

السامية، واختلاف وجود الصوائت القصيرة في اللغة السامية القديمة بين مؤيد ومعارض،

فإن ذلك لا يبطل اتفاقهم على أن رسم الحركات في اللغة العربية بعد الإسلام، كان

لضبط قراءة القرآن. وأكد كانتينو هذا الرأي في قوله: « ولم يكن في الخط العربي في أول

1- محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء اللغات السامية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م، ص 194-195.

2- ينظر: جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص 147.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 147.

4- ينظر: جان المرجع نفسه، ص 148.

عهد في القرن الأول للهجرة أية طريقة لرسم الحركات القصيرة، ولم يكن يرسم فيه رسماً مناسباً إلا حركتان طويلتان، هما الضمة الطويلة والكسرة الطويلة، ولم يهتموا برسم الحركات القصيرة إلا في القرن الثامن المسيحي¹، وهو التاريخ نفسه الذي ضبط النحاة فيه قراءة القرآن الكريم.

6-5- النغيمات الصوتية في الصوامت العربية، مقارنة مع اللغات السامية:

تفصي مقارنة الألفاظ ذات القاسم المشترك بين اللغة العربية وشقيقاتها من اللغات السامية، إلى وجود اختلافات مطردة بين الأصوات في هذه اللغات، وهذه الاختلافات يمكن أن تسجلها في شكل قوانين تبين لنا أوجه التبدلات الصوتية في هذه اللغات، أما الهدف من دراسة التبدلات الصوتية بين اللغات السامية هو تأصيل الأصوات العربية في ضوء اللغات السامية.

وتعد قضية التبدلات الصوتية في العربية واللغات السامية قضية هامة من قضايا الدرس اللغوي المقارن، ذلك أن « قضايا التحول الصوتي في اللغة العربية بحاجة إلى أن تدرس ضمن منظومة اللغات التي تسمى اللغات السامية، لأن دراسة هذا التحول في لغة واحدة، لا يفضي إلى نتائج دقيقة، كما هو الحال عند مقارنتها باللغات التي تنتمي إلى الفصيلة نفسها، لأنه عند ذلك سيصار إلى اكتشاف القوانين العامة التي تحكم خط اللغة في سيرها التطور، لأن دراسة تبدل الأصوات يعد خطوة مهمة من الخطوات اللازمة لدراسة بنية الكلمة²».

وينبغي الإشارة إلى أن العربية مرت بمراحل من التطور والتغير، « ولا شك في أن العودة باللغة إلى هذه المعاني العتيقة، وتتبع الأثر الذي تتم عنه اللغات السامية، مع

1- جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص 172.

2- أمانة صالح الزعبي، التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص 1.

الوقوف على المعاني المشتركة فيما بينها، تكشف عن أصول قديمة، تمثل وضعا لما كانت عليه اللغة، ثم تطورت دلالات الألفاظ بتطور أصواتها وصيغها، ولكنها ما تزال تحمل ما قد يدل على أصول وأوضاع قديمة لها من حيث الصوت والبنية والدلالة»¹، ومن أهم الأصوات التي تعرضت لتغيير مطلق في اللغة العربية، واللغات السامية: الجيم، القاف، الضاد.

الجيم /ج/:

يعد صوت الجيم من الأصوات التي اختلف في وصفها المحدثون عن القدماء، فتجلياته المادية التراثية تشير إلى تحققه مجهورا شديدا، إلا أن الوصف الحديث يقف عليه بوصفه لثويا حنكيا مركبا، « وهذا يعني أن صوت الجيم مكون من صوتين ينطقان معا، أحدهما انفجاري، والآخر احتكاكي»².

وقد ذهبت أغلب الدراسات الحديثة إلى « أن الجيم المفردة (g) هي الأصل في اللغة العربية، كما هو الحال في اللغات السامية الأخرى، وأما الصوت العربي الجديد (g)، فهو صوت مركب من الدال والشين، والدليل على أصالة النطق المفرد لهذا الصوت، أن اللغات السامية عامة، لا تحتوي على الصفة المركبة في نظامها الصوتي»³.

وأما سبب تحول الجيم من الصورة الإفرادية إلى الصورة المزدوجة، فيتمثل في كونه من الأصوات الحنكية « التي تخضع لقانون الأصوات الحنكية، الذي يؤدي إلى ما يطلق عليه مصطلح التغير»⁴، ويعني هذا المصطلح أن الأصوات التي يكون مخرجها من « منطقة أقصى الحنك إذا جاءت متبوعة بحركة أمامية كالكسرة القصيرة، أو الطويلة

1- إسماعيل عمارة، بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، عمان، ط 1، 1992، ص168.

2- بنظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص84.

3- المرجع السابق، ص204.

4- ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ص144.

(خالصة كانت أو ممالاة)، فإن هذه الكسرة تجتذبها إلى الأمام قليلا، فتنقلب إلى مخرج آخر، غالبا ما يكون وسط الحنك، وغالبا ما تكون هذه الأصوات مزدوجة تجمع بين الشدة والرخاوة»¹.

وأما اللغات السامية الأخرى، « فقد حافظت على الصورة الإفرادية، فلم يتدخل قانون الأصوات الحنكية في تغيير صورة الجيم المفردة إلى الصورة المركبة»².

القاف /ق/:

إن المتتبع لصوت القاف يلحظ أنه من الأصوات التي تعرضت لكثير من التغيرات التاريخية في اللغة العربية، وشأنه في ذلك شأن اللغات السامية التي تقلب فيها هذا الصوت، ما بين « صوت شديد مهموس ينطق برفع مؤخرة اللسان، وإصاقتها باللهاء لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق، ثم يزول هذا السد فجأة، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية، ففي العربية مثلا: /kol//قُول/، وفي الآرامية /kala/ /قَالَ/، وفي الحبشية: /kal//قَالَ/، بمعنى "صوت" في الجميع، وهو يقابل في العربية، /قَوْل/، وفي الآشورية: /ku lu/ قُولُ بمعنى: (صراخ)»³.

غير أن اللغويين القدماء قد عدوا (القاف) من الأصوات المجهورة، مما يعني ذلك « أن هذا النطق تعرض لتغيرات تاريخية في اللغات السامية الأولى، وقد احتفظت بعض اللهجات العربية المعاصرة بهذا النطق وإن تقدم مخرجه إلى الأمام قليلا، وأصبح كالكاف الفارسية، كما أن هناك تغييرات أخرى، طرأت على هذا الصوت في البلاد العربية، فهو ينطق مزجيا كالجيم الفصيحة، في بعض بلدان الخليج، كالبحرين، كما ينطق في الرياض وضواحيها صوتا مزجيا مكون من الذال والزاي (d z) وتحول نطقه إلى عين في السودان

1- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعمله وقوانينه، ص 132.

2- أمينة الزعبي، التغيير التاريخي للأصوات في اللغة العربية، ص 56.

3- رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982م، ص 9.

وجنوبي العراق، وفي اللهجة المصرية قلبت القاف عينا والكلمتان (يقدر) و(زقزق) انقلبت القاف كافا في نطق الفلسطينيين في المدن»¹.

والتعليل الصوتي لجملة هذه التغيرات هو « الجنوح إلى السهولة واليسر كالجيم الفصيحة، فتأثير قانون الأصوات الحنكية واضح في انقلاب القاف إلى نطق مزجي، في بعض بلدان الخليج (كالجيم الفصيحة)، وفي الرياض وضواحيها(دز)، والدليل على ذلك أن القاف لا تعاني من هذا القلب إلا إذا وليتها كسرة، تماما كما يتطلب هذا القانون»².

ويبدو أن تطور القاف « قديم في اللغات السامية حيث تحولت القاف في أعلام الفينيقية إلى همزة في بعض الأحيان، ثم سقطت الهمزات الأصلية في الفينيقية فمثلا: العلم الفينيقية: himalakart (حَمَلَقَرْتُ) تحول إلى، himalar (حَمَلَزْ) وانقلاب القاف همزة تغير كانت له بدايات في عصور الفصحاة، واستمرت في اللهجات العربية الحديثة، مثل القاهرة وسوريا وتلمسان، وشمال مراكش، وعند اليهود في شمال إفريقيا، وفي اللغة المالطية في معظم الأحوال»³.

الضاد/ضد:

صوت الضاد من الأصوات التي تعاني من ازدواجية الوصف بين القدماء والمحدثين، وهذا الاحتمال ناجم عن أحد الاحتمالين:⁴

✓ أن يكون القدماء مخطئين في وصفهم لهذا الصوت لأننا نستبعد أن يخطئ العلماء المعاصرون فيه، لما يتوافر بين أيديهم من إمكانيات وأجهزة علمية لم تكن

1- المرجع السابق، ص 10-11.

2- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، ص 92 - 94.

3- ينظر: المرجع السابق، ص 11.

4- ينظر: آمنة الزعبي، التطور التاريخي للأصوات في العربية واللغات السامية، ص 93.

متوافرة بين أيدي علماء السلف، وهذا الاحتمال ينقص من قيمة تلك النتائج الدقيقة التي اشتهر بها القدماء في معالجتهم للأصوات اللغوية.

✓ أن يكون صوت الضاد قد مرّ بعمليات صوتية متعددة، أدت واحدة منها إلى تغيير صورته، ففقد من اللغة نهائياً، وحلّ محله هذا الصوت الجديد.

فقد ورد في المعجم العربي والمعاجم السامية كثير من الصور الفونيمية التي لا تعدّ تلوينات أوفونية لهذا الصوت، مما يؤكد ما ذهب إليه العلماء من صعوبته، والذي يؤكد بأنه قد ضاع بصورة تكاد نهائية من أغلب اللغات السامية، أنه قد ضاع مثلاً من الكنعانية ولهجاتها المختلفة كالعبرية والمؤابية والبنونية ضياعاً نهائياً، كما ضاع من الآرامية ولهجاتها كالسريانية الغربية والسريانية الشرقية، وضاع أيضاً بصورة نهائية من الأكادية ولهجاتها (البابلية والآشورية). ولم يحتفظ به إلا لغات المجموعة الجنوبية التي يعتقد أنها حافظت على صورة أخرى له بعيدة عن الصورة الأصلية التي وجدت في السامية الأم، بل في العربية حتى فترة متأخرة.¹

هذا ولم يعد صوت الضاد موجوداً بأي صورة من الصور في أغلب اللغات السامية الأخرى، فقد تحول تحولاً مطلقاً، وحلّ محله أصوات من مكونات النظام الصوتي، فقد تحول إلى صاد في الأكادية والكنعانية والأوغاريتية والعبرية، وتحول إلى قاف في الآرامية المبكرة، فيما تحول إلى عين في اللغة السريانية، وشارك العربية في وجود صورة صوتية خاصة للضاد كل من العربية الجنوبية والإثيوبية الجعزية، واللهجات العربية البائدة: الصفاوية والثمودية واللحيانية.²

1- المرجع السابق، ص 180.

2- ينظر: إسماعيل عمارة، تطبيقات في المناهج اللغوية، ص 95.

وصف صوت الضاد:

اختلف علماء اللغة في وصف صوت الضاد، فذهب سيبويه إلى أن مخرج الضاد من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، كما حددها بأنها صوت مجهور ومطبق، وقد ذكر سيبويه في حديثه عن الإطباق بأنه لولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والطاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها¹.

ويتضح من هذا القول أنه لو كان سيبويه يتحدث عن الضاد بصفته الحالية، لما كان لعبارة الأخيرة مجال، ذلك أن الضاد الحالية هي النظير المفخم للدال، وليس الطاء هي نظير الدال المفخم كما ورد عنده، وهذا يؤكد أن الضاد بصورتها الحالية هي صوت جديد طرأ على النظام الصوتي العربي، أو أن صوتا آخر قد حلّ محله بعد زواله².

وأما الضاد عند المعاصرين، فأمرها مختلف عما هو عند القدماء، فهي عندهم صوت انفجاري أسناني لثوي مجهور، مفخم (مطبق)، وقد عدت عندهم النظير المجهور للطاء، وعلى هذا يمكن القول أن المعاصرين تكلموا عن واحد من احتمالات تحول اللغة، وهو الضاد الجديدة التي وصل بعضهم إلى القول: إنها ضاد أخرى غير تلك التي وصفت سابقا³.

1- ينظر: سيبويه، الكتاب، 4/ ص 433-436.

2- ينظر: أمانة الزعبي، التحول التاريخي للأصوات، ص 94.

3- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 216.

7-قوانين التغيرات الصوتية:

وهذا النوع من التغيرات يحدده السياق انطلاقاً من طبيعة الأصوات المحيطة بالصوت موضع التغير وأهمها "المماثلة"، و"المخالفة" وهما من قوانين التغيرات التركيبية للأصوات « أما الأول فيدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب، في حين يدعو الثاني صوتين مختلفين إلى التماثل والتباعد»¹.

7-1-المماثلة assimilation:

لقد كان لعلمائنا القدامى إشارات واضحة حول هذا النوع من التغير في الأصوات، فنجد سيويوه (ت180هـ) يوضح ذلك في كتابه إذ يقول: « الإِدْغَام يدخل فيه الأول في الآخر والآخر على حاله، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد، نحو قد تركتك، ويكون الآخر على حاله، فإنما يشبه بهذا الضرب من الإِدْغَام، فأتبعوا الأول الآخر كما تبعوه في الإِدْغَام، فعلى هذا أجري هذا»² كما نجد سيويوه يصف هذه التغيرات الصوتية في موضع آخر بمصطلح المضارعة في قوله: « هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف آخر من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه»³.

وفي السياق ذاته يوضح أبو علي الفارسي (ت377هـ) الإِدْغَام في قوله: «الإِدْغَام أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسان عنها ارتفاعاً واحدة»⁴.

1- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص30.

2- سيويوه: الكتاب، ج4، ص104-105.

3- المصدر نفسه، ج4، ص477.

4- الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد، التكملة، تح: حسن شادلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص273.

ومن جهة أخرى يتوسم البحث ما يكتنف هذه الظاهرة من خصوصية التشكل والإيقاع المحدث إثر «تقريب الصوت من الصوت، وهو في الكلام على ضربين أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيدغم الأول في الآخر، والآخر أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه، والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت»¹، وكذلك الإدغام عند ابن عصفور هو «رفع اللسان بحرفين رفعة واحدة، ووضعك إياه بهما موضعا واحدا، وهو لا يكون إلا في المثلين أو المتقاربين»².

ونخلص مما سبق ذكره، إلى أنه ورغم تعدد تعريفات القدامى للمماثلة وخصها بمسميات عدة مثل الإدغام، المضارعة، التقريب... إلا أنها تصب في المضمون نفسه، وهو أن المماثلة قد تكون بين صوتين متقاربين مخرجا وصفة، وقد تكون بين صوتين متماثلين، وقد تكون عن طريق الإبدال الصوتي. كما أننا نجد تعريفات المحدثين للمماثلة لا تختلف ولا تبتعد عما أقره العلماء القدامى، إلا في إضافة بعض المصطلحات العلمية الحديثة التي من شأنها توضيح هذه الظاهرة أكثر، ومن الذين تعرضوا لها بالدراسة إبراهيم أنس بقوله: «والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة، أو المشابهة بينهما، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج، ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة»³.

وكذلك يعرفها ريمون طحان: «المماثلة وهو تقارب أو تجانس أو تماثل يحدث بين صوتين متماسين، مما يؤدي إلى تقارب في مخرجي الصوتين، وصفاتهما أو لتماماتهما»⁴.

1- ابن جني، الخصائص، ج2، ص139-140.

2- ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، مصر، ط4، 1979، ج2، ص631.

3- إبراهيم أنس، الأصوات اللغوية، ص149.

4- ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1981، ص53.

وعليه فإن هذه الظاهرة تسهم من خلق ضرب من الاتساق والانسجام نتيجة تأثر «الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق، والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات»¹.

7-1-1-أنواع المماثلة:

يجمع جمهور اللغويين على أن المماثلة تنتج عن نوعين « من التغيرات الصوتية أولها التغيرات الصوتية غير المشروطة، وهي التغيرات الصوتية المطردة في أصوات المستوى اللغوي، ومعنى هذا أنها تغيرات غير مشروطة بسياق صوتي معين، وإنما هي عامة في المستوى اللغوي الواحد... والنوع الثاني من التغيرات الصوتية يحدده السياق، ولهذا فهي تغيرات صوتية مشروطة، ليست بتغيرات تاريخية، بل هي تغيرات تحددها طبيعة الأصوات المحيطة بالصوت موضع التغير»²، وتندرج ضمن هذه التغيرات المماثلة والمخالفة وقد توصل العلماء المحدثون إلى أن المماثلة أنواع هي:

أ- التأثير الصوتي التقدمي (الإتباعي) effet progressif:

هذا النوع من التأثير أطلق عليه ابن جني مصطلح "الإدغام الأصغر" ويقصد به تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه من غير إدغام³، ويكون بتأثير السابق على اللاحق « مثل قلب تاء الافتعال دالا بعد الزاي في نحو ازجر وأصلها ازجر، تأثرت التاء بالزاي المجهورة وتحولت إلى مقابلها المجهور وهو الدال»⁴.

1- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص30.

2- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص48-51.

3- ابن جني: الخصائص، ج 2، ص141.

4- احمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص325.

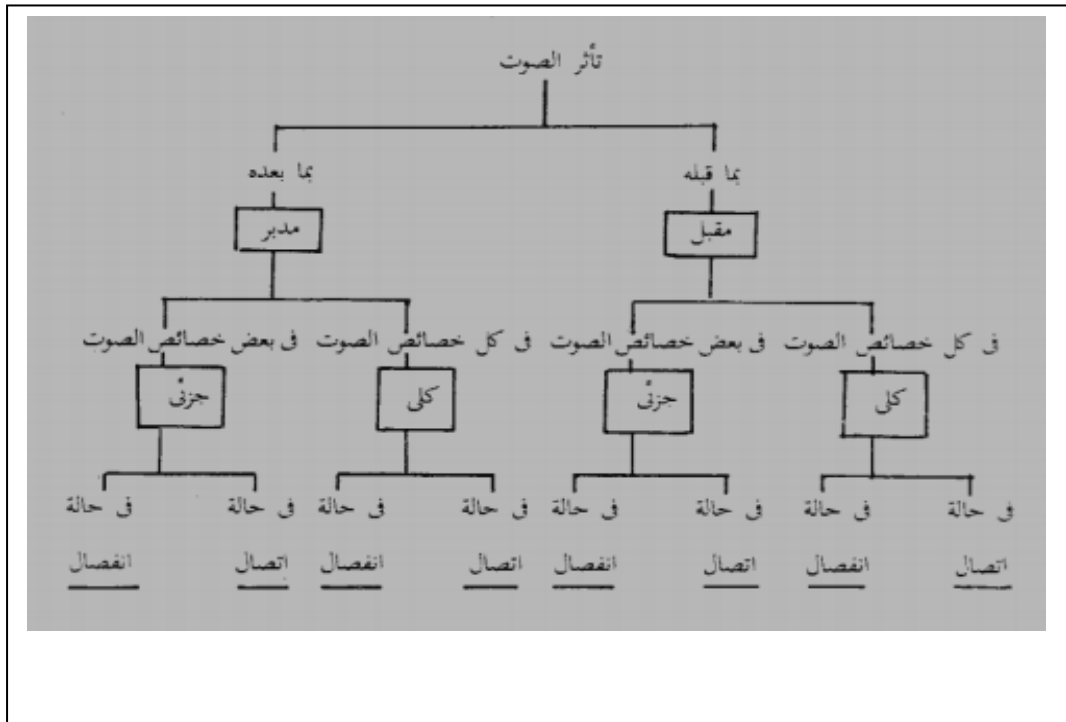
ب- التأثير الصوتي الخلفي (الرجعي) effet regressif

يعد هذا النوع من التأثير الصوتي « عملية عكسية للتأثير السابق فهو يخالفه، فالتأثر الصوتي التقدمي هو تأثر السابق باللاحق، ويعد إدغام المتماثلين من التماثل المدبر أو الرجوعي»¹.

وعليه يمكن القول بأن كلا من التأثير الصوتي التقدمي، والتأثر الصوتي التخلفي يدخلان ضمن قانون المماثلة، فإن تأثر الصوت الثاني بالأول، فالتأثر مقبل، وإن كان العكس فالتأثر مدبر، وإن كانت المماثلة بين الصوتين تامة فالتأثر كلي، أما إن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثر يكون جزئياً، وفي كل حالة من هذه الحالات قد يكون الصوتان منفصلين عن بعضهما بفاصل من الصوامت أو الصوائت.

وقد لخص رمضان عبد التواب أنواع التأثير الصوتي الناتج عن قانون المماثلة في

الشكل التالي:²



1- إبراهيم خليل العطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص72.

2- رمضان عبد التواب: التطور اللغوي، ص31.

إن المتتبع لمجمل ما يؤديه المخطط المثبت أعلاه، لا يغفل الوقوف على ثمانية

أشكال للمماثلة الصوتية هي:

- مماثلة كلية مقبلة متصلة.
- مماثلة كلية مقبلة منفصلة.
- مماثلة كلية مدبرة متصلة.
- مماثلة كلية مدبرة منفصلة.
- مماثلة جزئية مقبلة متصلة.
- مماثلة جزئية مقبلة منفصلة.
- مماثلة جزئية مدبرة متصلة.
- مماثلة جزئية مدبرة منفصلة.

فالمماثلة تحدث بين: الصوامت والحركات وبين الصوامت والحركات، وفي هذه الحالة نجد نوعين من المماثلة: نوع يقرب الصامت إلى الحركة. والآخر يقرب الحركة إلى الصامت.¹

أنواع المماثلة هي:

ج- المماثلة الكلية المقبلة المنصلة:

تتجسد هذه الصورة في تأثيرات الفاعل أو غيرها بما قبلها وفي ما يلي تفصل ذلك: مماثلة تاء الفاعل للصوت المطبق (المفحمر) قبلها: في هذا الشكل تتأثر التاء في صيغة "فعلت" بالطاء قبلها، فتصبح طاء، وهذا التأثير هو ثمرة قانون الأقوى الذي صاغه عالم الأصوات "موريس جرامونت"، والذي قرر أن «الصوتين المتجاورتين في السياق يتبادلان

1- فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2004، ص190، ص61.

فيما بينهما التأثير، والتأثر الأقوى هو الذي يتغلب في النهاية على الأضعف»¹، ولعل أحسن ما يوضح ذلك هو التحليل الفسيولوجي لصوتي الطاء والتاء، فالتاء تتأثر بالطاء ذلك أن التاء « صوت أسناني، لثوي، وقفة، انفجاري مهموس»²، في حين لا يتحرك الوتران الصوتيان أثناء النطق بالتاء "بل يتخذ الهواء مجراه في الحلق، والفم حتى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصلا انفصالا فجائيا سمع ذلك الصوت الانفجاري»³.

د- المماثلة الكلية المقابلة المنفصلة:

هذا النوع من المماثلة نادر في اللغة العربية، وما هذه الندرة إلا دليل قاطع على أن العربية على غرار غيرها من اللغات البشرية لا تحبذ هذا النوع من المماثلة ولا تميل إلى استعماله، وما تقدمه لنا العربية من أمثلة تعزز هذا النوع من التأثر الصوتي لا يزيد عن بعض أمثلة، فمن ذلك كلمة أصيلا والتي تطورت عن أصيلان، [...]، حيث أبدلت اللام مكان النون، وفي ذلك قال سيبويه: « وقد أبدلوا اللام من النون، وذلك قليل جدا، قالوا أصيلا، وإنما هو أصيلان»⁴.

هـ- المماثلة الكلية المدبرة المنصلة:

يعد هذا النوع من المماثلة المدبرة الأكثر شيوعا وتواجدا في اللغة العربية وغيرها من اللغات، وهذا ما صرح به فندريس: « الصوت المشبه يسبق في أغلب الأحيان الصوت المشبه به، أي أن هناك في الواقع حالة تعجل، فالعقل باشتغاله ينطق صوت ما في داخل مجموعة صوتية يجعله يصدره قبل أوانه، وينتج مرتين متتابعتين الحركة

1- نقلا عن فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص 61.

2- كمال بشير علم الأصوات، ص 249.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 62.

4- سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 240.

الصوتية التي يقتضيها هذا الصوت»¹، والشائع في لغة العرب هو التأثر الرجعي، أي تأثر الصوت الأول بالثاني، وتكون صور هذه المماثلة على الشكل التالي:

مماثلة تاء الافتعال لما بعدها:

✓ تتأثر تاء الافتعال بالطاء الموالية لها: فتصير طاء مثلها ثم تدغم الطاء الثانية في الأولى مثل طمس أصلها تطمس.

✓ تتأثر تاء الافتعال بالذال بعدها: فتصبح دالا حيث نقول أدان وادعى وأصلها اتدان واتدعى.

✓ تتأثر التاء بالثاء الموالية لها: فتصير ثاء نحو "ثرد" من أصل اثرد.

✓ تتأثر الثاء بالذال بعدها: فتصبح ذالا، وذلك نحو: "اذكر، والأصل فيها أذكرك.

✓ تتأثر التاء بالسين بعدها: فتصير سينا، ومن ذلك "افتعل" من الفعل "سمع" فنقول: "استمع" وهذه الصيغة قبل القلب المكاني كانت "أسمع".

✓ تأثر الدال بالزاي بعدها: تتأثر الدال بالزاي بعدها فتصير زايا، ومثل ذلك: ازدان فتصير ازن.

✓ تأثر الذال بالذال بعدها: فتصير دالا ثم تدغم الدالين مثل: اذدنا فتتطق ادنا.

✓ تأثر الطاء بما بعدها: فالطاء من الأصوات المطبقة المفخمة أصلا تتأثر هذه

الأخيرة بالأصوات المطبقة مثلها: فهي تتأثر بالصاد بعدها في صيغة "انفعل" وهي

الصيغة الأصلية "افتعل" مثل [اصبر] من "اصطبر]. كما تتأثر الطاء بالضاد بعدها،

فتصبح ضادا، وهي تمر ببعض التطورات الصوتية بهذا الشكل: [اتضجع]، [اطضجع]،

[الأضجع]، فهو [مضجع]. وتتأثر الطاء المطبقة بعدها فتصير ظاء: [اظطعن] [اظعن].

1- فندريس، اللغة، ص93.

II في صيغة "افتعل":

- ✓ تتأثر التاء في افتعل بالتاء بعدها فتصير تاء مثل ائترد - ائرد وهو منئرد.
- ✓ تتأثر الطاء المفخمة في افتعل بالطاء بعدها فتصبح طاء مثل اظلم تتحول
اظلم.
- ✓ تتأثر الطاء بالطاء بعدها فتصبح طاء، مثال ذلك مضطجع تتحول إلى مطجع.

والمماثلة المدببة المنفصلة:

يزخر فضاء اللهجات العامية بحضور لهذا النوع من المماثلة، غير أنها تشهد انحصارا شديدا تحت إمرة الفصحى وجسارتها، وعليه فإن البحث ينعطف إلى مباشرة بعض الشواهد العامية الواردة لدى الحريري نحو: الثيتل، الوعل المسمن، الثيتل، بغية إسقاط اللبس عما يعتري هذه المماثلة من غموض¹.

ز- المماثلة الجزئية المقبلية المنفصلة:

لهذه الظاهرة من الحضور ما يعززها من الأمثلة في العربية الفصحى نحو: مماثلة التاء لما قبلها في صيغة فعلت حيث تتأثر التاء في "فعلت"، بما يجاورها مباشرة خاصة أصوات الأطباق أو المفخمة أو المستعلية وهي: "ص،ض،ط،ظ"، "من دان"، ازدجر "من زجر" و"الذكر" من ذكر².

1- القاسم بن علي الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1975، ص87.

2- عاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار المعارف، مصر، 1987، ص175.

ز- المماثلة الجزئية المقابلة المنفصلة:

نكر ابن جني أنه يقال تركته وقيدا ووقيضاً، « والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله عز اسمه: "الموقوذة" بالذال ولقولهم: وقذه يقذه، ولم اسمع وقظه ولا موقوذة، فالذال إذن أعم تصرفاً، فلذلك قضينا بأنها هي الأصل»¹.

وجاء في "لسان العرب" في مادة "وقظ" والوقيظ المثبت الذي لا يقدر على النهوض كالوقيد ثم استأنف قائلاً: « وفي الحديث كان إذا نزل عليه الوحي وقظ في رأسه أي انه أدركه الثقل فوضع رأسه يقال: ضربته فوقظته أي اثقلته، ويروى بالطاء بمعناه كأن الضاد فيه عاقبت الذال من وقذت الرجل أفذه إذا اثخته بالضرب، وفي حديث أبي سفيان وأميه بن الصلت قالت لله هند عن النبي (ص) يزعم أنه رسول الله، قال فوقظتني، قال ابن الأثير: قال أبو موسى: هكذا جاء في الرواية، قال: وأظن الصواب فوقظتني بالذال أي كسرتني وهدتني»².

ح- المماثلة الجزئية المدبرة المنصلة:

في تاء افتعلت:

إن الصيغة الأصلية لـ افتعل هي "اتفعل" هذه التاء في "افتعل" المنقلبة عن اتفعل تتأثر بالصوت المطبق الموالي لها مباشرة، فنفخم لتتحول طاء، ومثال ذلك "ظلم"، والتي تتحول إلى: [اضظلم] كما يلي [ظلم] - [اتظلم] - [اظظلم] - [اضظلم]، فالمماثلة هنا مدبرة وجزئية، فيما أن توالي التاء المرفقة والطاء المفخم أمر مستثقل مكروه، لأنهما صوتان متقاربان في المخرج ومتناقضان في الصفة، فالتاء صوت مرفق مستقل، عكس الظاء المفخم المستعلي، لهذا عمدت العربية إلى إيجاد حل للتخلص من هذا الهبوط والصعود للسان، فكان السبيل الأمثل هو إطباق التاء على سبيل المماثلة الجزئية المدبرة،

1- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص233.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادتي (وقذ) و(وقظ).

« والعلة في إن لم ينطق بتاء/افتعل/على الأصل إذا كانت الفاء أحد الحروف التي نكرها، وهي حروف الإطباق - أنهم أرادوا تجنيس الصوت، وأن يكون العمل من وجه واحد بتقريب حرف من حرف»¹.

ومن هنا، فإن جهر التاء في "افتعل" من كل ما فآؤه دال أو ذال أو زاي قانون عام، فإذا تجاوز في العربية مجهور بمهموس مجاورة مباشرة، وجب جعل المهموس مجهورا لاختزال ذلك البعد بينهما، وجعلهما متقاربين في الصفة. وبذلك يحدث الانسجام والتوائم بين الصوتين المتباعدين في الصفة، فالقرب المخرجي شرط لإحداث التفاعل بينهما ليصيرا إما مجهورين وإما مهموسين، وفي هذا يقر "بروكلمان" أنه: «في كل اللغات السامية، يتأثر في النطق الحي الصوت المجهور بما بعده المهموس فيهمس»².

ويرى إبراهيم أنيس « أنه لا يتجاوز في اللغة العربية صوت مجهور مع نظيره المهموس، فالدال لا تكاد تجاور التاء، والزاي لا تجاور السين والذال لا تجاور التاء وهكذا، فإذا اقتضت صيغة من الصيغ أن يتجاوز صوت مجهور مع نظيره المهموس مجاورة مباشرة، وجب أن يقلب أحدهما بحيث يصبح الصوتان إما مهموسين وإما مجهورين، أما إذا التقى مجهور بغير نظيره المهموس، فالغالب في اللغة العربية أن لا يتم التأثير إلا حين يختلفان اختلافا كبيرا في الصفة، وذلك كأن نصوص "افتعل" من الفعل زاد، "الزاي" جاورت التاء مجاورة مباشرة ولبعد ما بينهما في الصفة يتم التأثير بقلب التاء إلى نظيرها المجهور، أي الدال، فتصبح "ازداد" وذلك لأن الزاي أقصى مراحل الرخاوة، في حين أن التاء من الأصوات الشديدة، فاللون بينهما كبير، ولذلك تحقق التأثير»³.

1 ابن جني: المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، شركة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة، ط1، 1954، ج2، ص324.

2- كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، 1977، ص57.

3- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص183، وينظر تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص152.

المماثلة الجزئية المدبرة المتصلة في غير افتعل:

ولعل أبرز مثال لهذا النوع من المماثلة هو ما يسمى بظاهرة "الإقلاب" والمتمثلة في قلب النون الساكنة ميمًا في النطق، إذا وقعت قبل الباء وذلك كما في الكلمات: عنبر - عمبر - منبر - انبرى، وقد علل الرعيل الأول هذه الظاهرة الصوتية بقولهم: «وإذا كانت مع الباء لم تتبين، وذلك قولك شمباء والعمبر، لأن لا تدغم النون وإنما تحولها ميمًا»¹، «وذلك أنه يعسر التصريح بالنون الساكنة يجب إخفاؤها مع غير حروف الحلق ... والنون الخفية ليست إلا في الغنة التي معتمدها الأنف فقط والباء معتمدها الشفه، ويتعسر اعتمادان متواليان على مخرجي النفس المتباعدين، فطلبت حرفًا تقلب النون إليها، متوسطة بين النون والباء فوجدت هي الميم، لأن فيه الغنة كالنون، وهو شفوي كالباء»².

ويعود السبب في هذا النوع من المماثلة إلى أن النون صوت لثوي خيشومي، والباء شفوية وقفية انفجارية، تقتضي ارتفاع الحنك اللين عكس النون التي يستوجب نطقها انخفاض الحنك اللين، وقيام الإنسان بهذا الجهد العضلي المضاعف نتيجة تتابع هذين الصوتين بسبب تباعدهما في المخارج والصفات، أوجد طريقة سهلة للنطق وهو المجيء بصوت الميم الذي يجمع في خصائصه ما تباعد بين صوتي النون والباء، فالميم صوت شفوي مجهور منفتح مستقل ما بين الشدة والرخاوة، فهو فونيم يلتقي مع النون في الغنة، ويلتقي مع الباء في الشفوية والانفجارية، فهو إذن صوت يقترب من النون في صفة الجهر ومع الباء في المخرج الشفوي، هذا الإقلاب الحاصل بين الباء والنون يهدف إلى إحداث نوع من الانسجام الصوتي داخل النسيج اللغوي يسهل عملية النطق (الأداء الفعلي للكلام) مع الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول.

1- سيبويه: الكتاب، ج4/ص455.

2- الرضى الاسترلابادي: شرح الشافية، ج2/ص216.

ط-المماثلة الجزئية المدببة المنفصلة:

تفخيم السين:

السين من الأصوات الصغيرية تتأثر بالأصوات المفخمة المجاورة لها، فتفخم لتصير بذلك صادًا، والصاد من الأصوات المطبقة، وهي نظير السين، وقد وصف ابن سينا هذين الصوتين في رسالته بقوله: "وأما الصاد فيفعله حبس غير تام أضيّق من حبس السين، وأيبس وأكثر الأجزاء حابسا طولًا إلى دخل مخرج السين وإلى خارجه، حتى يطبق اللسان أو يكاد يطبق على ثلثي السطح المفروش تحت الحنك، والمنخر ويتسرب الهواء على ذلك المضيق بعد حصر شين فيه من وراء ويخرج من خلال الأسنان وأما السين، فتحدث عن مثل حرف الصاد إلا أن الحابس من اللسان فيه أقل طولًا وعرضًا، فكأنها تحبس العضلات التي في طرف اللسان بكتيتها في أطرافها"¹.

كما بيّن المبرد علة تفخيم السين مع الأصوات المفخمة قائلاً: « وإنما تقلب للتقريب مما بعدها، فإذا لقيها حرف من الحروف المستعلية قلبت معه ليكون تتاولهما من وجه واحد، والحروف المستعلية: الصاد والضاد، والطاء، والظاء، والحاء، والغين، والقاف، وإنما قيل لها مستعلية، لأنها حروف استعلت إلى الحنك الأعلى، وهي الحروف التي تمنع الإمالة، فإذا كانت السين مع حرف من هذه الحروف في كلمة جاز قبلها صادًا، وكلما قرب منها كان أوجب، ويجوز القلب على التراخي بينهما، وكلما قرب منها كان أوجب، وكلما تراخى، فترك القلب أجود»².

هذا لأن السين حرف مستقل وإذا تلتته مباشرة حروف مستعلية، ثقل على اللسان الاستعلاء بعد الاستفال، لما فيه من كلفة عضلية مجهدّة، فالاستعلاء من الناحية الفسيولوجية يكون بارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك الأعلى، أو انخفاضها عنه أما

1- ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، تصحيح: محب الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، مصر، 1915، ص11.

2- البرد محمد بن يزيد: المقتضب، ج1/ ص266.

الاستفال العملية العكسية للاستعلاء، لذلك تقلب السين المرققة إلى صاد مفخمة تتواءم وتنسجم مع الأصوات المجاورة لها (المستعلية أو المفخمة)، والهدف من هذا التغير الصوتي هو التقليل من الجهد العضلي عن طريق المماثلة بين الصوتين المتجاورين المتفقان في صفة الاستعلاء والتفخيم، ويدخل هذا النوع من المماثلة ضمن التأثير الصوتي التخلف أي تأثر اللاحق بالسابق حتى تعمل أعضاء الجهاز النطقي على إخراج هذه الأصوات المنسجمة في الصفات عملا واحدا.

7-2- قانون المخالفة (النغير) DISSIMILATION:

يختص هذا القانون بمجمل التغيرات التركيبية للأصوات، على عكس ما يؤديه قانون المماثلة. ويسلك هذا التصور لدى علمائنا القدامى مسلكا يكاد يضارع ما تقدم من طروح لدى المتأخرين على نحو ما نجد لدى سيبويه الذي عالجه في الباب الموسوم بـ "باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكرهه التضعيف، وليس بمطرد"، وفي هذا السياق يقول: « تسربت وتضنبت، وتقصيت من القصة وأمليت»¹.

كما عقد ابن جني لهذه الظاهرة بابا سماه "باب في قلب لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف" إذ يقول: « تقضى إذا البازي كسر. هو في الأصل من تركيب قضض ثم أحالة ما عرض من استئقال تكريره إلى لفظ ق - ض - ي»².

ومن المحدثين الذين وقفوا على ظاهرة المخالفة وعرضوا لها بالدراسة "رمضان عبد التواب" الذي يقول: «أما قانون المخالفة، فإنه يعد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة

1- سيبويه الكتاب، ج4، ص424.

2- ابن جني: الخصائص، ج2، ص ص88-91.

من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة»¹.

أما إبراهيم أنيس، فقد اعتبرها « من التطورات التي تعرض أحيانا للأصوات اللغوية ما يمكن إن يسمى بالمخالفة، وهي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة، فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين»².

كما حاول صلاح الدين حسنين، تفسير الظاهرة نفسياً وفسولوجياً بقوله: «وهناك قاعدة عامة تحويلية عكس القاعدة السابقة (المماثلة) تعرف باسم المخالفة، وتحدث هذه القاعدة عندما يقوم الإنسان بتحويل مجموعة متشابهة من الفونيمات المتشابهة الموجودة في ذهنه للتعبير عن معنى معين إلى رموز صوتية، فيجد أنه من الصعب على عضلاته أن تنتج مثل هذه المجموعة إذا حاول نطقها ستتشنج عضلات عنقه، لهذا يوجد عند الإنسان اتجاه عام لتجنب مثل هذه المصاعب بتغيير أحد الأصوات المتشابهة»³.

يباشر المستشرق الألماني "برجستراسر" هذه الظاهرة في سياق الحالات النفسية المضطربة؛ إذ إن « العلة في التخالف "نفسية محضة" نظيره الخطأ في النطق، فإننا نرى الناس كثيراً ما يخطئون في النطق ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض لأن النفس يوجد فيها - قبل النطق بكلمة- تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه، بعد حصوله بمدة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة»⁴.

1- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص 57.

2- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 211.

3- صلاح الدين صالح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة، ص 48.

4- برجستراسر: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، الخانجي، القاهرة، 1994، ص 34.

ومن جهة أخرى، فقد تنتج المخالفة من الناحية الصوتية إلى كون الصوتان المتماثلان يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، لتيسير هذا المجهود العضلي بقلب أحد الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهودا عضليا كاللام والميم والنون¹. وتعد اللام والميم والراء والنون من أكثر الأصوات ارتباطا بالمخالفة إلى جانب أصوات العلة نتيجة تقاربهما في الصفة والمخرج. فالأصوات المانعة لها جملة من الخصائص أهمها:²

✓ مجرى النفس مع هذه الأصوات تعترضه بعض الحوائل وهي صفة من صفات الصوامت.

✓ لا يكاد يسمع لهذه الأصوات أي نوع من الحفيف.

✓ - هذه الأصوات تعد من أكثر الصوامت وضوحا في السمع.

✓ كثيرة الشبوع سهلة من حيث النطق.

والمخالفة كظاهرة صوتية تعد أثرا لقانون الاقتصاد في الجهد العضلي وتسهيل النطق « ذلك أن الصوت يتطلب مجهودا عضليا أكبر مما لو قلب أحد الصوتين إلى صوت لين، أو صوت من الأصوات التي برهنت الدراسات الحديثة على وجود شبه بينها وبين أصوات اللين، وهي الأصوات الأربعة السابقة: الراء واللام والميم والنون»³، والمخالفة في العربية تتم فقط بين الأصوات المتماثلة والمتقاربة كما بين الأصوات الصامتة والصائتة، وتكون بين الصوامت بإحدى الطريقتين:

1- ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص64.

2- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص26.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص26.

7-3- الحذف: ويكون الحذف على الشكل الآتي:

✓ حذف بدون تعويض أي دون وضع صوت مكان الصوت المحذوف سواء أكان

هناك تقارب بينهما في المخرج أم لا.

✓ حذف وتعويض أي إحلال صوت مكان الصوت المحذوف.

7-4- الزيادة:

المخالفة بين الصوامت بالحذف دون تعويض:

المخالفة بالحذف بين الأمثال: (الصوامت المتماثلة):

كثيرة هي الكلمات العربية التي يتوالى فيها مقطعان متماثلان، سواء أكان ذلك التوالي في بداية الكلمة أم في وسطها أم في آخرها، ففي الغالب يتم حذف أحدهما والاكتفاء بصامت واحد، فقط وذلك تجنباً للثقل وضماناً لسهولة النطق بالكلمة، وحفاظاً على خفتها على اللسان، فإذا توالى مقطعان أصواتهما الصامتة متماثلة، أو المتشابهة الواحد بعد الآخر، فإنه يكتفي بواحد منها بسبب الارتباط الذهني بينهما،¹، "فمن كلام العرب أن يحذفوا ولا يعوضوا"².

وفي هذا الشأن قال الرضي: « اعلم أنهم يستقلون التضعيف غاية الاستقلال، إذ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه، ولهذا الثقل لم يصوغوا من الأسماء، ولا الأفعال رباعياً أو خماسياً فيه حرفان أصليان متماثلان متصلان، لثقل البناءين وثقل التقاء المثليين ولاسيما مع أصالتهما، فلا ترى رباعياً من الأسماء والأفعال، ولا خماسياً من الأسماء فيه حرفان كذلك، إلا وأحدهما زائد»³.

1- ينظر، بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص 79.

2- سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 83.

3- ينظر: الرضي الأستراباذي، شرح الكافية، ج 2/ ص 147.

وقد أورد العلماء أمثلة كثيرة من القرآن تحتوي على هذا النوع، منها كلمة "تلظى"¹ في قوله: "نارا تلظى" « فالأصل فيها تتلظ على وزن تتفعل، الشيء نفسه يقال في كلمة "تصدى" في قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾²، فإذا كان في أول مضارع "تفعل" و"تفاعل" تاء، فيجتمع تاءان، جاز لك أن تخففهما، وأن لا تخففهما، والتخفيف بشيئين: حذف أحدهما، والإدغام، والحذف أكثر، فإذا حذف فمذهب سيبويه أن المحذوفة هي الثاني، لأن الثقل منها نشأ، وأن حروف المضارعة زيدت على تاء "تفعل" لتكون علامة، والطارئ يزيل الثابت، إذا كره اجتماعهما [...] وقال الكوفيون، المحذوفة هي الأولى، وجوز بعضهم الأمرين»³.

المخالفة بين الأصوات المتقاربة بالحذف:

معلوم أن العربية تنفر ممن تتابع المتقاربين، كما تنفر من تتابع الأمثال وهذا نتيجة المشقة التي يتكلفها المتكلم حين الأداء الفعلي للكلام، قال سيبويه: « وقال بعضهم في يستطيع، يستع، فإن شئت قلت: حذف الطاء كما حذفت لام ظلت وتركوا الزيادة كما تركوها في تقيت، وإن شئت قلت أبدلوا التاء مكان الطاء، ليكون ما بعد السين مهموسا مثلها»⁴.

1- سورة الليل، الآية 14.

2- سورة عبس، الآية 6.

3- الرضي الاسترلابادي: شرح الشافية، ج3/ ص290.

4- سيبويه: الكتاب، ج4، ص484.

المخالفة بين الصوامت بالزيادة:

تعتمد العربية إلى استعمال المخالفة بين الصوامت المتماثلة والمتتابعة في السلسلة الكلامية بإطالة حركة الصامت الأول، هذه الإطالة بحروف المد الطويلة (أ.و.ي) تمثل فاصلاً زمنياً في تخفيف الثقل الناتج عن توالي هذه الأمثلة من الصوامت، فالحركات الطويلة المزيدة هي بمثابة حواجز فاصلة بينها، ويرى هنري فليش أن « الذي حملهم على إطالة الصوت الثاني، إنما هو رغبتهم في إخفاء التكرار في الأول، وهو غير مرغوب فيه، فقد كان العرب يشعرون أن الصوت الطويل هو خير فاصل بين الأصوات المتماثلة»¹.

ومما سبق، يمكننا القول أن ظاهرتي المماثلة والمخالفة من الطرائق الصوتية الناجعة التي تعتمد إليها العربية تفادياً للثقل، فهي تنفر من الكلمات المكونة من فونيمات متماثلة أو متقاربة المخارج والصفات لثقلها، والمؤكد أن الدافع الأساسي لهذا التفاعل القائم بين الأصوات المتوالية في تشكيل الوحدات اللغوية هو الاقتصاد في الجهد العضلي وتبليغ القصد بأيسر السبل وأسهلها، « وهذا الاقتصاد في الجهد اقتصاداً غير إرادي، بل يحدث دون أن يشعر المتكلم بحدوثه ودون أن يكون له قصد فيه»².

1- هنري فليش: العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، ص104.

2- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص252.

الفصل الثاني

طبيعة التشكلات اللغوية

للخطاب اللهجي الجزائري

1- دوافع التعدد اللهجي في الجزائر:

يتسم الخطاب اللهجي في الجزائر بتعدد تجلياته وتمظهراته، التي انبثقت إثر عوامل متعددة، ساهمت في بعث هذا التعدد والتباين. ولذا فإن محاولة الوقوف على مختلف التشكلات اللغوية للخطاب اللهجي، يستدعي تقصي العوامل التي دفعت إلى إحداث هذا التعدد، وساهمت في تعميقه.

ولاشك أن هذا التعدد الذي طبع اللهجة الجزائرية، يرتد إلى دوافع تباينت بين الدافع التاريخي والجغرافي والاجتماعي. ومن ثم صار لزاما على أي دارس لأي لهجة « أن يحدد منطقة بحثه، أن يصفها وصفا جغرافيا عاما، ويصف الحياة الاجتماعية لسكانها ويلقى ضوءا على تاريخ هؤلاء السكان مبينا ما أمكنه الأصل الذي انحدروا منه، ويتتبع هجرات الوافدين إلى المنطقة والنازحين عنها، لأن لذلك كله أثرا في محيط درس اللهجات وتطورها، والعوامل التي أثرت فيها، والمقارنة بينها وبين لهجات أخرى تعاصرها، أو لهجات قديمة يثبت البحث صلتها به»¹.

1-1- الدافع التاريخي:

إن المتأمل في السياق التاريخي للجزائر بمختلف توجهاته، السياسية منها والاجتماعية واللغوية، ينتهي إلى أن الجزائر تعاقبت عليها أمم وحضارات كان لها بالغ الأثر على اللغة واختلافها. ومن ثم تفرعها إلى لهجات تختلف من منطقة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر، فقد كان الخطاب اللغوي للجزائر في بدئته بربريا، ومن ثم فنيقيا بتواجد القرطاجيين الذين وفدوا لهدف تجاري محض إلى أن أصبح عربيا بقدوم الإسلام إلى الجزائر².

1- عبد العزيز مطر، لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط، دار الكاتب، القاهرة، 1967، ص 11 .

2- ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب، تطوان وما حولها، دار الكاتب، القاهرة، 1968، ص 33-60.

ومع الاحتلال الفرنسي عرفت اللهجة الجزائرية تباينا واضحا واختلافا بينا نسبة إلى اللغة الفصحى وإلى شقيقتها من اللهجات العربية، وذلك لسياسة القمع التي اتخذتها فرنسا في وجه من يكتبها أو يتناولها كموضوع بحث، وسرعان ما تأثرت الحالة اللغوية في الجزائر باللغة الفرنسية، فالتطور اللغوي لأي لغة لا يمكن أن يظل بمنأى عن الاحتكاك بلغة أخرى، ومن ثم، فإن المسار التطوري لأي لغة بمعزل « عن كل تأثير خارجي يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة، بل على العكس من ذلك، فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا هاما في التطور اللغوي، ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية واحتكاكها يؤدي حتما إلى تداخلها»¹.

فالصراع الذي يحدث بين الأفراد شبيه بما يحدث بين اللغات، حيث « تختلف نتائج هذا الصراع بين اللغات باختلاف الأحوال، فتكثر مظاهره كلما طال أمد احتكاك اللغتين وكان النزاع بينهما عنيفا والمقاومة قوية من جانب اللغة القوية، وتقل مظاهره كلما قصرت مدة الصراع أو خفت وطأة النزاع، أو كانت المقاومة ضعيفة من الجانب اللغة المغلوبة»²، فالاحتكاك بين لغتين لا يتم وفقا لنمط تجاذبي مرن، « ذلك لأن قوة اللغات ليست واحدة ومن ثم اختلفت قدرتها على المقاومة»³.

وقد حصر عبد الصبور شاهين تلك الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى التأثير بين اللغات، فكان أن بيّنها على النحو الآتي⁴.

أ- الغلبة في الصراع والانتصار في الحرب، والمقهور مولع بتقليد الغالب وخاصة إذا كن للمنتصر حضارة وثقافة ورقي وليس للمنهزم شيء من ذلك.

1- فندريس، اللغة، ص 34.

2- على عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 229 .

3- فندريس، المرجع السابق، ص 349-350.

4- ينظر: توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1980، ص 129 - 131.

ب- وكذلك الهجرة القومية المكثفة أو الاستعمار الثقيل.
 ج- و تتأثر اللغات بالاحتكاك عن طريق المجاورة أي التجارة ، وكذلك أثناء الحروب.
 د- العلاقات الثقافية والحضارية بين الشعوب لها أثر عميق في التبادل والتأثير والتأثر بين اللغات في العالم
 ومنه يتضح أن اللغات تأثر وتتأثر نتيجة احتكاكها بعضها البعض ولهذا الاحتكاك دوافع منها ما هو اجتماعي، ثقافي، ديني، استعماري أو تجاري.
 ونخلص مما سبق إلى أن الاختلاف اللهجي في الجزائر له ما يبرره تاريخيا ذلك أن احتكاك اللغات يولد أنواعا جديدة من اللهجات، تتباين فيما بينها وتتطور تطورا مستقلا في البيئة الجديدة، وخير ما نستدل به على ذلك احتكاك اللغة العربية في الجزائر بالفرنسية في القرن التاسع عشر، مما أدى إلى انبعاث ملامح لغوية جديدة لحقت باللغة العربية من تغير في اللهجة ودخول ألفاظ وتراكيب فرنسية في التواصل اليومي للجزائريين.

1-2-الدافع الجغرافي:

مما لا شك فيه أن للبيئة الجغرافية أثر لا يستهان به في تحديد السمات اللغوية للخطاب اللهجي، « فإذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة تختلف الطبيعة فيها من مكان لمكان، كأن توجد جبال أو وديان تفصل بقعة عن أخرى بحيث ينشأ عن ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة أخرى، فإن ذلك يؤدي مع الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمي إلى نفس اللغة، فالذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين في بيئة صحراوية بادية»¹.

1- عبد الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، المعرفة الجامعية 1998 ، ص 37 .

ومرد ذلك الاختلاف يعزى اختلاف البيئة الجغرافية، « فمتى انتشرت جماعة لغوية تعيش في مكان معين على أرض واسعة تختلف طبيعتها، فإن ذلك يؤدي . مع تطاول الزمن إلى انشعاب لغتها الواحدة إلى لهجات ، وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسما وخلقا ونفسيا كما هو في الواقع فإنها كذلك تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام»¹.
ولئن اتسعت رقعة اللغة، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية، أو اجتماعية، فإننا « نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة إلى لهجات عدة، ويترتب على هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض، وانعزال بعضهم عن بعض، ونتيجة هذا تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين أن تتطور تطورا مستقلا يباعد بين صفاتها ويشعبها إلى لهجات مختلفة»².

وعليه، فإن هذا الملحظ يقودنا إلى إمكانية الإقرار بأن كل لغة من اللغات في العالم كانت يوما لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات، وتحت تأثير الانفصال الجغرافي، اندثرت اللغة الأم، وانتشرت الأشكال اللهجية الأخرى مكونة لغة لها خصائصها ومميزاتها الصوتية والتركيبية والدلالية . عبر مرور السنين-، وهو ما يتجلى على صعيد اللهجات الجزائرية التي تتمظهر وفقا للانقسامات الجغرافية للقطر الجزائري، فنجد لهجات الشرق، لهجات الشمال، لهجات الغرب، لهجات الجنوب.

ولما كان للبعد الجغرافي أثر جلي في تفريع اللغة الواحدة إلى لهجات، عكف علماء اللغة على رسم خرائط لغوية وسموها بـ"الأطالس اللهجية"، التي تتوخى الكشف عن الحدود الجغرافية لتوزيع مميزات لغوية عادة ما ترمي إلى حد لهجي، يتوافق هذا الحد مع عامل جغرافي أو سياسي معين مثل سلسلة جبال أو نهر، أو حد ولاية، فقد « اقتبس علم

1- فندريس، اللغة ، ص237.

2- ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص27.

اللغة منذ أكثر من نصف قرن مضى، طرق علم الجغرافيا ليضع حدودا لغوية للهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كل لهجة وتفرق بين لهجة وأخرى، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا إلا في أن ما بدون عليها ظواهر لغوية تطلع القارئ على أدق الفروق في الأصوات والمفردات بين اللغات المختلفة واللهجات المتباينة»¹.

وجدير بالذكر أن علماء العرب القدماء فطنوا إلى أن خصائص الإقليم الطبيعية تطبع لغة سكانها، ولاحظوا الفروق اللغوية الكبيرة بين لغات القبائل، فكان توثيق اللغة العربية ولهجاتها وآثارها الأدبية قبل جمعها وتدوينها قائما على أوصاف مركزية وتموقعات جغرافية واضحة، و« هذا ما يجرنا إلى القول بأن العرب قد أدركوا بشكل أو بآخر البعدين اللذين يقوم عليهما علم اللهجات واللسانيات الجغرافية اللذان لم يريا النور عند الغربيين على نحو أسس علمية وأكاديمية إلا مع بداية المنتصف الثاني من القرن العشرين»².

وخلاصة القول أن لاختلاف البيئة الجغرافية أثر بارز في انقسام اللغة وتشعبها إلى لهجات، « فاللغة كالشجرة تتدلى فروعها إلى أسفل فتلامس التربة وترسل جذورا، تصبح أشجار فنية فيما بعد»³، وأن اتساع الرقعة الجغرافية يعمل على تشعب المجرى وتجزئه إلى مجار صغيرة مختلفة⁴، فكان الطبيعة تسم الألسن كما تسم الوجوه.

1- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 73.

2- عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الجغرافية في التراث، دار هومة، الجزائر، ص 47.

3- أنيس فريحة، نحو عربية مسيرة، الثقافة، بيروت، ص 75.

4- ينظر، أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، ص 69.

1-3-الدافع الاجتماعي:

يعزى التعدد اللهجي إلى العامل الاجتماعي، الذي تشكل بفعل مجموعة من «النظم الاجتماعية، والعرف، والتقاليد، والعادات، ومبلغ الثقافة، ومناحي التفكير والوجدان، فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صدها في أداة التعبير»¹.

ولا شك، أن المجتمع الواحد يتفرع إلى طبقات كما يؤكد ذلك الدكتور عبد الغفار حامد هلال في قوله: « والمجتمع الواحد قد يوجد فيه الطبقات الأرستقراطية، والدنيا، أو الطبقات الصناعية، والزراعية، والتجارية، وغيرها من أرباب المهن المختلفة. وبقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات المجتمعات وتختلف»².

ومما سبق، يتضح أن اختلاف العوامل الاجتماعية، يؤدي حتما إلى اختلاف اللهجات، فالمجتمع تتباين طبقاته إذ نجد فيه طبقة غنية، وأخرى متوسطة، وثالثة فقيرة، فالطبقة الغنية تنتم في كلامها وتخير ألفاظها لأنها تمثل أرقى الطبقات، وبالتالي تحاول أن تبدو في أحسن الصور على جميع الأصعدة، بينما تتميز لغة الطبقة المتوسطة والفقيرة بالبساطة والعفوية اتفاقا مع حياتهم البسيطة .

كما أننا نلاحظ اختلافا لهجيا في الإقليم الواحد تبعا لاختلاف المهن فيه، فلغة الطبيب تختلف عن لغة المحامي، كما تختلف لغة الحرفيين عن لغة المزارعين، والتجار، وهذا ما يعرف في علم اللغة الحديث باللغة الوظيفية *occupationnel language* ذلك أن لهجة ما داخل مجتمع ما تتحدد طبقا للوظيفة التي يمتنها المتكلم، فالمستمع مثلا لن يخفق في التعرف على المستوى الاجتماعي والثقافي لمتكلم ما من خلال لهجته أو نطقه لبعض المفردات، ويقر فندريس أن هذه الأسباب تؤدي إلى نشأة ما يسميه بالعاميات الخاصة فيقول: « يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة

1- عبد الواحد وافي، علم اللغة ، ص 169 وما بعدها .

2- هلال عبد الغفار حامد . اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص 33.

والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يحد، وفي تغير دائم تبعا للظروف والأمكنة، فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة»¹.

وضمن ذات الرأي، فإن المجتمع الإنساني بطبقاته المختلفة يؤدي إلى الاختلاف اللهجي باعتبار أن كل طبقة تتخذ لهجة تتماشى معها، وعليه فانتشار اللغة الواحدة في بيئات منعزلة يكون لهجات لا تلبث أن تستقل وتتميز بخصائص لأن «الأصل في تشعب اللغات تشعب الجماعات فإن اللغة بنت الاجتماع»².

ولئن كان التعدد اللهجي مرهون بتعدد الدوافع التاريخية والاجتماعية منها، فإننا نقف على دافع نظمي فردي يعزي إليه تحديد نمط من الاستعمال اللهجي، الذي يتعلق بالجوانب الشخصية لدى الفرد المتكلم أثناء إنجازه العقلي للخطاب، فلكل شخص خصائصه النطقية والتعبيرية التي يمتاز بها عن غيره من المتكلمين. وأهم هذه الخصائص:

- أ- البصمة الصوتية التي تختلف من شخص لآخر .
 - ب- العادات اللغوية التي تظهر في عملية التلفظ .
 - ج- الشعور بالانتماء المهني والحرفي وأثره في القاموس اللغوي عند الفرد المتكلم³.
- ويطلق "أنيس فريحة" على هذه الظاهرة بالمغايرة الفردية، وهو يرى أن هذه المغايرة طبيعية عفوية، ولا نعلم السبب في ذلك كما أننا لا نعلم لماذا لا تشبه حبة قمح حبة أخرى في عرمة من القمح فكأن الطبيعة تكره الوحدة وتميل إلى المغايرة.⁴

1- فندريس، اللغة ، ص 315.

2- الرافي مصطفى صادق، تاريخ أدب العرب، الأخبار، مصر، 1911، ج1/ص65.

3- ينظر، أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص 36.

4- ينظر: أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، ص 106 .

2- ينظر إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص196.

وصفوة ما سلف، أن التأدييات اللغوية الفردية للمتكلمين تؤدي مع الزمن إلى اختلاف اللهجات وابتعادها عن اللغة الأصل، ويضاف إلى هذا أخطاء الأطفال التي يكون لها بالغ الأثر في التأثير على اللغة وتشعبها إلى لهجات متميزة إذا لم تجد هذه الأخطاء محلا من التصويب والتقويم لدى الكبار.

2- طبيعة التشكلات اللغوية للخطاب اللهجي الجزائري:

لئن كانت اللهجة الجزائرية سبيلا جوهريا من سبل التواصل في المجتمع الجزائري، فإن الهيكل التشكيلي لنظامها، يرد إلى ذلك المزيج من اللهجات المحلية المنتشرة في ربوع الوطن الجزائري، فاللهجة الجزائرية - كما يقول عبد المالك مرتاض: « يتمثل هيكلها اللغوي العام في هذه اللهجات الإقليمية التي تختلف من جهة إلى جهة، بل أحيانا تختلف من قرية إلى قرية مجاورة لها»¹.

وتعد اللهجة الجزائرية تمظها من التمظهرات اللهجية العربية، وهي نتاج ذلك التنوع والتزاحم اللغوي الذي شهدته البلاد عبر التاريخ، بسبب تعاقب الأجناس، والدول، والحضارات عليها منذ فجر التاريخ إلى الاستقلال، حاملة معها عاداتها، وتقاليدها، وخاصة لغاتها، وهذا ما جعلها تكتسب خصائص صوتية، وتركيبية، ودلالية معينة، تميزها عن اللغة الأم من جهة، وعن بقية اللهجات العربية الأخرى.

2-1- الخصائص الصوتية للهجة الجزائرية:

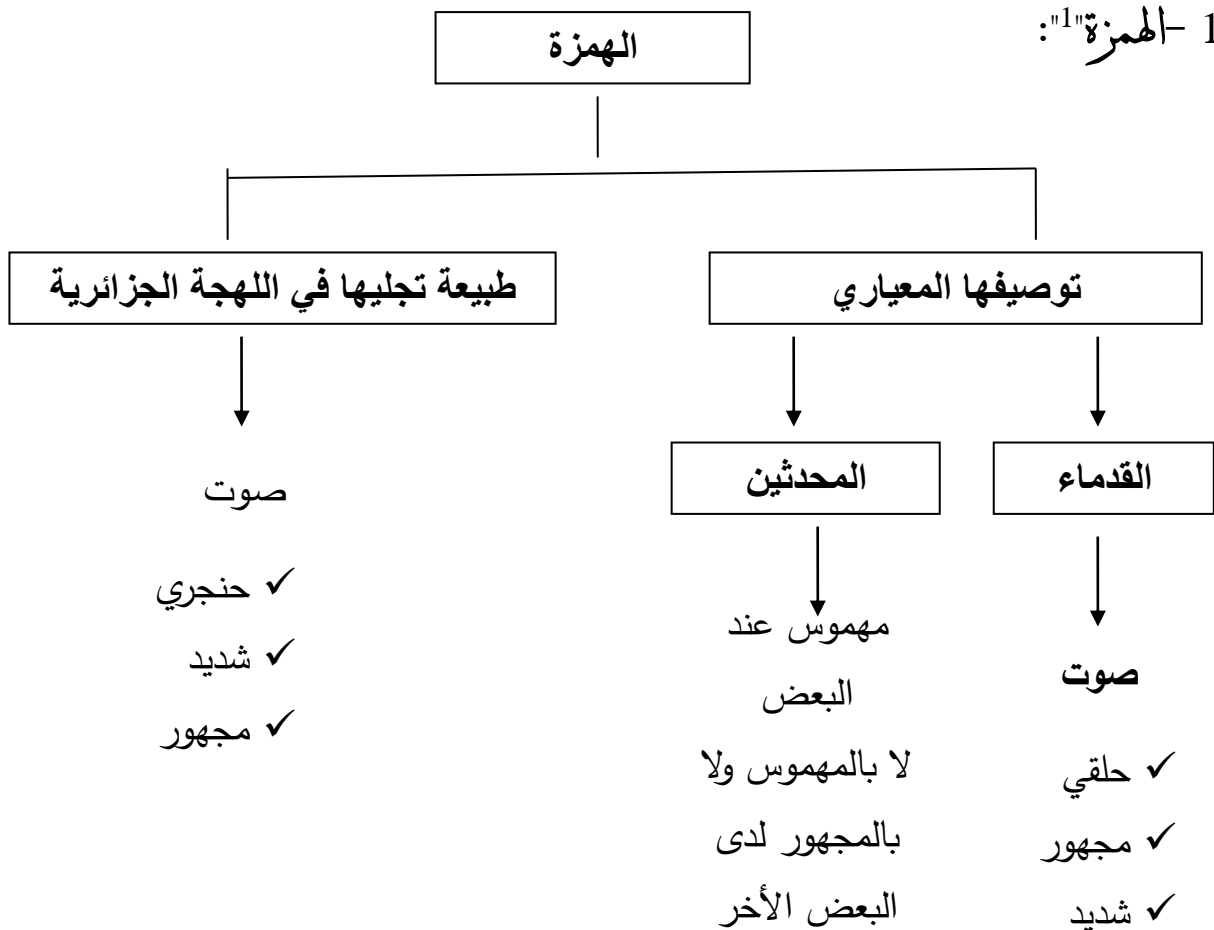
إن محاولة الوقوف على السمات الصوتية للهجة الجزائرية، يستدعي مساءلة صوتية تستوجب الارتهان إلى علم الأصوات بوصفه حقلا معرفيا يدرس الصوت الحي للإنسان، « وهو يؤدي نشاطه اللغوي، وتحليل السلسلة الكلامية إلى العناصر التي يمكن تجريدتها، ثم وصف الطريقة التي يتكون بها كل عنصر من هذه العناصر، وبيان كيفية انتقالها في الهواء، وذكر الخصائص المميزة لها، ثم تصنيفها على أسس معينة، ومن هنا كان هذا العلم ذا أهمية جوهريّة بالنسبة لسائر فروع علم اللّغة، إنه حجر الأساس بالنسبة لأي دراسة أخرى كالنحو أو النحو المقارن، أو دراسة المعنى»². لذلك، فإنه يصعب

1- عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2012، ص7.

2- محمود السعمران، علم اللّغة، ص104.

الوقوف على مختلف الجوانب للغة ما (صرفية، نحوية ودلالية) قبل إدراك جانبها الصوتي، الذي تنظمه جملة من القوانين تبنى عليها بقية المستويات الأخرى، إذ لا يمكن الأخذ في دراسة لغة أو لهجة ما دراسة علمية ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، وأنظمتها الصوتية، فالكلام أولا وقبل كل شيء سلسلة من الأصوات ينبعث منها معنى ما.

واللهجة الجزائرية تتأسس على نظام صوتي، يتشكل من فونيمات تتدرج في اللسان العربي، وألفونات متنوعة ناتجة عن التنوع اللهجي الذي يسم الفضاء اللغوي للمجتمع الجزائري، وفيما يلي وصف تحليلي لكل صوت من أصوات هذه اللهجة:



1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادة لهذا الصوت:

ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، وهنري فليش، العربية الفصحى، ص38.

ينظر كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص88، وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص90.

لا نجانب الصواب، إذا أقررنا أن التوصيف العلمي للهمزة، سواء أكان عند القدماء أم المحدثين، يشير إلى صعوبة تحقيقها الفيزيولوجي، فصوت الهمزة « أشق الأصوات الساكنة وأعسرهما عند النطق به، لأنه يتطلب جهدا عضليا قويا»¹، وهو ما يبرز ميل اللهجات الحديثة إلى تسهيلها أو التخلص منها، وذلك لكونها « أكثر الأصوات الساكنة شدة، وعملية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية، لأن مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها، ثم تنفتح فجأة... لهذا مالت كل اللهجات العامية إلى التخلص منها في النطق»².

ولئن حاولنا استجلاء طبيعة تظهرها في اللهجات العربية القديمة، نلفي أغلب القبائل العربية تميل إلى التخفيف بدلا من التحقيق، إذ « تكاد تجمع الروايات على أن التزام الهمزة وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم، في حين القرشيين يتخلصون منها بحذفها، أو تسهيلها، أو قلبها إلى حرف مد»³.

وبالتساند مع خصوصية التخفيف التي تظهرت بها الهمزة في اللهجات العربية القديمة، ألفينا الهمزة تتجلى عبر آلية القلب عينا، فقد نسب لقبيلة تميم وقيس عيلان وأسد، ومن جاورهم هذا الوضع الصوتي، الذي يحيل الهمزة المفتوحة عينا، لكونها صوت مجهور، وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجا.

إن هذا الوضع الصوتي للهمزة لم يكن مقتصرًا على القبائل العربية القديمة، فقد شاع في اللهجات الحديثة قلب الهمزة عينا، لاسيما تلك المناطق المتاخمة للصحراء،

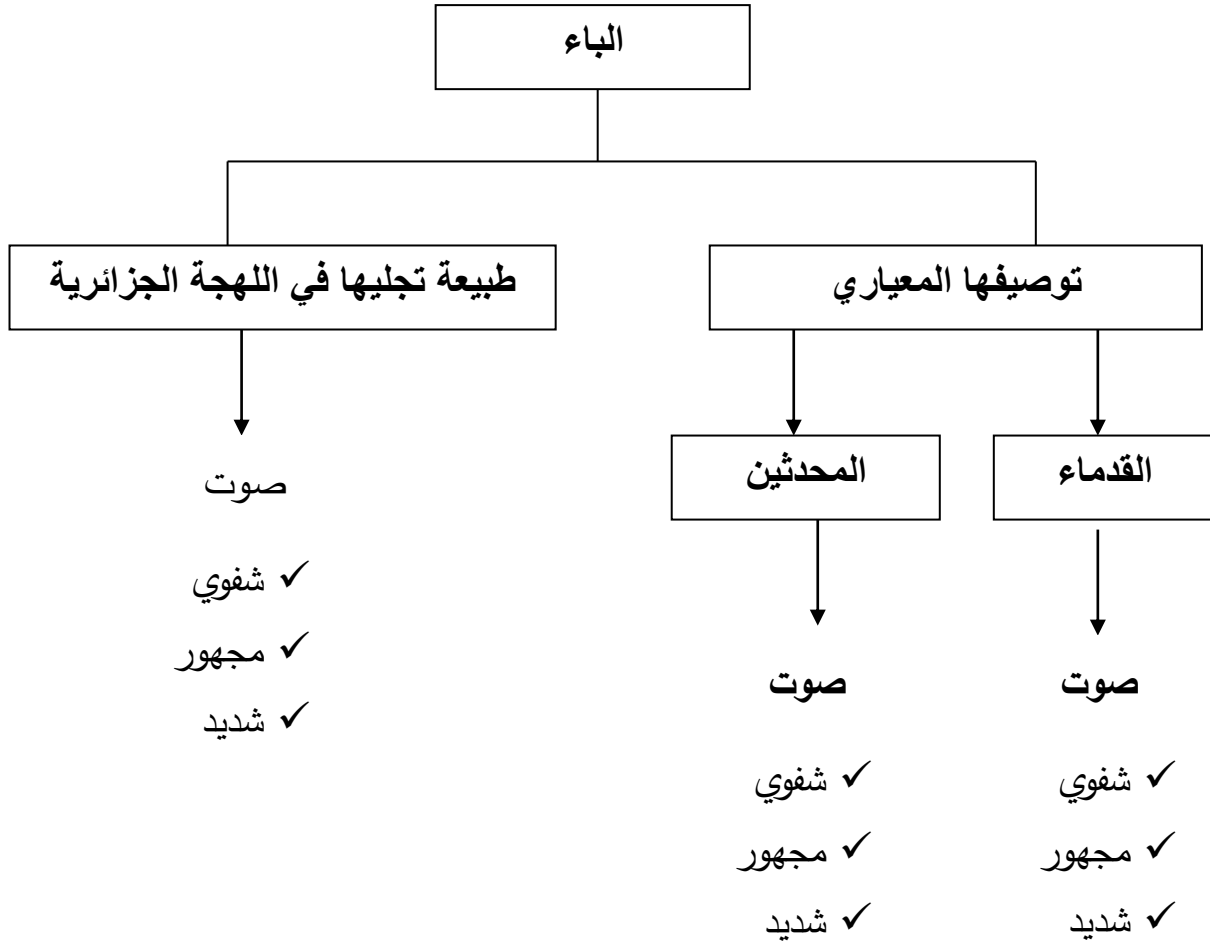
1- برجستراسر، التطور النحوي، ص42.

2- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ص 77.

3- عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب "تطوان وماحولها"، ص70.

وقلب الهمزة عينا في هذه اللهجات غير مقيد بالبدء بها أو كونها محرقة بحركة خاصة¹.

2-الباء²:



1- ينظر: إبراهيم أنيس، اللهجات العربية ص 98.

2- استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادة لهذا الصوت:
 ينظر: سيوييه، الكتاب، 4/ 433. ينظر، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 45.
 ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ص 119.

وإلى جانب هذه المعطيات التوصيفية المثبتة في المخطط التشجيري، فإن الباء قد يهمس في بعض اللهجات الحديثة، بفعل العلائق الصوتية الجوارية، فقد تهمس الباء إذا كانت: ✓ في بداية الكلمة مجاورة لصوت مهموس على نحو ما نلفيه في: بشم، بخص، بشع.

✓ في آخر الكلمة يسبقها صوت مهموس كقولنا: خشب، ركب، عصب، أو صوت لين طويل مثل ركاب، حساب، كتاب¹ .

ولاشك أن هذا الوضع الطارئ على صوت الباء، يعد انحرافا صوتيا، فقد أشار سيبويه أن تحول الباء من الجهر إلى الهمس مسوغ من مسوغات الاستهجان الصوتي، ولذلك أدرج هذه الحالة ضمن الحروف المستهجنة².

3- التاء³:

يعد صوت التاء من الأصوات التي تباين وجه تحققها بين القدماء والمحدثين، إلا أن الواقع النطقي الجزائري، يتوافق مع كيفية نطقها في اللهجات العربية الحديثة، إذ تتصف التاء بكونها صوتا أسنانيا، لثويا، مهموسا، مركبا من شدة تتبعها رخاوة، نتيجة احتكاك قوي يرافق عملية الإنتاج الفيزيولوجي، « وخروج النفس من بين الثنايا يحوله إلى حرف فيه صفير، أي إلى تاء ملينة ذات زائدة سينية رخوة»⁴، وهذا في بعض المناطق الجزائرية، وفيما يلي مخطط تشجيري يوضح طبيعة تجلي صوت التاء وفقا للتوصيف المعياري القديم والحديث وفي اللهجة الجزائرية.

1- ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ص 119.

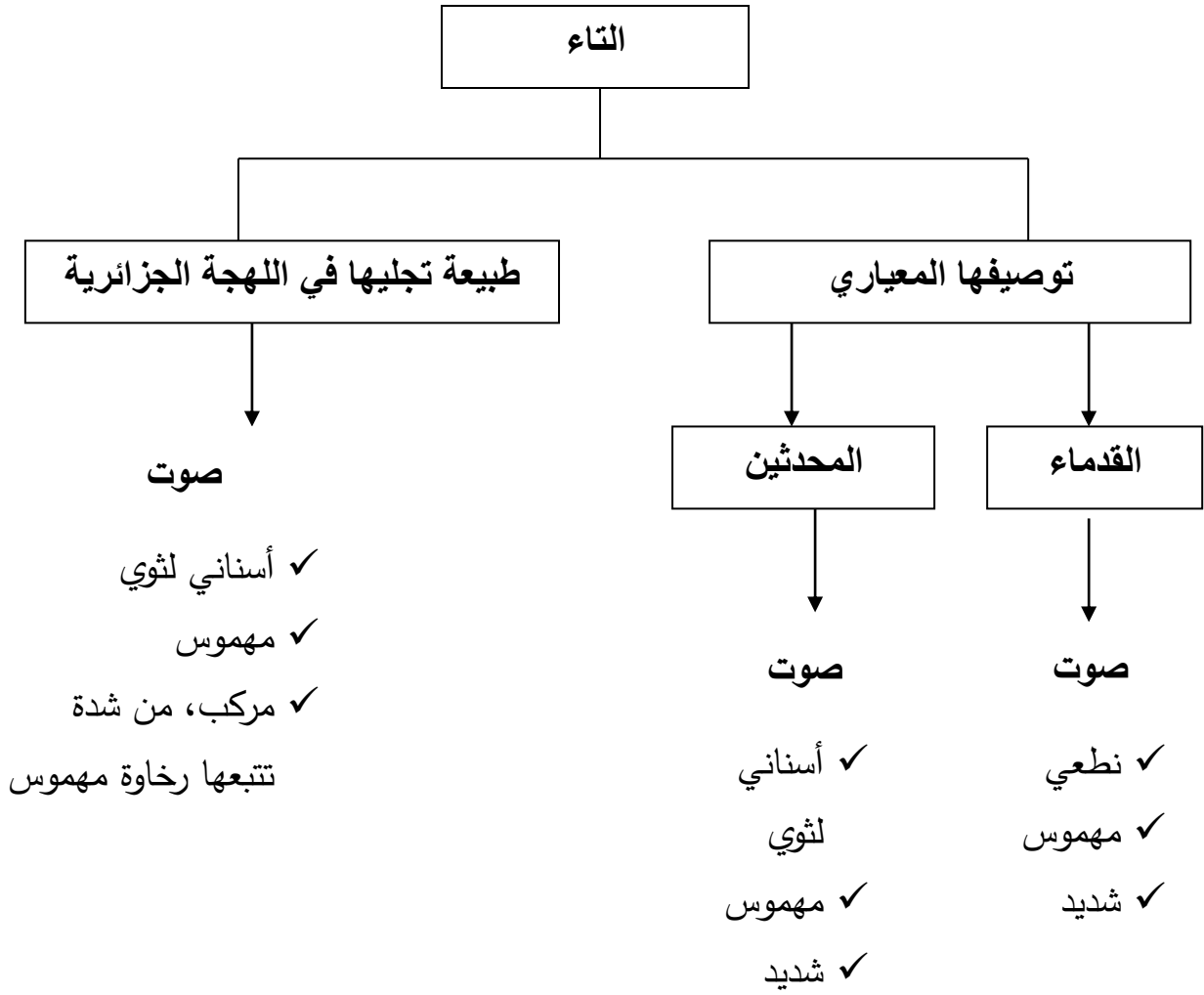
2- ينظر، سيبويه، الكتاب، 4/432.

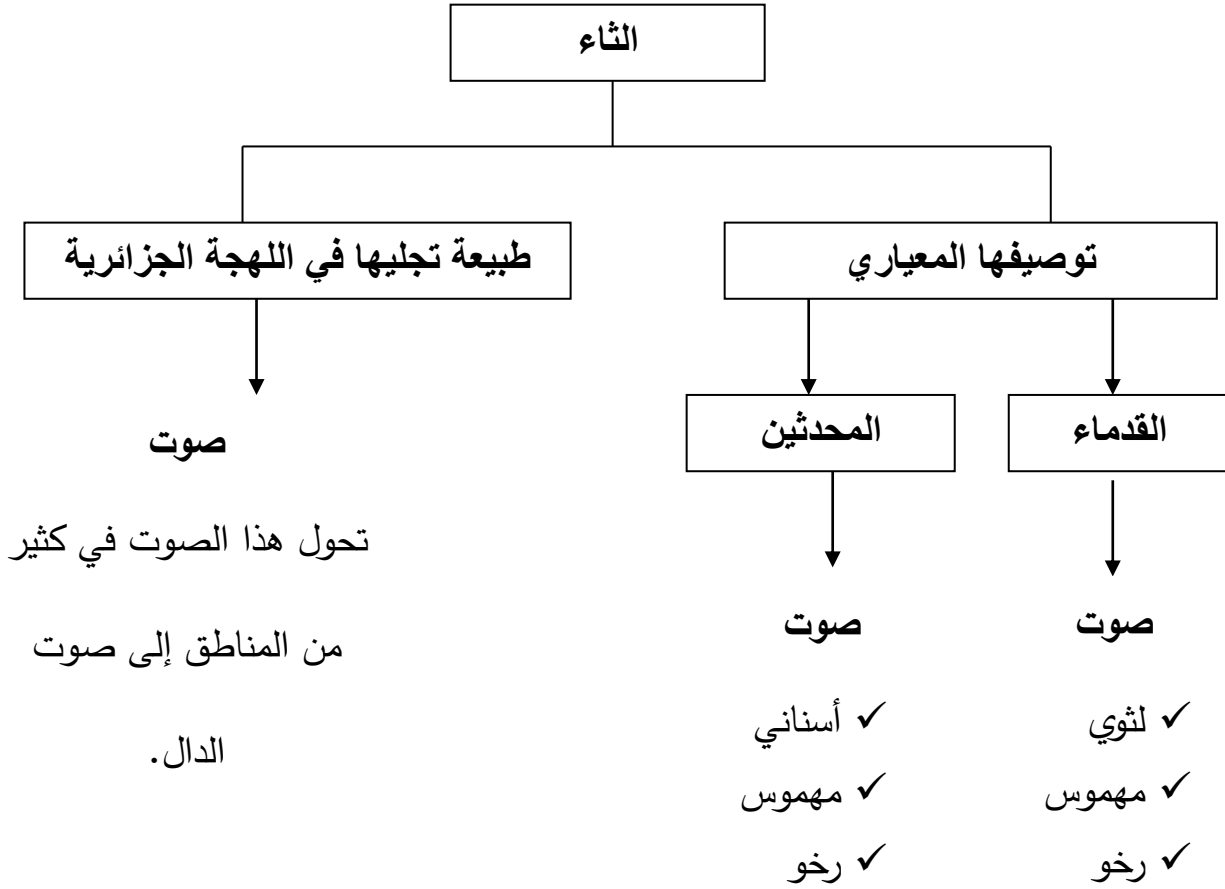
3- استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادة لهذا الصوت:

ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/ص201-202.

تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص127.

4- جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص58.



4-الناء¹:

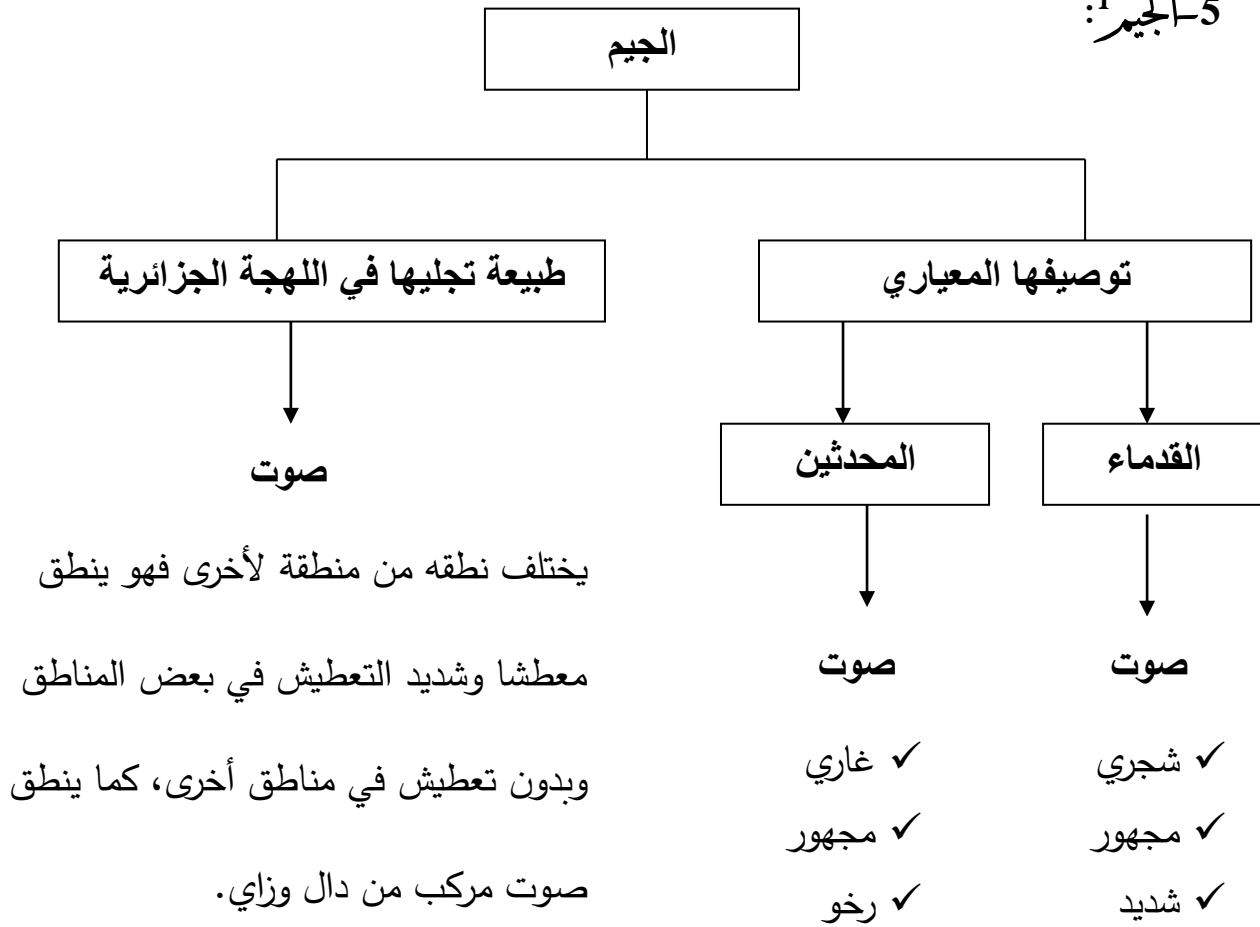
وقد أشار كل من تمام حسان وعبد الرحمان أيوب إلى أن الناء العربية القديمة، قد تبددت معالمها اللهجات الحديثة²، إلا أن هذا الوضع لا يصدق على الواقع النطقي الجزائري، إذ مازالت الناء تنطق كما هي في الفصحى في كثير من اللهجات الجزائرية خاصة في المناطق الداخلية والهضاب، على الرغم من اختفاءها في بعض اللهجات الأخرى .

1- استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادة لهذا الصوت:

ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/ص201-202.

تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص127.

2- ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص127.

5- الجيم¹:

وباستقراء الواقع النطقي لصوت الجيم في اللهجات العربية، نلاحظ أنه يختلف باختلافها²، إذ نجد من ينطقها شديدة تتأى عن الرخاوة، في حين نلفيها لدى البعض تتحقق مركبة بين الشدة والرخاوة، ومنهم من ينحو صوب تمثل صفة الرخاوة³.

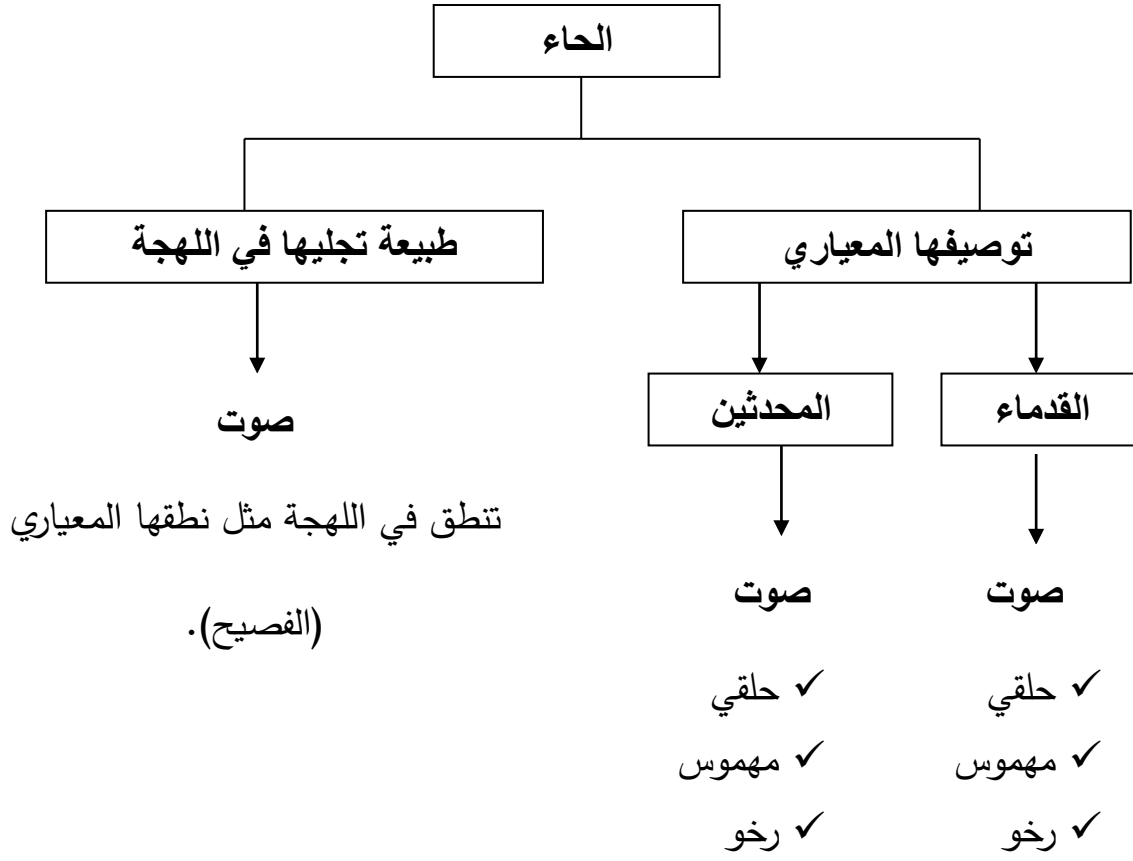
1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادة لهذا الصوت:

سيبويه، الكتاب، ج4/ص434

2- ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 132.

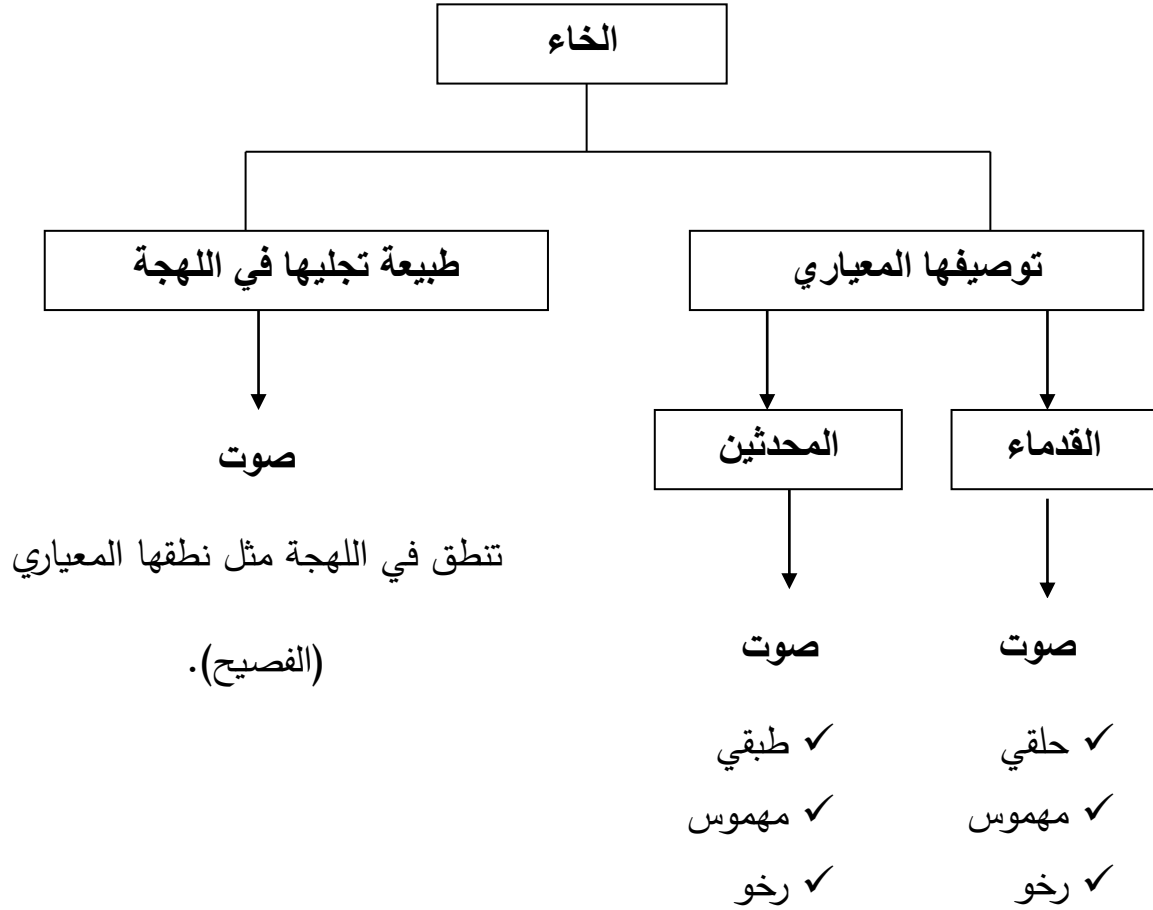
3- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 78-79.

6-الحاء:1

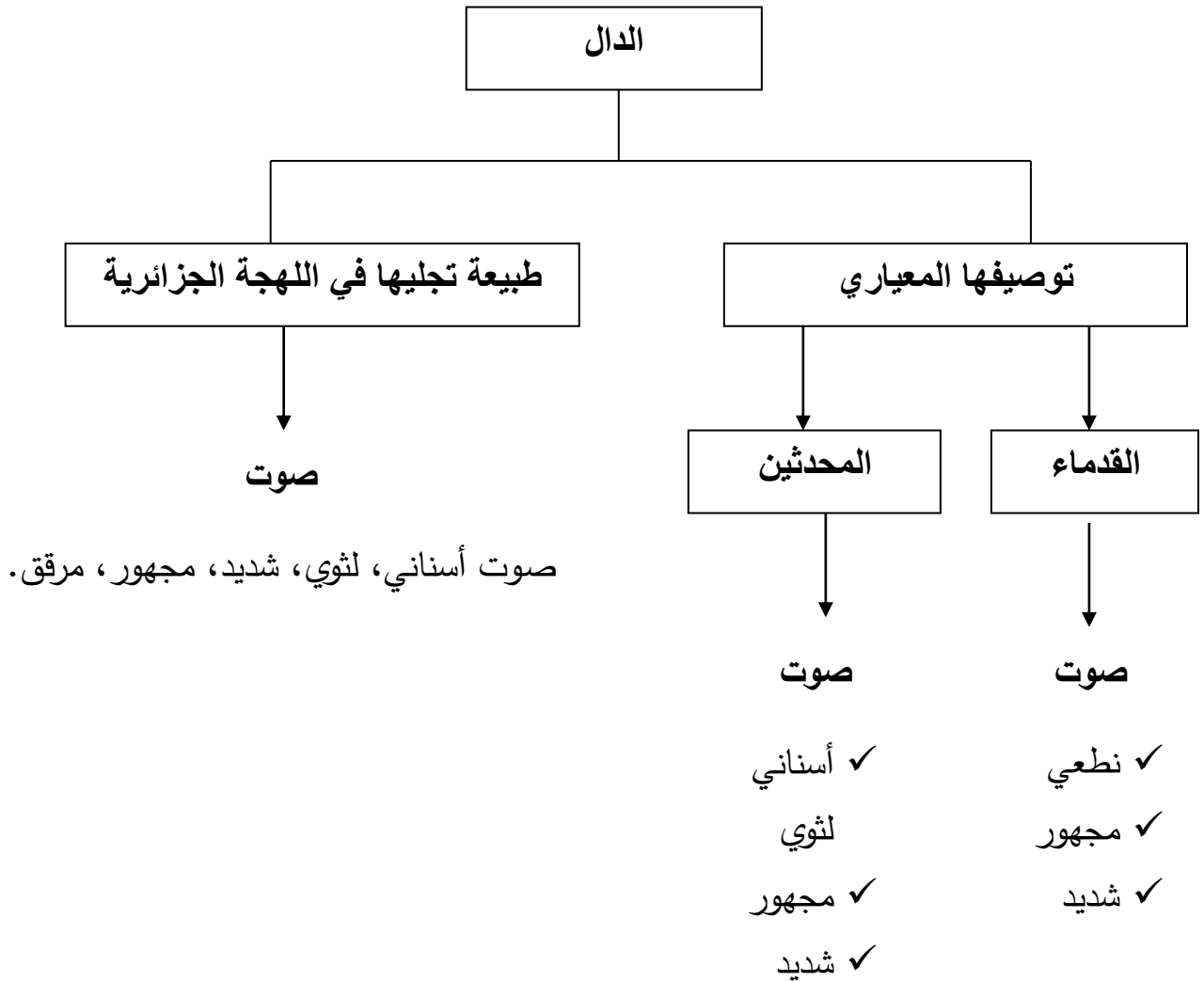


1 -- استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادة لهذا الصوت:
ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص88، وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص131.

8 - الخاء: 1.



1 -- استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادة لهذا الصوت:
ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 88، وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 131.

9- الدال¹:

ولئن كان صوت الدال مجهور بحسب التوصيف المعياري التراثي والحديث، فإن قد

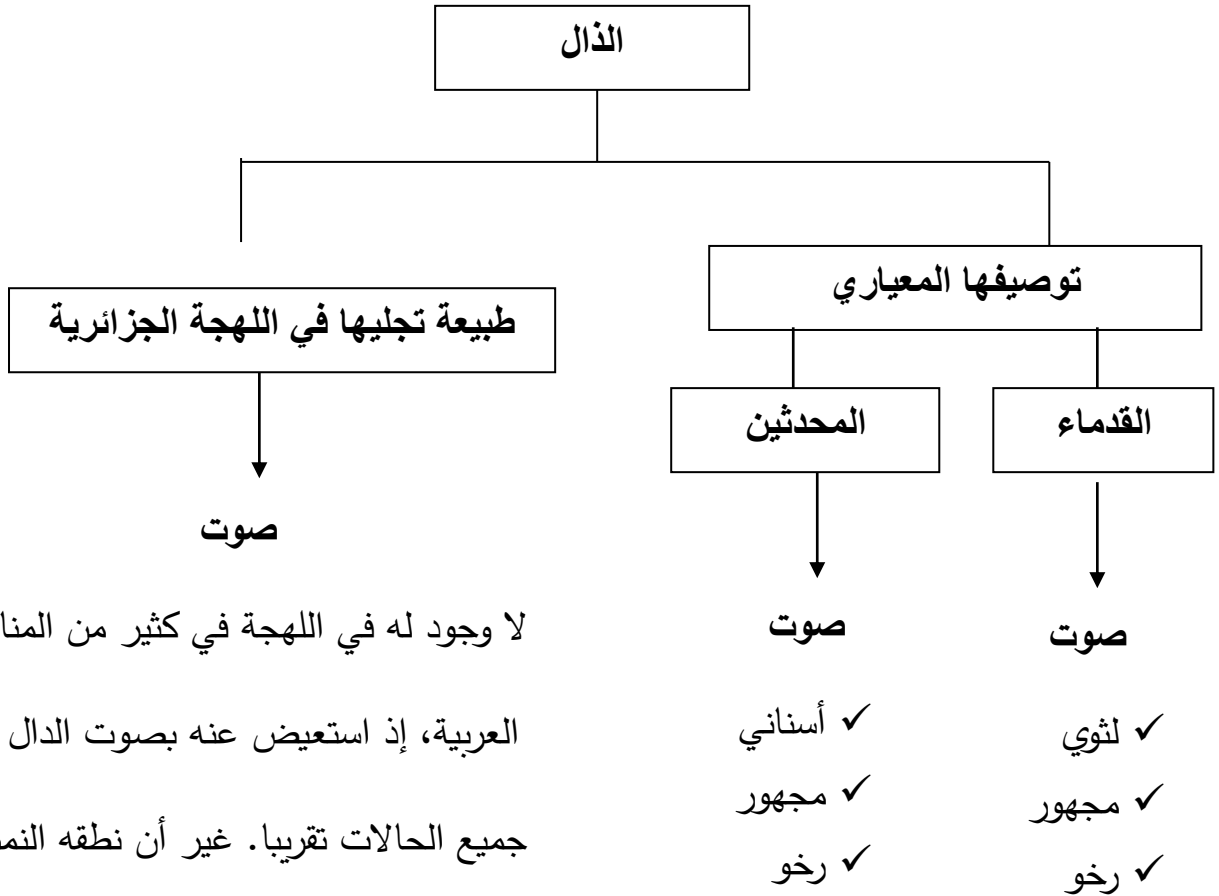
يهمس في بعض المواقع في الكلام العادي إذا كان متبوعا بصوت مهموس، وهو ما يطلق عليه الدارسون "التأثر الرجعي"².

1 -- استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

الميرد، المقتضب، ج1/ص193.

1- كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص102.

2- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص180.

10 الدال¹:

لا وجود له في اللهجة في كثير من المناطق

العربية، إذ استعويض عنه بصوت الدال في

جميع الحالات تقريبا. غير أن نطقه النمطي

لا يزال موجودا في كثير من المناطق

الجزائرية

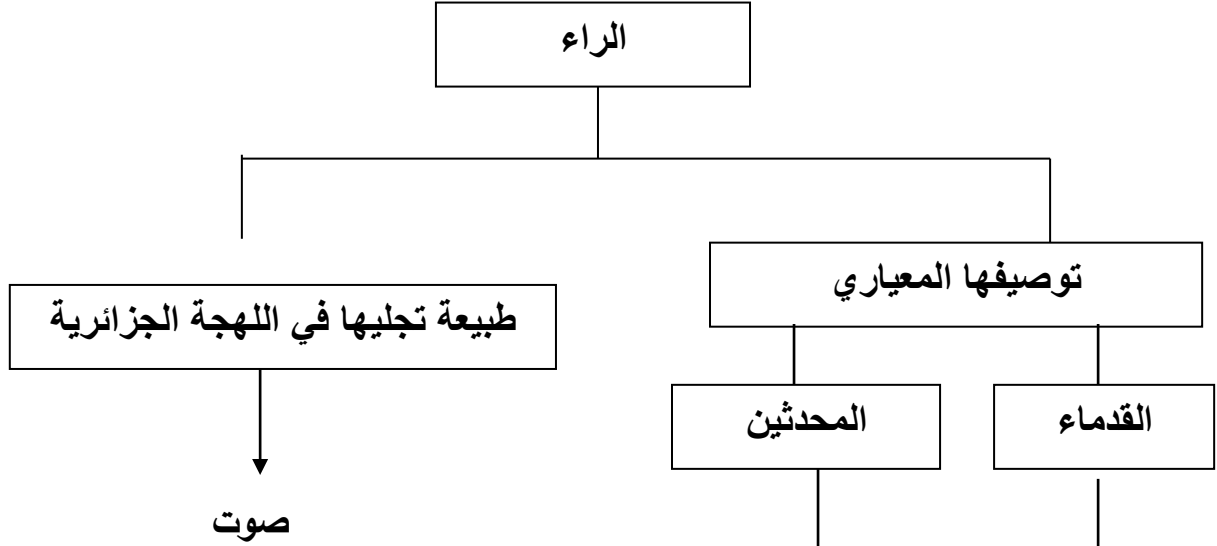
1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

سيبويه الكتاب، 433/4.

عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 291.

ينظر: كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص 102.

11 الراء "1":



نطق الراء في اللهجة يختلف شدة، ورخاوة حسب الأفراد، وحسب المواقف كما يختلف التفخيم، والترقيق، وهذا بحسب اختلاف موقعه في السياق، وظاهرة التفخيم، والترقيق، غالبا ما تكون سببا في تغيير معنى الكلمة الواحدة تغييرا جذريا، "مثل: كلمة رايح فهم عندما ينطقونها بالتفخيم يعنون بها الذهاب أي "الرواح"، وعندما ينطقونها بالترقيق يعنون بها الرائحة (غالبا ما تكون نتنة) كما يعنون بها أيضا "الراحة".

صوت

صوت

✓ لثوي

✓ مجهور

✓ متوسط

✓ ذلعي

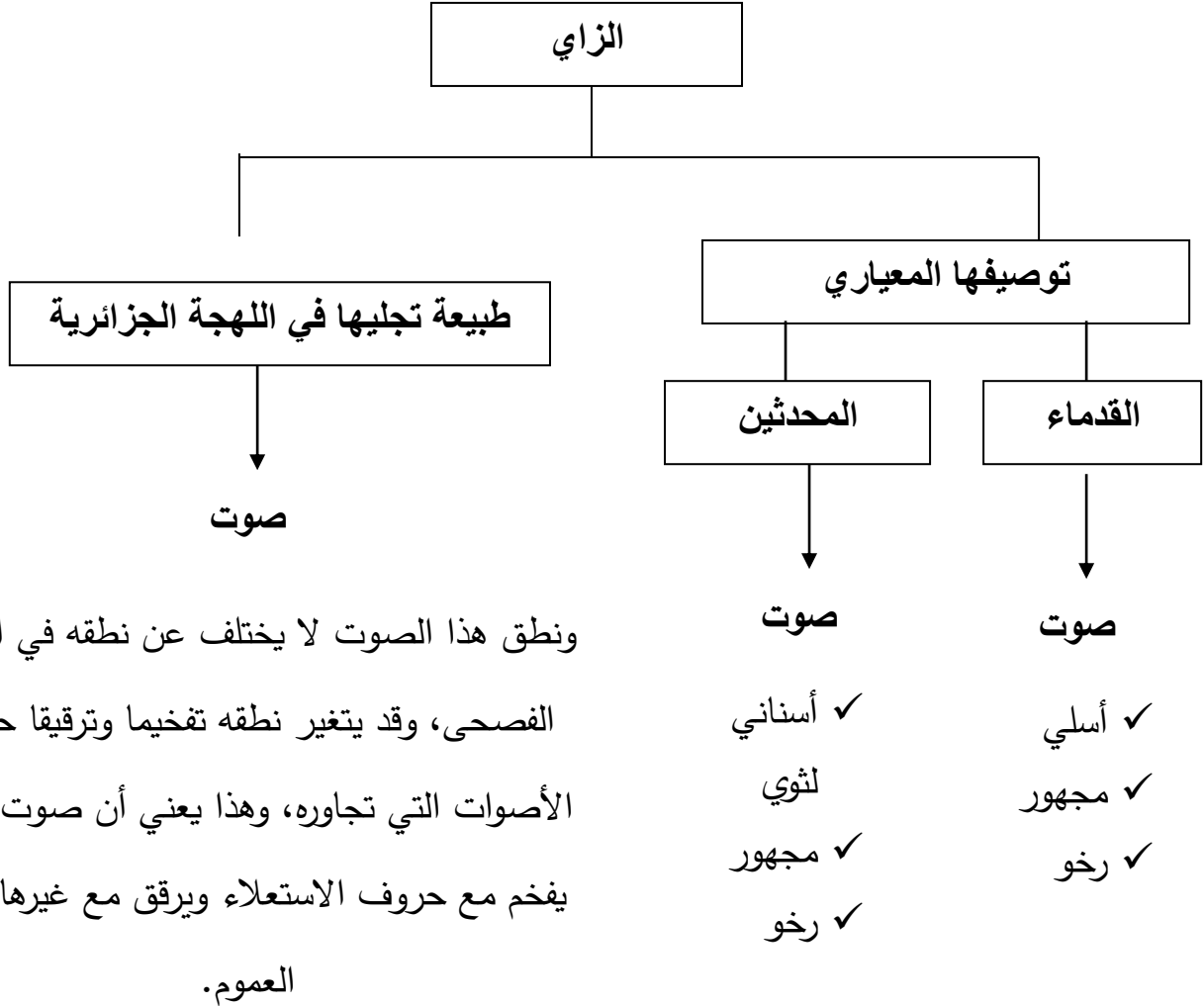
✓ مجهور

✓ متوسط

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على طبيعته المادية لهذا الصوت:

تمام حسن، مناهج البحث في اللغة، ص 132.

ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية، وصلتها بالعربية الفصحى، دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، مديرية النشر لجامعة قلمة، 2008، ص 28.

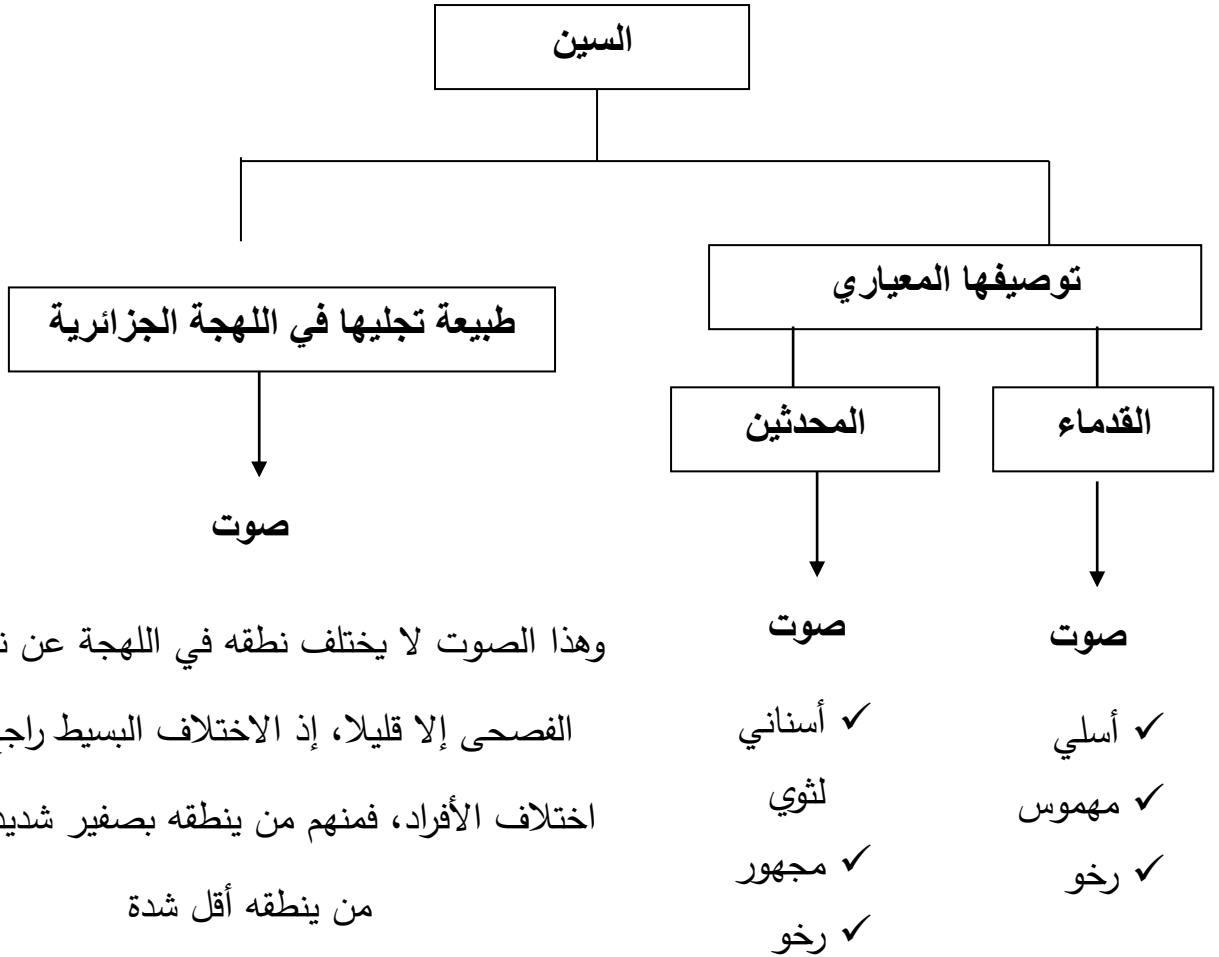
11 الزاي¹:

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على

ينظر: ابن يعيش، المفصل، ج10/ص125.

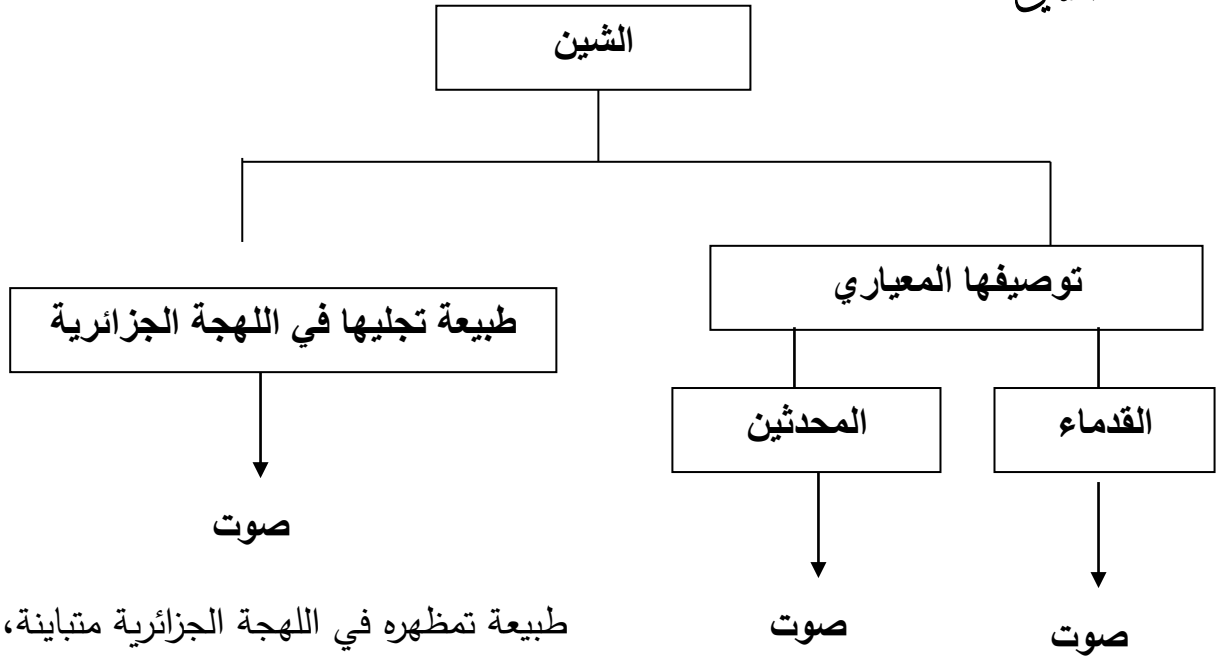
ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/ص202.

كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص120.

12 السين¹:

وهذا الصوت لا يختلف نطقه في اللهجة عن نطقه في الفصحى إلا قليلا، إذ الاختلاف البسيط راجع إلى اختلاف الأفراد، فمنهم من ينطقه بصغير شديد ومنهم من ينطقه أقل شدة

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:
 ينظر: ابن يعيش، المفصل، ج10/ص125.
 ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/ص202.
 كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص120.

13 الشين¹:

طبيعة تظهره في اللهجة الجزائرية متباينة، فتارة يتقاطع مع صوت السين، بحيث ينطق سينا مفخمة، وهي ظاهرة عامة موجودة في اللهجات العربية الحديثة في المشرق والمغرب العربيين على حد سواء وتارة أخرى تتحول صفته من الهمس إلى الجهر، إذا تبعه صوت الغين أو صوت الجيم، مثل: مشغول، أشجار".

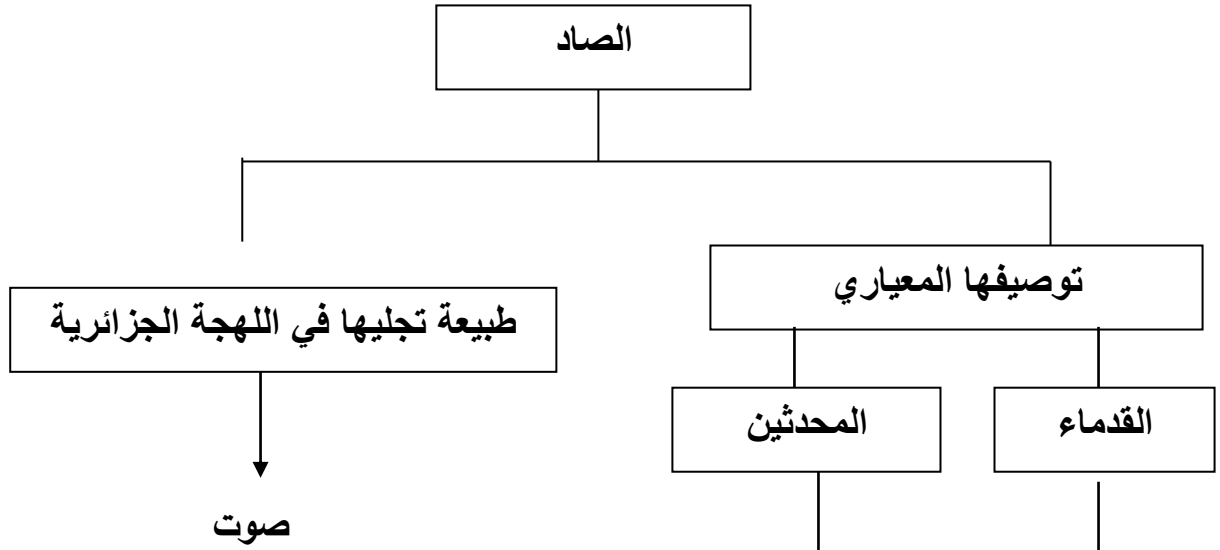
صوت

✓ غاري
✓ مهموس
✓ رخو

صوت

✓ شجري
✓ مهموس
✓ رخو

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:
كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص 120.
تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 129.
جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص 99-100.

14 الصاد¹:

صوت أسناني، لثوي، رخو، مهموس، مفخم. وقد يبدل هذا الصوت في بعض الكلمات سينا كما يبدل زايا في بعض الآخر، وذلك لأن هذه الأصوات متقاربة صفة، ومخرجا، ولا يفرق بينهما إلا الإطباق في الصاد والجهر في الزاي.

صوت

✓ أسناني

لثوي

✓ مهموس

✓ رخو

صوت

✓ أسلي

✓ مهموس

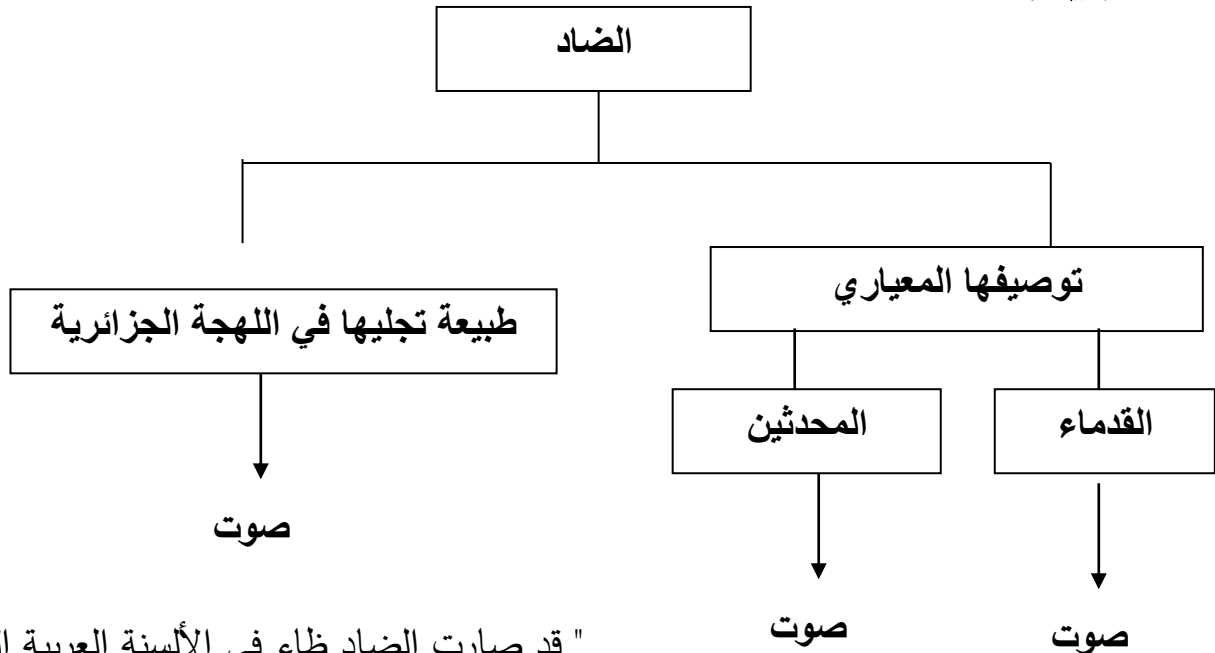
✓ رخو

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

ينظر: سيوييه، الكتاب، ج4/ص461.

ينظر: المصدر نفسه، ص 128.

تمام حسن، مناهج البحث في اللغة، ص128

15 الضاد¹:

" قد صارت الضاد ظاء في الألسنة العربية الدارجة العصرية عادة، واستوت تماما في الظاءات الأصلية في اللغة، فنشأ عن ذلك كيفيات مختلفة في نطق الضاد مماثلة لمختلف كيفيات نطق الظاء في العالم الناطق بالعربية، فتتطق في اللهجات المغربية ظاء، ودالا مفخمة، وطاء، نحو ظرب وطرّب في ضرب".

صوت
✓ أسناني
لثوي
✓ مجهور
✓ رخو

صوت
✓ من طرف
اللسان
✓ مجهور
✓ رخو

إن التوصيف العربي القديم يشهد بصعوبة الإنتاج الفيزيولوجي لصوت الضاد، وهو ما يتبدى من خلال قول بن الجزري: « والضاد انفرد بالاستطالة وليس في الحروف

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

ينظر: النشر في القراءات العشر، ج1/ص202.

ينظر: جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص87، وينظر: عبد العزيز مطر، لحن العامة، الدار القومية،

مصر، 1966، ص227-276، وينظر أيضا: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص89.

إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص104.

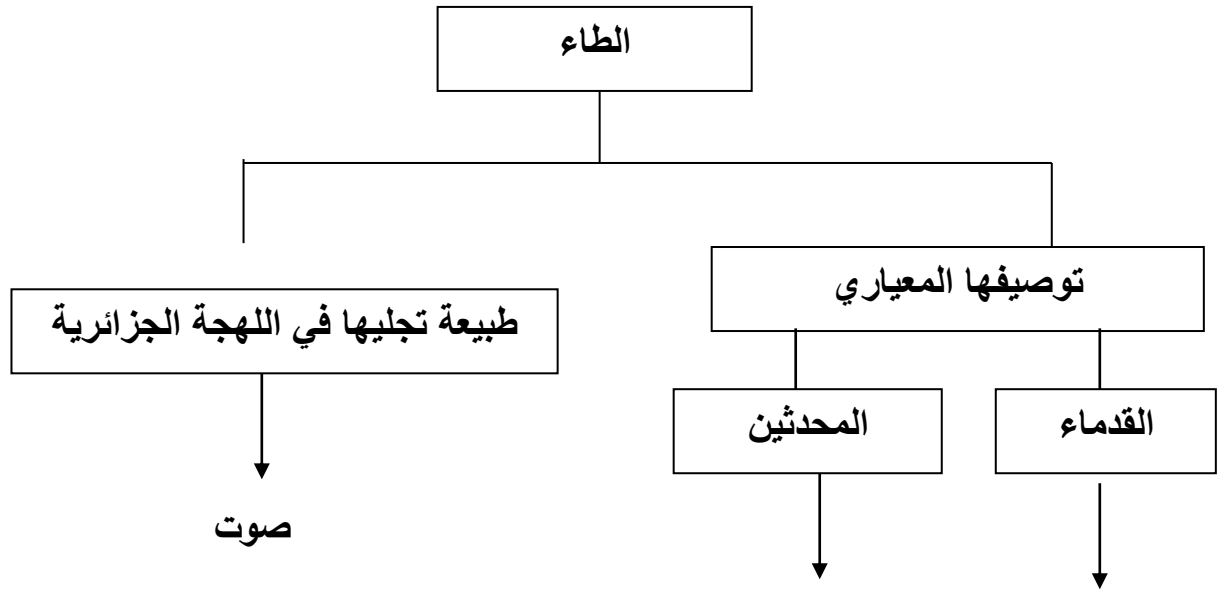
ما يعسر على اللسان مثله، فإن أسنة الناس فيه مختلفة، وقلّ من يحسنه فمنهم من يخرجهم ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاما مفخمة، ومنهم يشمه الزاي ، وكل ذلك يجوز»¹.

وقد ظل الوضع على ما هو عليه لدى المحدثين، إلى درجة تداخل فيها نطق /الضاد/ العربية القديمة مع /الظاء/ و/الذال/، حيث « استمر علماء اللغة بعد هذا في جهادهم للتمييز بين الضاد، والظاء، ولكن جهودهم كانت مقتصرة على التمييز الكتابي لا النطقي، بعد أن رأوا أن التمييز بين الصوتين في النطق قد أصبح أمرا عسيرا ، قنعوا بتأليف كتيبات ورسائل تتضمن الكلمات التي تكتب بالضاد والتي تكتب بالظاء»².

ونستشف مما سبق أن عسر نطق الضاد دفع المتكلمين إلى تقادي نطقه، وتعويضه بأصوات أخرى أيسر على اللسان، وهو ما جعل الضاد تنطق بكيفيات وطرق مختلفة، وقد تجلى هذا الوضع ذلك في اللهجات الجزائرية بوضوح كبير، فكل منطقة نطق خاص لهذا الصوت.

1- ابن الجزري، النشر في قراءات العشر، ج1/ص219.

2- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص60.

16 الطاء¹:

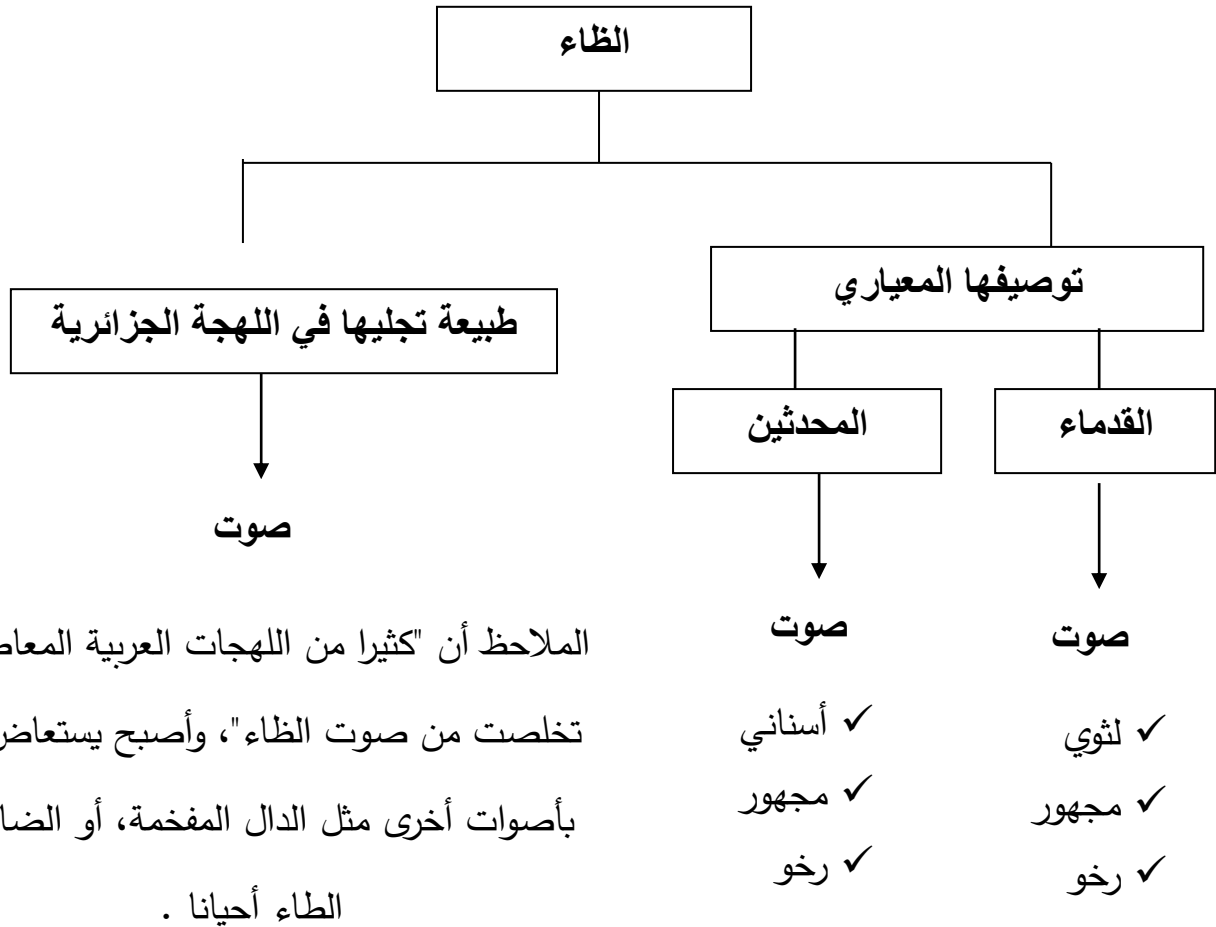
ينطق صوت أسناني، لثوي، شديد، مهموس، مفخم، مطبق.

صوت
✓ أسناني
لثوي
✓ مهموس
✓ شديد

صوت
✓ من نطعي
✓ مجهور
✓ شديد

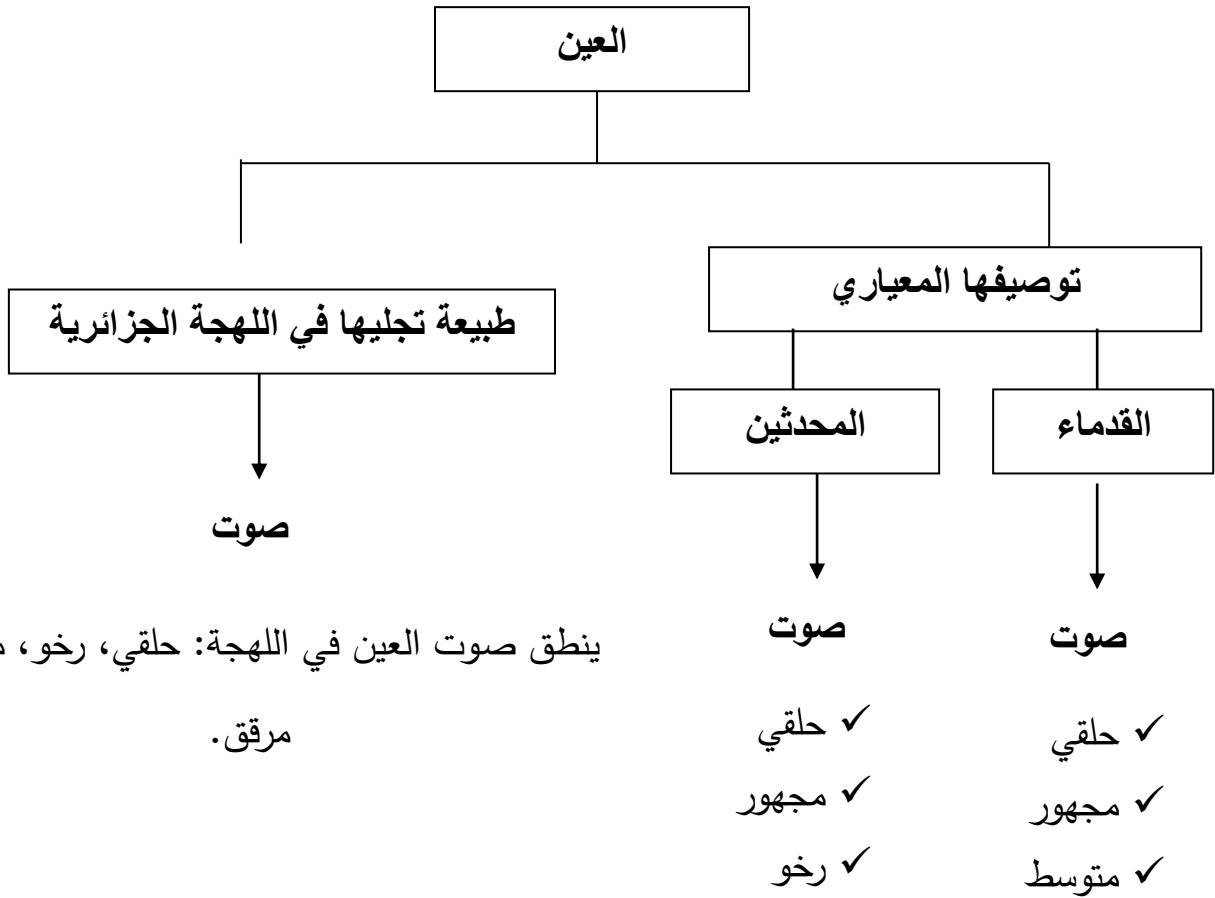
يتضح من خلال المخطط التشيجيري، التباين بين القدماء والمحدثين في وصف صوت الطاء، فقد وصفه القدماء بأنه صوت مهموس، وعدّه المحدثون بأنه مجهور، وسبب الخلاف أن وصف القدماء للطاء يشبه الضاد الحديثة لدى المصريين، ولعل الضاد القديمة كانت تشبه ما نسمعه الآن في بعض البلدان، ثم تطور الصوتان، فهامت الأولى وأصبحت الطاء التي نعرفها الآن².

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:
ينظر: النشر في القراءات العشر، ج1/ص202.
كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص102.
2- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص62.

17 الظاء¹:

الملاحظ أن "كثيرا من اللهجات العربية المعاصرة قد تخلصت من صوت الظاء"، وأصبح يستعاض عنه بأصوات أخرى مثل الدال المفخمة، أو الضاد، أو الطاء أحيانا .

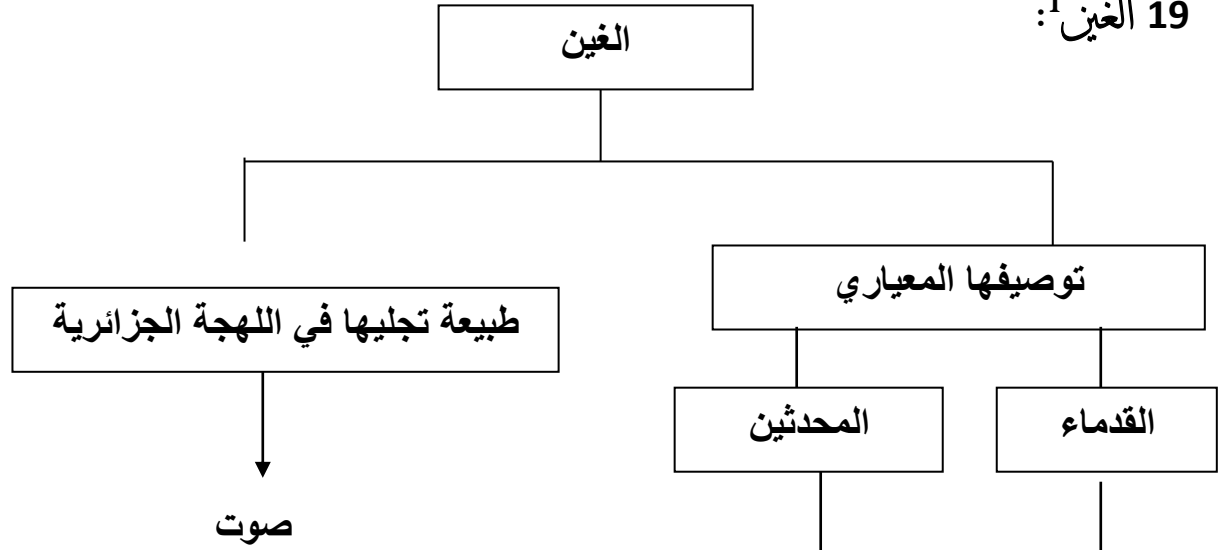
1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت: سيوييه: الكتاب، ج4/ص433، ومابعدها. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص206. ينظر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص126.

18 العين¹:

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج10/ص129.

كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص121.

19 الغين¹:

وينطق هذا الصوت في اللهجة موضع الدراسة مثل
نطقه في الفصحى.

وقد تبدل الغين خاء في بعض المناطق، لأن
مخرج الصوتين واحد، كما أن الخاء هو النظير
المهموس للغين، ولهذا فنطق الغين خاء تهميس
للصوت ونطق الخاء غينا تجهير له .

كما تبدل الغين قافا في بعض " المناطق
الجزائرية كالأغواط وبوسعادة وبسكرة وبعض المناطق
المغربية والموريتانية."

صوت

✓ طبقي

✓ مجهور

✓ رخو

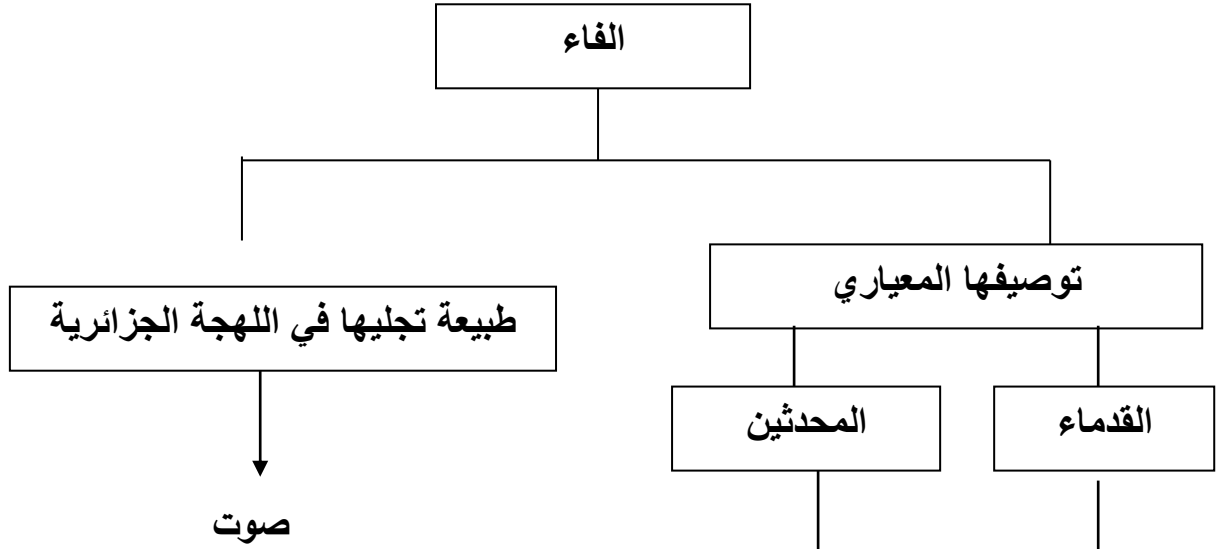
صوت

✓ حلقي

✓ مجهور

✓ رخو

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:
سيبويه، الكتاب، ج4/ص433-434.
إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص87.
جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص144 ومابعدهما.

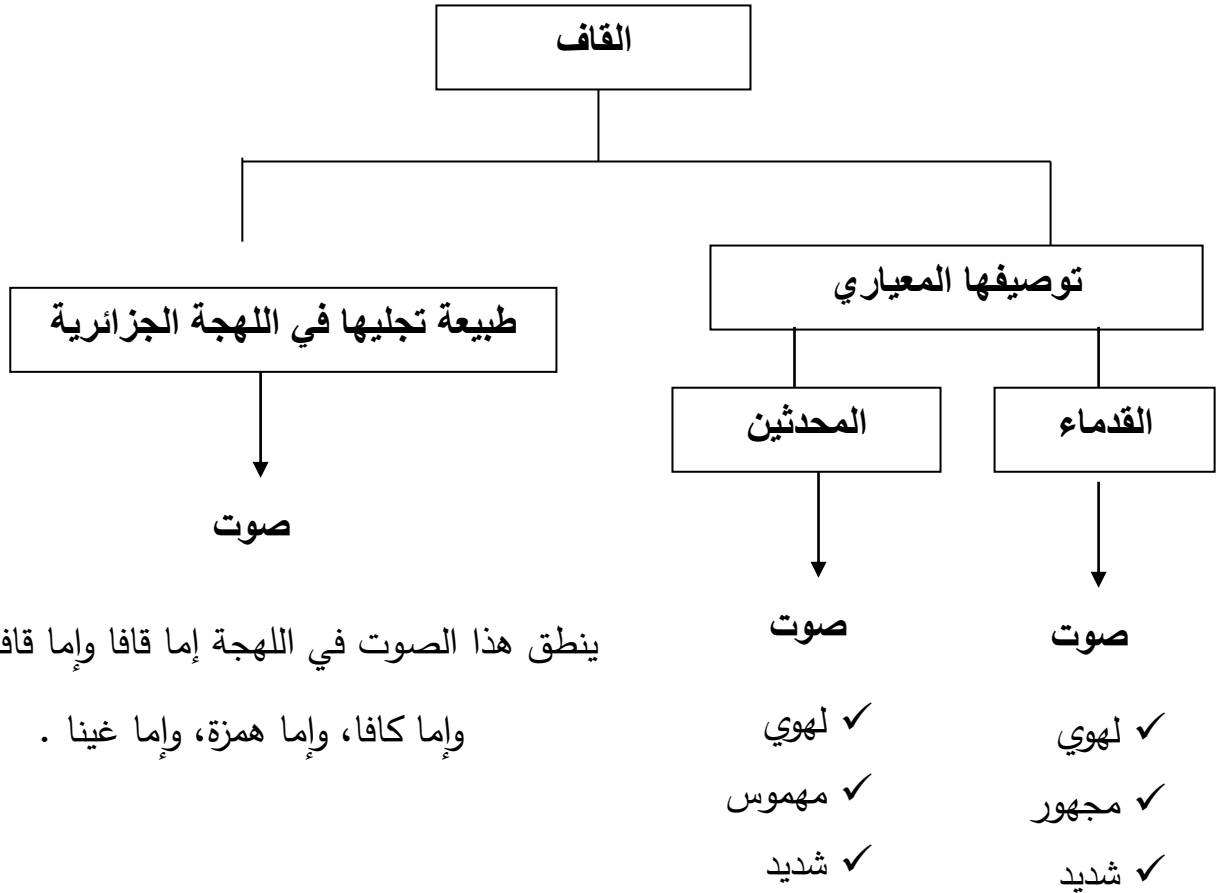
20- الفاء¹:

و ينطق هذا الصوت في اللهجة كما في اللغة الفصحى

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

سيبويه، الكتاب، ج4/ص433-435.

تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص125.

21-القاف¹:

وقد اعترى هذا الصوت تغييرات كبيرة في اللهجات العربية الحديثة، وبالرغم من الدراسات التي حاولت الإحاطة بتمظهراته المادية، إلا أنها لم تتمكن من تحديد كيفية نطقه بدقة لدى الفصحاء العرب في الجاهلية، وفي العصور الإسلامية الأولى، إلا أنه اعتمادا على وصف القدماء لهذا الصوت فإنه « يرجح أنه كان يشبه في نطقه القاف المجهورة التي مازالت تسمع بقايا منها في السودان، وبعض القبائل العربية في جنوب

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/ص278.

كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص109

العراق، إذ ينطقونها نطقا يخالف نطق اللهجات العربية الحديثة، فيسمع فيها نوع من الغين»¹.

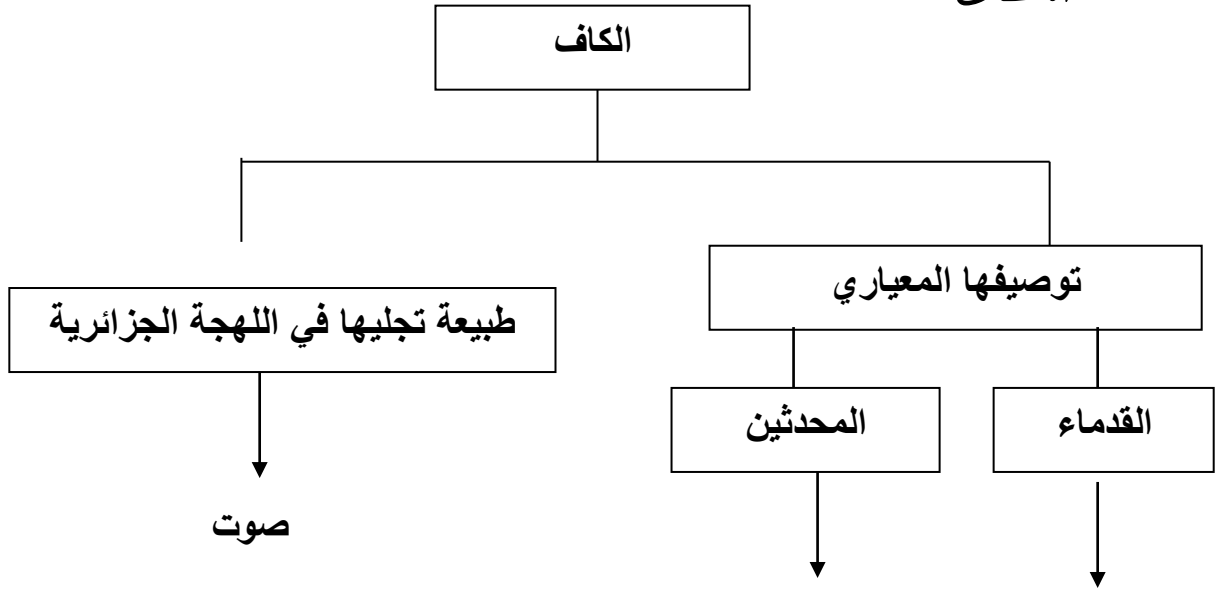
وقد عمد ابن خلدون إلى توصيف آلية نطق هذا الصوت لدى القبائل البدوية التي عاشت في المغرب في أيامه، والتي هاجرت في القرن الخامس الهجري، وهي الهجرة الكبرى من شبه الجزيرة العربية والصعيد من الهلاليين وبني سليم، والتي ترتب عنها تباين في نطق /القاف/ إلى درجة تداخل فيها مع /الكاف/، وفي ذلك يقول "ابن خلدون": «ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم بالنطق النطق بالقاف، فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في كتب العربية أنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وما ينطقون بها أيضا من مخرج الكاف وإن كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى كما هي، كما يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال، ومختصا بهم لا يشاركون فيها غيرهم... وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة، ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين، ولعلها لغة النبي (ص) بعينها»².

وعليه، فإن تطور صوت القاف عبر الزمن في اللهجات العربية قاطبة، دفع إلى تمظهرها بأشكال متعددة، «فهي تنطق إما قافا أو همزة، وإما غينا، أو قافا أو جيما وأحيانا كافا، وهذه الأخيرة كثيرة الشيوخ في منطقة جيجل»³.

1- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص84.

2- ابن خلدون: المقدمة، ص1076-1077.

3- Philippe MARCAIS, Le parler arabe de Djidjelli, Librairie d'Amérique et d'orient, Adrien Maisonneuve Paris, 6ème (S.D) publications de l'Institut d'études Orientales d'Alger, 22p.

22-الكاف¹:

هذا الصوت في اللهجة ليس ثابتاً، وإنما تطراً عليه بعض التغييرات تبعا للمجاورة الصوتية والتركييبية ، وهذه التغييرات قد تتسبب في تليينه، أو دخول زوائد رخوة عليه، مما يؤدي إلى تغيير مخرجه، فيتقدم قليلا ويصبح صوتاً أدنى حنكي¹.

وقد أشار كانتينو إلى « أن صوت الكاف قد يلاحظ عليه بعض الليونة، وبخاصة في الكلمات التي يكون فيها متلوا ببعض الحركات كالكسرة، والفتحة الممالة، والضمّة، وكذلك إذا كان متبوعاً بالحركتين الطويلتين الياء، أو الواو في بعض الأحيان، وهي

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت: الزمخشري، شرح المفصل، 10/ 123-124-128. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص83.

ظاهرة ليست عامة، وإنما قد تسمع من بعض الأشخاص، بينما لا يصيب هذا الصوت أي تغير عند بعض آخر في الظروف الصوتية نفسها»¹.

إن هذا الملمح الصوتي ليس جديداً، وإنما هو قديم قدم النطق الإنساني، فقد توصل العلماء في القرن التاسع عشر إلى قانون صوتي أثناء مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغتين اللاتينية، واليونانية سموه "قانون الأصوات الحنكية" أشاروا من خلاله إلى أن أصوات أقصى الحنك كالكاف، والجيم تميل إلى نظائرها من أصوات أمامية حين يليها صوت لين أمامي كالكسرة، لأنه يجذبها إلى الأمام قليلاً فتتقلب إلى نظائرها من وسط الحنك أو أصول الثنايا، وقد وجدت بعض الكلمات الهندية الأوروبية المشتمة على حرف الكاف تطور فيها هذا الأخير إلى "تش" كالذي ينطق في الكلمة الإنجليزية *CHIKEN*، وهي ما يعرف في بعض اللهجات العربية القديمة بالكشكشة².

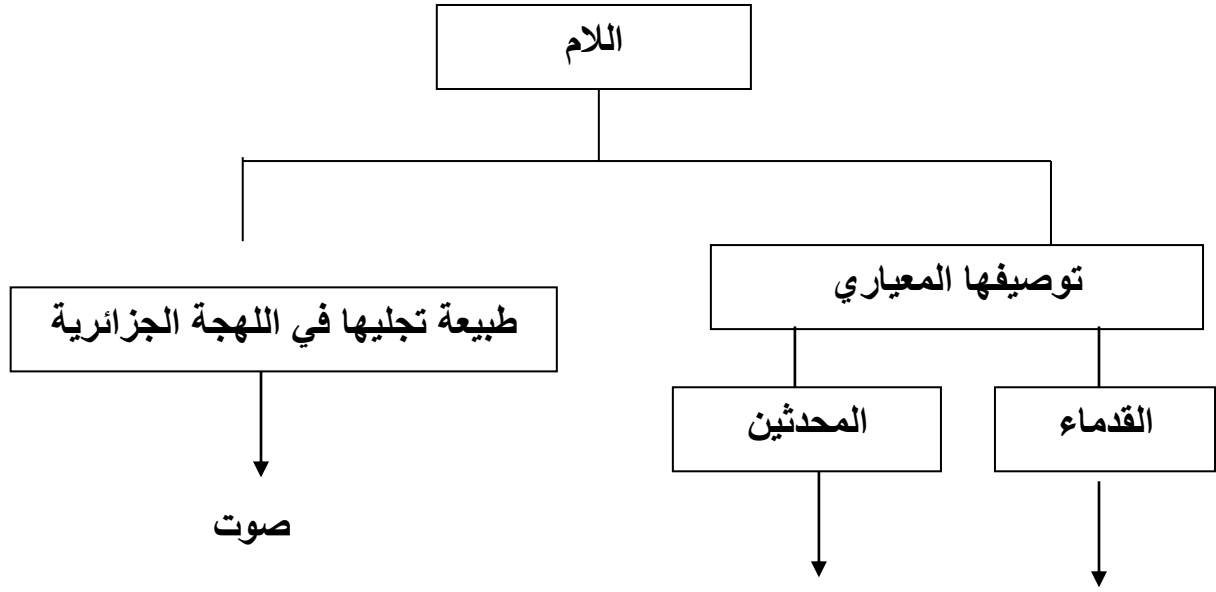
ولئن كان هذا الملمح الصوتي متجلياً في بعض المناطق الجزائرية، فإن السبب فيه قد يرجع إلى دخول الفاتحين العرب هذه المناطق وبخاصة الهالين الذين استقروا في الشمال القسنطيني منذ القرن الخامس الهجري³، « وإذا كانت الكشكشة إبدال كاف الخطاب شينا للمؤنث خاصة أو زيادة الشين بعد الكاف المكسورة في الوقف نحو "أكرمتكش" في أكرمتك، فإن الكاف في اللهجة تبدل عند بعض الناس تاء وشينا "تش" *TCH*، والذي أرجحه أنها ليست ناتجة عن تأثير خارجي، وإنما هي من بقايا ظاهرة الكشكشة حدث فيها تغير مع مرور الزمن»⁴.

1- جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص 104-105.

2- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 123 وما بعدها.

3- ينظر: محمود فهمي حجازي في علم اللغة العربية، ص 280 وما بعدها.

4- بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص 42.

23-اللام¹:

الملاحظ أن اللهجة احتفظت بهذا الصوت احتفاظا
كليا، حيث ينطق كما في الفصحى بغض النظر عما
يصيبه من تغيرات في القلب، والإبدال وغير ذلك.

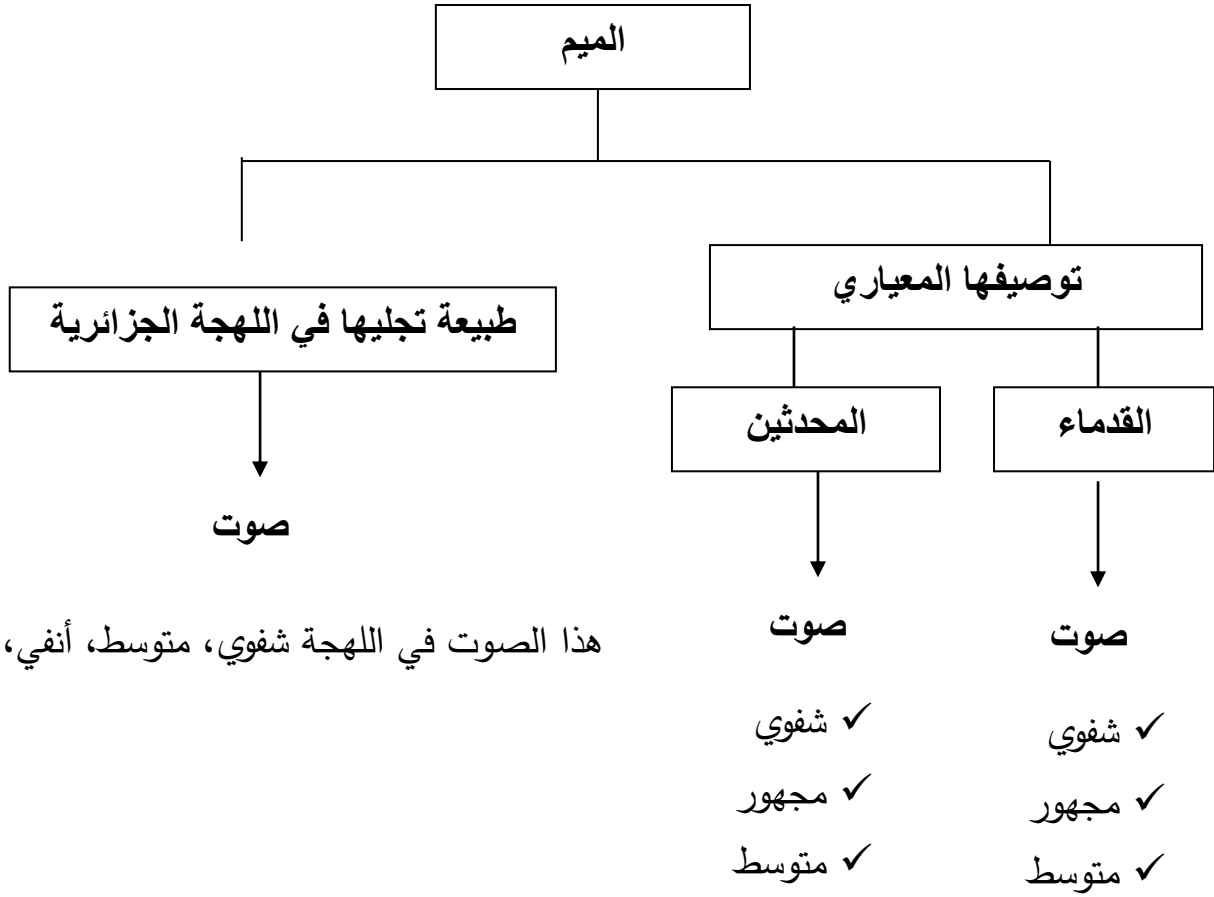
صوت
✓ لثوي
✓ مجهور
✓ متوسط

صوت
✓ ذلقي
✓ مجهور
✓ متوسط

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

ابن يعيش، شرح المفصل، ج10/ص130.

إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص46.

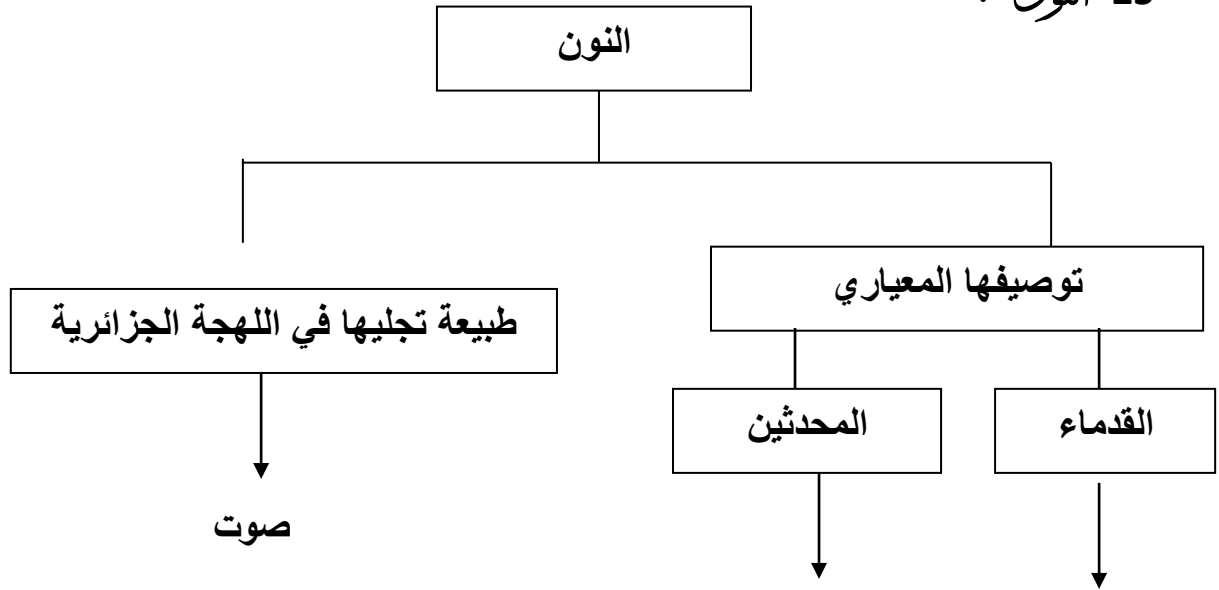
24-المير¹:

هذا الصوت في اللهجة شفوي، متوسط، أنفي، مجهور

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

المصدر نفسه، ج4/ص193.

كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص130.

25-النون¹:

يخضع صوت النون لكثير من التغيرات الصوتية،

وذلك بسبب العلائق الجوارية التي تسيره.

فعلى سبيل التمثيل، إذا كان هذا الصوت ساكنا ووليه

صوت الباء فإنه يبدل ميما، وهو كثير في العربية مثل

عمبر في "عنبر" وعمبة في "عنبة"، ممبعد في "من

بعد" كما أنها تبدل لاما في مثل غلم بدلا من "غنم"

والظاهرة عامة في الجزائر.

صوت

✓ لثوي

✓ مجهور

✓ متوسط

صوت

✓ ذلقي

✓ مجهور

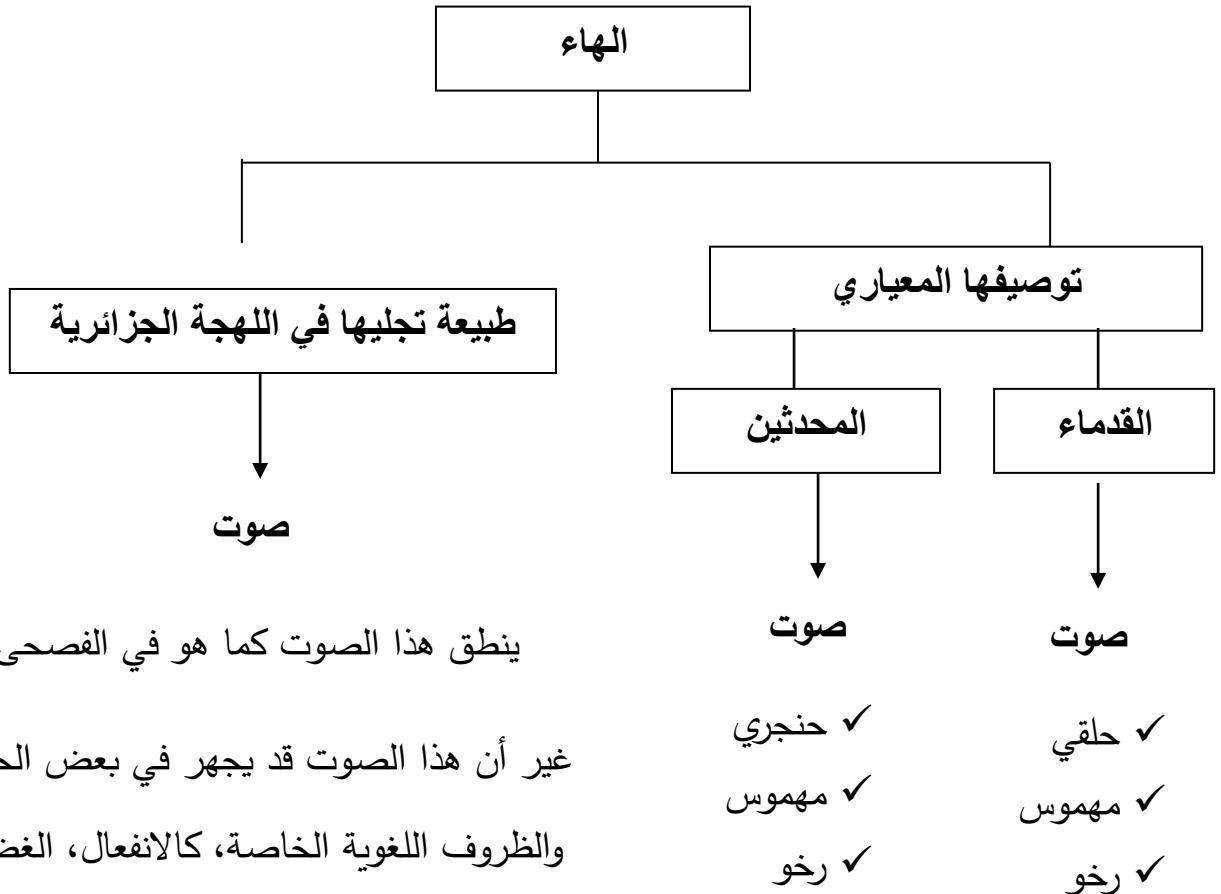
✓ متوسط

1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

الميرد، المقتضب، ج1/ص193-194.

إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص66.

بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص44.

26-الهاء¹:

ينطق هذا الصوت كما هو في الفصحى.

غير أن هذا الصوت قد يجهر في بعض الحالات والظروف اللغوية الخاصة، كالانفعال، الغضب، والتحدي، وكذلك إذا كان متبوعا بصوت مجهور.¹

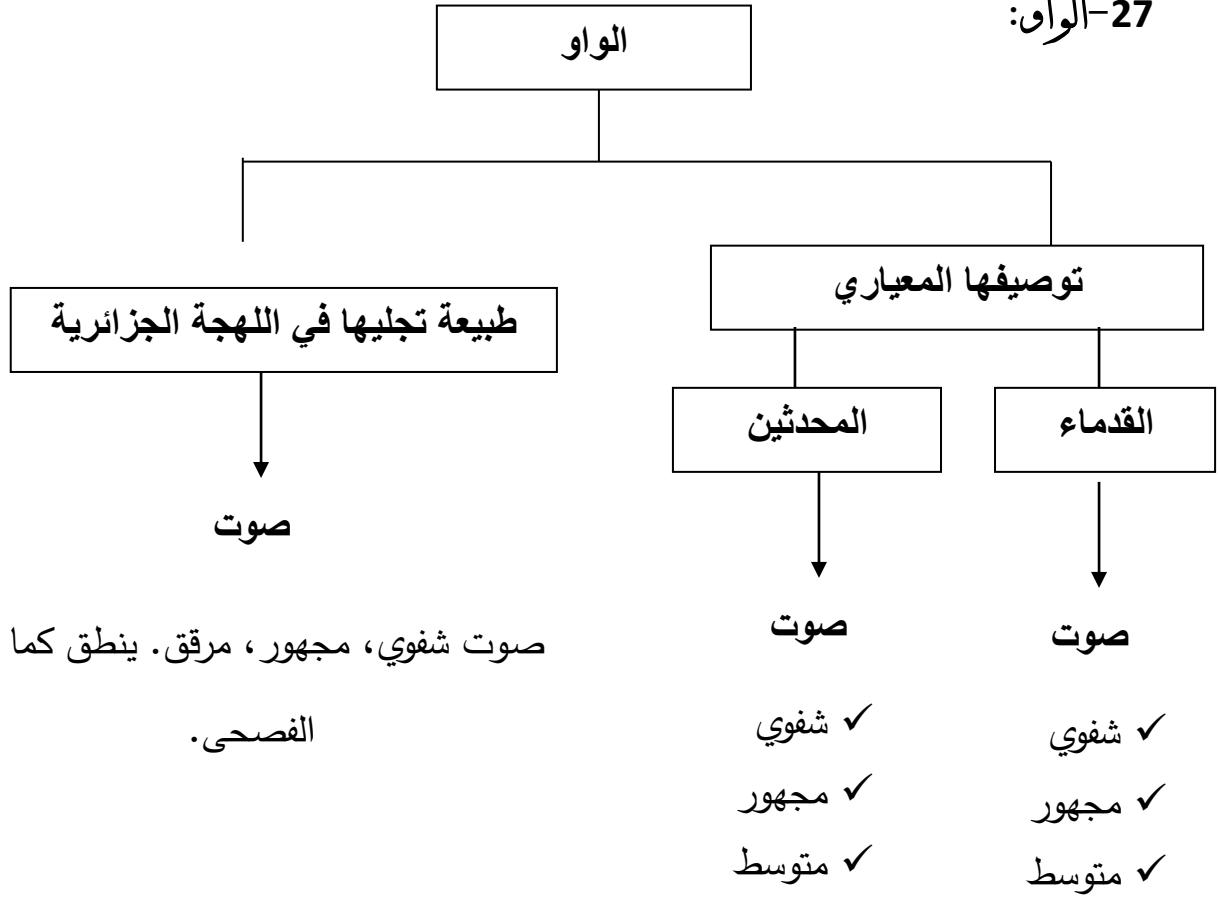
1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/ص199.

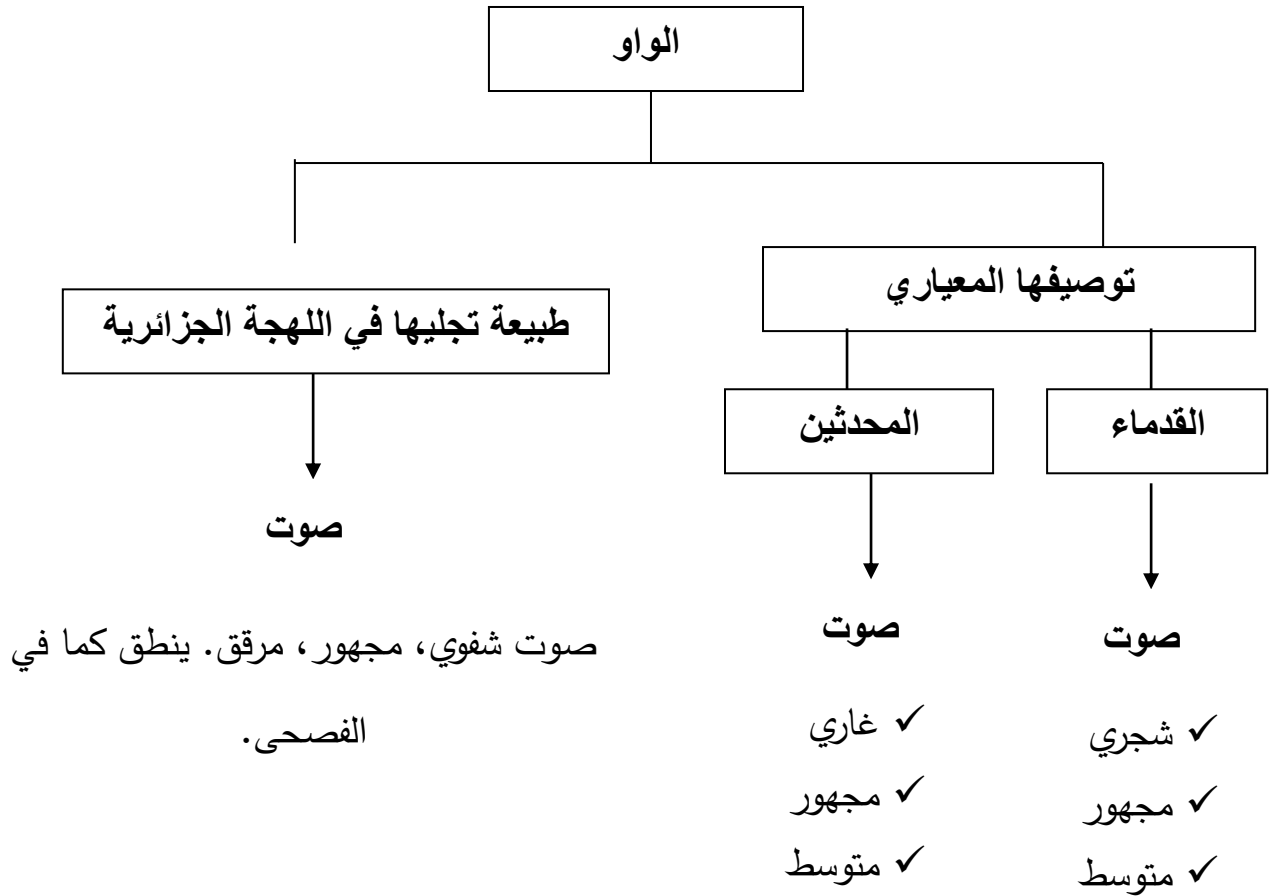
كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص122.

إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص89.

27-الواو:



28-الياء 1:



1 - استعنا بالمصادر والمراجع الآتية للوقوف على الطبيعة المادية لهذا الصوت:

ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/ص199.

ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص42.

2-2- طبيعة التشكلات الصرفية للهجة الجزائرية:

سنعمد من خلال هذه المقاربة الصرفية إلى الوقوف على البعد المعياري للمكون الصرفي في اللغة، ومن ثم نحاول أن نتمثل مدى انعكاس معيارية الطرح على الواضع اللغوي الجزائري.

صيغ الأسماء:

أولا- الاسر الثلاثي المجرد:

يقول ابن السراج: «واعلم أن من الأبنية في الثلاثية وغيرها، منها ما يكون في الأسماء، والصفات، ومنها ما يكون في الأسماء دون الصفات، ومنها ما يكون في الصفات دون الأسماء»¹، وهذا يعني أن من الأسماء ما يأتي اسما وصفة، ومنها ما يأتي صفة فحسب، ومنها ما يأتي اسما لا غير.

وبعد استقراء الأسماء الثلاثية المجردة في اللهجة تبين أنها تشتمل على ثمان صيغ منها ما هو متوافق مع صيغ العربية الفصحى، ومنها ما هو مفارق لها، فالصيغ التي وردت على الأصل خمس وهي: (فَعَلٌ، فِعْلٌ، فُعْلٌ، وَفَعْلٌ، وَقَعْلٌ)، أما الصيغ المفارقة فيمكن حصرها على النحو الآتي: (فُعْلٌ، وَفُعْلٌ، وَفِعْلٌ)، هذه الصيغ الثلاث " نعدّها فروعاً للأصول، نتجت عن تغيير حركات الكلمة التي كثيراً ما تكون حركة فاء الكلمة، لأنه في اللهجة غالباً ما يبتدأ بالساكن (أي بالمقطع القصير المغلق)، وفيما يلي نذكر للصيغ المطابقة للأصول العربية وما تفرع منها" من صيغ:²

1- فَعْلٌ: مثل: عَرَشٌ، كَلْبٌ، قَمَحٌ، حَبْسٌ، وتتفرع عن هذه الصيغة ثلاث صيغ:

أ- فُعْلٌ: مثل: لَحْمٌ، زَرْعٌ، زَهْرٌ، شَهْرٌ، سَطْحٌ، فَحْمٌ.

ب- فِعْلٌ: مثل: خَيْلٌ، خَيْرٌ، شَيْخٌ، زَيْتٌ...

1- ابن السراج أبو بكر، الأصول في النحو، ج/3 ص181.

2- ينظر، بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص25 وما بعدها.

ج-فَعُلٌ:مثل: يُومٌ، نومٌ، مُوتٌ، لُوخٌ...

والملاحظ في هذه الصيغة والصيغة التي قبلها أن الأسماء التي جاءت على وزن كل منها حدث فيه تحول للفتحة، وسبب ذلك التخفيف والانسجام.

2-فِعْلٌ: على نحو ما نلفيه في قولنا: ريحٌ، عيدٌ، بيزٌ، ذيبٌ، شيخٌ، دينٌ،

والملاحظ أن هذه الصيغ التي تموقعت فيها الهمزة في الوسط، قد عوضت بحرف مد من جنس الحركة التي تسبقه، وهذا له وجود في كثير من اللهجات العربية قديما وحديثا.¹

وتتفرع عن هذه الصيغة صيغتان:

أ-فَعْلٌ: تَيْنٌ، سَتَرٌ، رَيْعٌ، طُفْلٌ، رَجُلٌ...

ب-فَعْلٌ: بنتٌ، قَرْدٌ، مَلْحٌ، ثَلْجٌ...

3-فُعْلٌ:مثل: خُبْرٌ، بُخْلٌ، فُولٌ، غُولٌ، بُورٌ، نُورٌ...

4-فُعْلٌ: مثل: خُمُسٌ، عَشْرٌ، ثُلُثٌ، خُلُقٌ.

5-فَعَلٌ: طَلَبٌ، عَمَلٌ

والملاحظ أن هذه الصيغة نادرة الاستعمال في اللهجة إذ غالبا ما تعوضها

صيغتان متفرعتان عنها ، هما:²

أ-فَعْلٌ:مثل: وَصُطٌ، مَرَضٌ.

ب-فَعْلٌ:مثل: حَجَرَ، ذَهَبَ، بَقَرَ، شَبَرَ.

ومما سبق نستشف أن تسكين فاء الكلمات الثلاثية وفتح عينها هي الظاهرة الغالبة

على معظم الصيغ المستعملة في اللهجة، وأن المباني الثلاثية في اللهجة غالبا ما تتجلى

1-بنظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص77.

2- ينظر، بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص127 وما بعدها.

في هيئة مقطعية، تتركب من /س/ ع/، /س/ ح/س/ مثل كُبْر، عَمْر، -حينا-، أو /س/ ح/س/ مثل: عُرْس، بَرْد، ثلج حينا آخر.

ثانيا: التثنية:

المتى كما هو معروف في كتب النحو « ما دل على اثنين أو اثنتين، بزيادة ألف ونون في حالة الرفع، وياء ونون في حالتي النصب والجر»¹، إلا أن بعض القبائل العربية تلتزمه الألف في جميع الحالات كقبيلة بلحارث، وخنعم، وكنانة². أما التثنية في اللهجة الجزائرية، فقد تحقق وفقا لآليتين، يمكن أن نجملهما على النحو الآتي³:

1- إضافة الياء والنون في آخر الاسم المراد تثنيته: مثل شهرين، رَجُلين، عَيْنين، رَكْعَتين... إذ تحول فتحة الحرف الذي قبل الياء كسرة، وهو ما نجده في كثير من اللهجات العربية الحديثة في الوطن العربي، "كمصر وسوريا والعراق"⁴. والمتأمل للهجة يلحظ أنها التزمت حالة إعرابية واحدة في المتنى وهي الياء والنون رفعا ونصبا وجرًا، وهناك من القبائل العربية من كان يلتزم حالة إعرابية واحدة كالألف والنون في جميع الحالات، ومن هذه القبائل بنو الحارث بن كعب، وبنو العنبر، وبتون من ربيعة، وبكر بن وائل وزيد، وخنعم⁵.

1- إبراهيم السمراي، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983، ص84.
2- ينظر: ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله، ت 797)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دت، ج1/ص51.
3- ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص130 وما بعدها.
4- ينظر: إبراهيم السمراي، فقه اللغة المقارن، ص90.
5- ينظر: السيوطي، الهمع، ج1/ص133.

وإن التزمت اللهجة الياء في المثني وهو منفصل، فإنها التزمتها وهو مضاف، فقلبت الألف ياء وأدغمت في نظيرتها، إذ يقولون: عَيْنِي في "عيناى" و"رَجُلِي" في "رجلاى" و"يَدِي" في "يداى" وهي ظاهرة عامة في اللهجات الجزائرية وفي لهجات عربية معاصرة كاللهجة المصرية والعراقية مثلا .

2- ورود المثني في صيغة جمع مسبوقة بكلمة "رُوجٌ" أو "جوزٌ" أو "زوز": فيقولون: رُوج نسا، روج كباش ، روج رَجَالٌ.

ولا فرق هنا بين الاسم المفرد مذكرا كان أم مؤنثا، وهو استعمال عام في الجزائر، وفي بعض البلدان العربية كلهجة تطوان بالمغرب، وسكان طرابلس بليبيا.¹

ثالثا: الجمع

الجمع في اللهجة مثله في ذلك مثل الفصحى على ثلاثة أنواع:

✓ جمع المذكر السالم.

✓ جمع المؤنث السالم.

✓ جمع التكسير.

جمع المذكر السالم:

جمع مذكر السالم في العربية الفصحى ما دل على أكثر من اثنين بزيادة واو ونون في حالة الرفع، وياء ونون في حالتي النصب والجر على مفرده. أما في اللهجة فإنه يصاغ من الاسم المفرد، أو الصفة بزيادة ياء ونون على آخره مكسور ما قبلها مثل المجاهدين، المومنين، مريحيين...

1- ينظر عبد المنعم سيد عبد العال، معجم شمال المغرب، ص99.

وتجمع الأسماء المنسوبة الجمع نفسه مثل: الجزائريين، لفرنساويين كما تلحق الياء والنون بآخر الاسم المفرد أثناء جمعه جمع مذكر سالم مثل: بُني عيش، بُني خطاب، بُني عافز...

جمع المؤنث السالم:

جمع المؤنث السالم ما دل على أكثر من اثنتين بزيادة ألف وتاء في آخر الاسم أو الصفة، ويشمل العاقل وغير العاقل مثل: لَبَنَاتٌ، لَخَوَاتَاتٌ، الحَطَابَاتُ، الجِهَاتُ، الحَجَرَاتُ..

كما يجمع جمع المؤنث السالم الاسم المفرد المصغر عاقلا أم غير عاقل كقولنا: الدويرات، الجنيحات. وأيضا الكلمات الدخيلة مثل الروشيات، الفاميليات، الفيلاجَات...

جمع التكسير:

جمع التكسير «ما دل على أكثر من اثنتين بتغيير ظاهر ومقدر على صيغ مفردة»¹. وهو أقدم جمع عرفته اللغة العربية وأخواتها الساميات، وقد أدى اختلاف اللهجات العربية التي تكونت منها الفصحى إلى تعدد جموع التكسير وتكاثرها في اللغة العربية، وتتنوع أوزانها التي تدل على القلة والكثرة ومنتهى الجموع وجمع الجمع، وعلى أسماء مفردة شكلا، وتتضمن معنى الجمع كأسماء الجموع، وأسماء الجنس، وأسماء أشباه الجمع، وعلى كلمات قد تكون جموعا لا مفرد لها (عقابيل) أو قد يكون لها مفرد وهذه هي الحالة السائدة². ويرجع تعدد صيغ جموع التكسير واختلافها إلى تعدد اللهجات العربية³.

1- شرح ابن عقيل، ج2/ص452.

2- ينظر، ريمون طحان، الألسنية العربية، ج1/ص136-137.

3- ينظر: إبراهيم السمراي، فقه اللغة المقارن، ص95.

وإذا حاولنا وقوف على صيغ الجموع المستعملة في اللهجة، فيمكن أن نجملها

على النحو الآتي:¹

فُعَلْ: فُصع، جُدَد، قُدَم، حَفَر.

فُوعِلْ: حُومَر، صُوقَر، بُوَيْض. وقد تجمع على فُعَل، فيقولون: حُمَر، صُفَر، بُوَيْض.

فُعُولْ: حُدُود، جُدُود، عِيُون، شُهُور، دُنُوب.

فُعَالْ: دِيَار، ضَحَاب، رَجَال، كُبَار.

فُعَالَة: رَجَالَة، فَلَاحَة، حَطَابَة.

فُعَايِلْ: عَجَايِب، عَجَايِز، عَرَايِض.

فُوعَا لْ: جُوعَامِع، خُوتَم، شُوارِب، تُوَارِخ.

فُعَالِي: قُهَاوِي، ذُرَارِي.

فُعَالِيلْ: رُغَارِيث، نَسَاوِين، عَصَاكِيْر.

مُفَاعِلْ: مُدْفَع، مُنَاجِل، مُفَاتِح.

مُفَاعِيلْ: مُحَابِيْس، مُهَابِيْل، مُجَانِيْن، مُعَالِيْم.

فُعَلَانْ: نَسَوَانْ، فُرَسَانْ، سُجَعَانْ، بُلْدَانْ، خَرْفَانْ

فِعْلَانْ: رِيصَانْ، فِيرَانْ، جِيرَانْ، فَيْسَانْ...

تُقَاعِلْ: تَصَاوَر، تَقَاشَر. وفي بعض المناطق يجمعونه على تفاعيل مثل: تصاوير،

تقاشير.

فُعَاعِلْ: دُؤَاوَر، صُبَابُط...

فِعَالْ: قِيَادْ، حِيَاك، حِيَان، شِيَاب

فُعَالَة: قَرَايَة، دِيَابَة...

1- ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص 130 وما بعدها.

فُعُولَة: شَيْوَحَة، قُرودَة، بِيوضَة

فُعَالِل: دَرَاهِم، دَرَاوِش

فُعَال: سَكَان، زِيَار

فُعَل: شَهْر

فُعُول: فَنُون، خَدُود، أَمُور.

فُعَالَة: فُقَارَة، جُهَالَة، عَضَامَة، كُرَامَة

فُعَلَة: نَسُوءَة، وُلِيَة، حَرَكَة.

فُعِيل: حَمِير.

فُعِيل: حَجِير، كَلِيب، دَوِيب

فُعِيل: عَصِي

فُعَالِن: كَمَايِن

وهناك بعض الأسماء في اللهجة لكنها تدل إما على اسم جمع وإما على اسم

جنس مثل : البلب، الخيل، التمر، البقر، لغلم، النخل، الشعب.

رابعاً: التذكير والتأنيث:

تكتسب اللغات السامية علامات خاصة للتأنيث، وهي التي يعبر فيها عن المؤنث

بكلمة تختلف عن أصل عن تلك الكلمة التي يعبر بها عن مذكوره، وهذه العلامات هي

التاء والألف الممدودة، والألف المقصورة.¹

أما العلامة الأولى وهي التاء، فهي أهم العلامات وأكثرها انتشاراً في اللغات

السامية ويرى بروكلمان أنها ربما كانت في الأصل عنصراً من عناصر الإشارة، وهذه

1- ينظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص206.

التاء يفتح ما قبلها دائما مثل: كبيرة، وصغيرة، ورقبة إلا في الكلمات ذات المقطع الواحد عند الوقف، فيأتي ما قبلها ساكنا مثل: بنت مؤنث (ابن) وأخت مؤنث (أخ) في اللغة العربية.

ويذهب برجستراسر مذهباً مغايراً لهذه الرؤية فيقول: "وذكر الزمخشري أن التاء في الأخت والبنت أبدلت من الواو، وذلك أنه ظن أن مادتهما: أخو وبنو وأن التاء أصلية لام الفعل قامت مقام الواو ونحن نعرف أن الأخ والابن من الأسماء القديمة جدا التي مادتها مركبة من حرفين فقط، وأن التاء وإن لم تسبقها فتحة هي تاء التأنيث، فهي في غير اللغة وخصوصاً في الأكادية والعبرية كثيراً ما لا فتحة قبلها.

أما العلامة الثانية، وهي الألف الممدودة، فتوجد في اللغة العربية على وجه الخصوص، في صيغة (فعلاء) مؤنث (أفعل) الدال على الألوان، والعيوب الجسمية وذلك مثل: حمراء مؤنث أحمر، وعرجاء مؤنث أعرج... أما العلامة الثالثة للتأنيث هي الألف المقصورة، فتتضح في اللغة العربية في صيغة فُعلى مؤنث (أفعل) الدال على التفضيل مثل: كبرى مؤنث أكبر.

ولاشك، أن ميل اللهجات العربية إلى إحلال علامة التاء محل العلامة الثانية، يرجع إلى « ميل اللغة إلى السير في طريق السهولة والتيسير، فبدلاً من أن يكون عندنا للتأنيث ثلاث علامات تصبح في اللغة علامة واحدة لكل أنواع المؤنث»¹.

وفي سياق مغاير، ألفينا حدث التأنيث والتذكير لبعض الأسماء خاضع للعرف اللغوي لمنطقة دون غيرها، على نحو ما نلقيه في قولنا: اليد، الزيت، البصل، الريح التي تتباين من حيث تأنيثها وتذكيرها لتباين المجتمعات اللغوية التي تستخدمها.

1- ابن الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، 1970، ص47.

ولاشك أن هذه الازدواجية ليست حكرا على اللهجات الجزائرية أو العربية الحديثة، وإنما تتردّد إلى أصول لهجية عربية قديمة، إذ " نجد بين ثنايا الكتب كثيرا من مثل هذه الكلمات، تؤنث عند قبيلة وتذكر عند أخرى، فمثلا كلمة الطريق تؤنث عند أهل الحجاز، وتذكر عند أهل نجد، والذراع مؤنثة لكنها ذكرت عند بعض بني عكل"¹.

ضمن هذا التصور، أشار الفراء إلى ازدواجية حدث التأنيث والتذكير لكلمة "زوج" التي تطلق على المرأة والرجل في لغة أهل الحجاز، بخلاف ما نلفيه لدى أهل نجد التي استخدمت لفظة "زوجة" للإشارة إلى المعلم الأنثوي"².

صيغ الأفعال:

استقر في العرف الصرفي، أن الفعل هو ما دل على حدث ما مقترن بزمن معين، وهو من أهم أنواع الكلم في اللغات البشرية لأنه ركن أساس فيها³. ومجال استعمال الأفعال في اللغة العربية يتسع لثلاثة أنواع من حيث الدلالة الزمنية، منته أو ماض، وزمن حاضر أو مستقبل، وصيغة فعلية أمرية، تدل على الحاضر حيناً والمستقبل حيناً آخر.

وإذا حاولنا الوقوف على مدى انعكاس تراتبية الزمن للفعل في اللهجات الجزائرية، يتبدى لنا تطابق التقسيم المعياري للأزمنة في اللغة العربية مع التقسيم في اللهجة الجزائرية⁴، وهو ما يتضح من خلال المقاربة التشجيرية المثبتة أدناه.

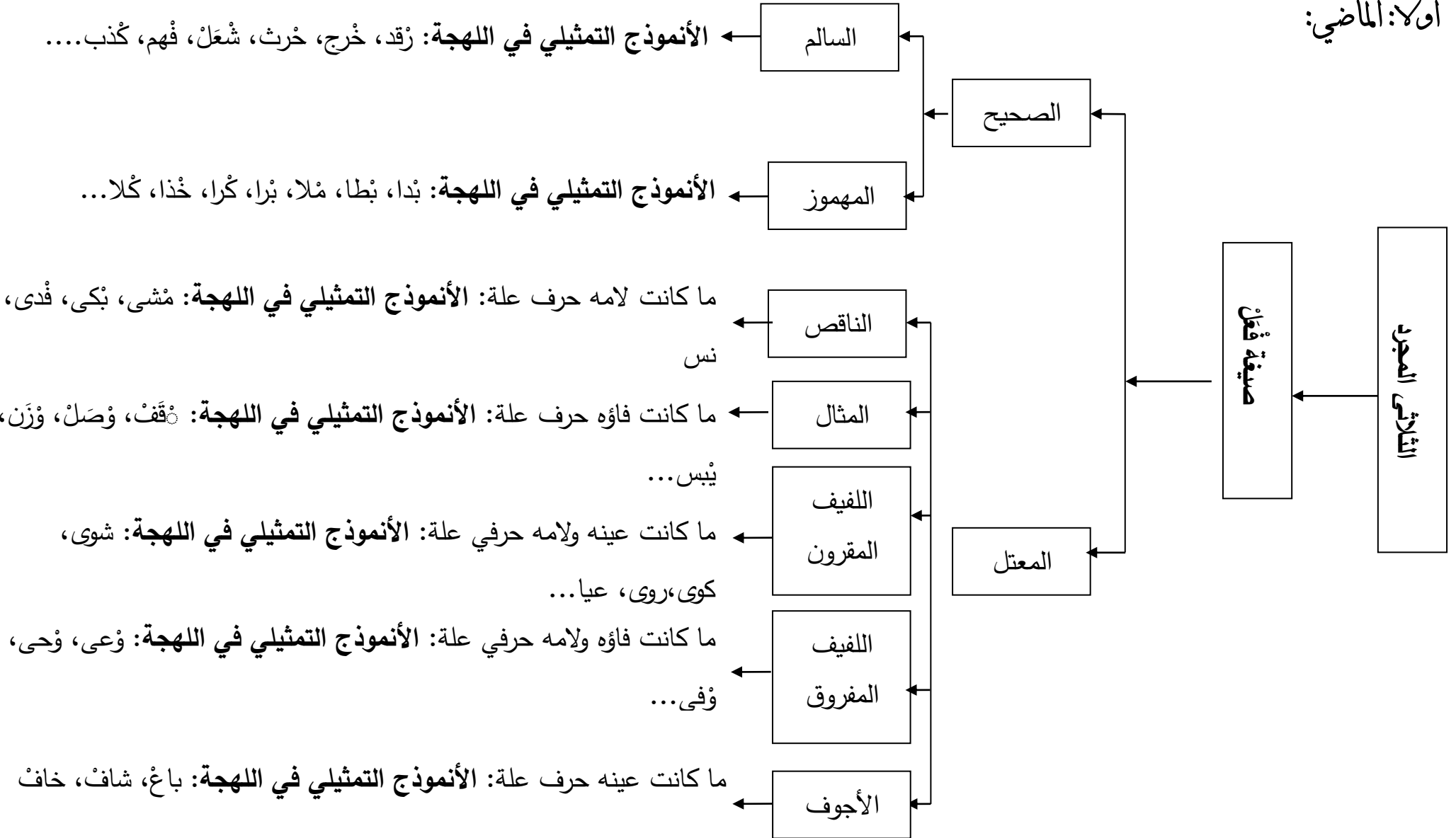
1- ينظر: الفراء، المذكر والمؤنث، رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1975، ص77.

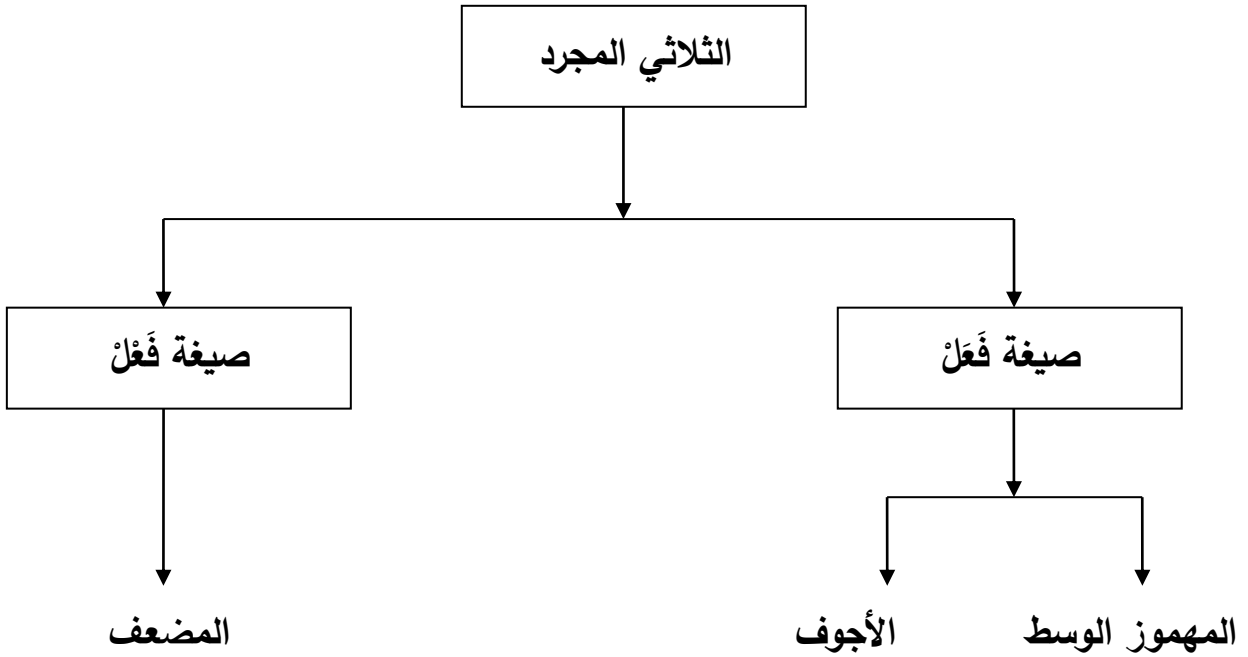
2- ينظر، المرجع نفسه، ص95.

3- ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1992، ص393.

4- ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص151 وما بعدها.

أولاً: الماضي:





الثلاثي المزيد فيه:

ويمكن أن نتبين تجلياته في اللهجة الجزائرية على النحو الآتي:¹

1- الفعل الصحيح السالم:

الضمائر	الفعل الماضي	الفعل المضارع	الفعل الأمر
المتكلم	هَرَبْتُ	نَهْرَبُ	-
المتكلمون	هَرَبْنَا	نَهْرَبُوا	-
المخاطب	هَرَبْتُ (ت)	تَهْرَبُ	أَهْرَبْ
المخاطبة	هَرَبْتِ	تَهْرَبِي	أَهْرَبِي (أَهْرَبِي)
المخاطبون	هَرَبْتُمْ	تَهْرَبُوا	أَهْرَبُوا
المفرد الغائب	هَرَبَ	يَهْرَبُ	-
المفردة الغائبة	هَرَبَتْ	تَهْرَبُ	-
الغائبون	هَرَبُوا	يَهْرَبُوا	-

1- ينظر، بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص 155-156 وما بعدها.

الرباعي المجرد:

يتمظهر الفعل الرباعي المجرد في اللهجة الجزائرية في الصيغة المعيارية للغة الفصحى، والمتمثلة في ميزان (فَعَلَنْ) على نحو ما نلفيه في النماذج الآتية: كَرَكْرَ، شَرَشَرَ، تَفْتَفَ، دَعْدَعُ، دَقْدَقُ، طَبْطَبُ.

أما التظاهرات التي يمكن أن نقف عليها للفعل الرباعي المزيد، فتتجلى وفقا لتجلياتها المعيارية في اللغة الفصحى كقولنا على سبيل التمثيل: تتركب، تكرر، تخربط، تمرمد.

ثانيا: الفعل المضارع:

تتأتى صياغة الفعل المضارع في اللغة الفصحى بالركون إلى الفعل الماضي بزيادة أحد أحرف المضارعة (نأيت)، إلا أن هذه الاستراتيجية لا تتجلى بصورة كاملة في اللهجة الجزائرية¹، وهو ما يمكن أن نستشفه من خلال استبيان طبيعة تمظهر أحرف المضارعة في اللهجة الجزائرية. التشجيرية الآتية:

طبيعة تمظهر أحرف المضارعة في اللهجة:

1- الهمزة: لا نجد لها انعكاسا في اللهجة الجزائرية، إذ يستعمل عوضا عنها صوت النون للمتكلم المفرد بنوعيه وللجمع بنوعيه، وهي ظاهرة عامة في كثير من اللهجات العربية الحديثة² كقولنا: نَخْدَم، نُرُوحو، نمشي ...

2- الراء: يتجلى حضورها في اللهجة على نحو ما نلفيه في اللغة الفصحى، إذ تستخدم للمخاطب المفرد والمثنى والجمع والمفرد الغائبة، على سبيل التمثيل: أنت تروح، أنت تقعدني، تكملو.

3- الياء: تستعمل للغائب المذكر (يَحْرَثُ) وللغائبين (يَرْكَبُو) وللغائبات (يَعْسَلُو).

1- ينظر، بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص160 وما بعدها.

2- ينظر: عبد العزيز مطر، لهجة البدو، ص125.

ولئن كان الفعل المضارع يصاغ من الفعل الثلاثي ومن غيره، فإن للفعل المجرد ثلاث صيغ نوردها على النحو الآتي:¹

1- **فَعَلَ**: ويصاغ منها **يَفْعَلُ** (يَهْدُرُ) ويَفْعَلُ مثل يجري، وَيُفْعَلُ مثل يُورَثُ، وَيُفْعَلُ مثل يوحى .

2- **فَعَلَّ**: يصاغ منها (يَفْعَلُ): يشوف، يزور، و(يَفْعَلُ): يبيع، يسير، يعيش.

3- **فَعَّلَ**: ويصاغ منها: يَفْعَلُ نحو يُصَكِّك، يُعْضُّ، يُشْمُّ

حركة الحروف المضارعة:

تتحرك الحروف المضارعة في اللهجة الجزائرية بصوائت معينة، تتباين قوة حضورها بين حضور طاغ للفتحة والسكون، وحضور خافت للضمة والكسرة.

وحضور الكسرة يكاد يكون منعدما باستثناء بعض النماذج على نحو: (يَبَسْ، جَا) فأنموذج "يَبَسْ" ينطق تارة "يَبَسْ" وتارة يَبِيسْ، أما أنموذج "جَا" فتتطق تارة "جِي"، وتارة "ييجي".

وقد تجذرت هذه الظاهرة في معظم اللغات السامية كالعبرية والسريانية، وهو ما يوحى بانحدارها من السامية الأولى،² وعليه يمكن لنا أن نقر أن « الظاهرة قد عبرت التاريخ الطويل حتى وصلت الأحفاد بالأجداد والخالفين بالسالفين»³.

ومهما يكن فاللهجة سلكت مسلك الفصحى بشيوع ظاهرة فتح أحرف المضارعة

في معظم صيغها، كما وافقت لهجات الحجاز في كل الحالات وهو الأصل.⁴

1- ينظر: بلقاسم بلعرج، مرجع سابق، ص161 وما بعدها.

2- ينظر أحمد الجندي، اللهجات العربية في التراث، ص397.

3- المرجع نفسه، ص397.

4- ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص140.

ثالثاً: الأمر:

يتيهياً صياغة فعل الأمر في اللهجة الجزائرية من الثلاثي المجرد بزيادة همزة وصل أو قطع، وهو بذلك يتوافق مع نمط صياغته في اللغة الفصحى سواء أكان فعلاً صحيحاً أم معتل اللام أم سالماً أم مهموزاً، كقولنا: أخرج، أرم، أقرأ، أوصل، وإذا كان من الأجوف فإن حركة فاء الكلمة تُمدُّ فينتج عنها صوت لين مناسب لها مثل: قول، زور، بيع، زيد.

كما يصاغ فعل الأمر في اللهجة الجزائرية من الفعل غير الثلاثي، شأنه شأن الفصحى، إلا أن الاختلاف يكمن في حركة ما قبل الآخر، إذ يكون في الفصحى مكسوراً، أما في اللهجة فيكون مفتوحاً على نحو ما نلفيه في قولنا -على سبيل التمثيل لا الحصر-: دقق، عاند، جرب، وبذلك فإن التغير الزمني والدلالي بين الماضي غير الثلاثي والأمر في اللهجة لا يتأتى إلا بمساءلة السياق.¹

المشتقات:

إن محاولة الوقوف على آلية صياغة المشتقات في اللهجة الجزائرية، تفضي إلى توافق نمط صياغتها مع النمط المعياري للعربية الفصحى، وهو ما يتأتى من خلال مساءلة مختلف الصيغ الاشتقاقية، على نحو ما سنعمد إليه.

1- اسم الفاعل:

يصاغ اسم الفاعل في اللهجة الجزائرية من الثلاثي المجرد على وزن (فاعلن) بفتح ما قبل آخره، بخلاف ما نلفيه في العربية الفصحى التي تتساق فيها الصيغة الاشتقاقية صوب تمثل حركة الكسرة. وبذلك يتيهياً لنا الإقرار بتوافق آلية اشتقاق اسم

1- ينظر: بلقاسم بلعرج، ص 168-169.

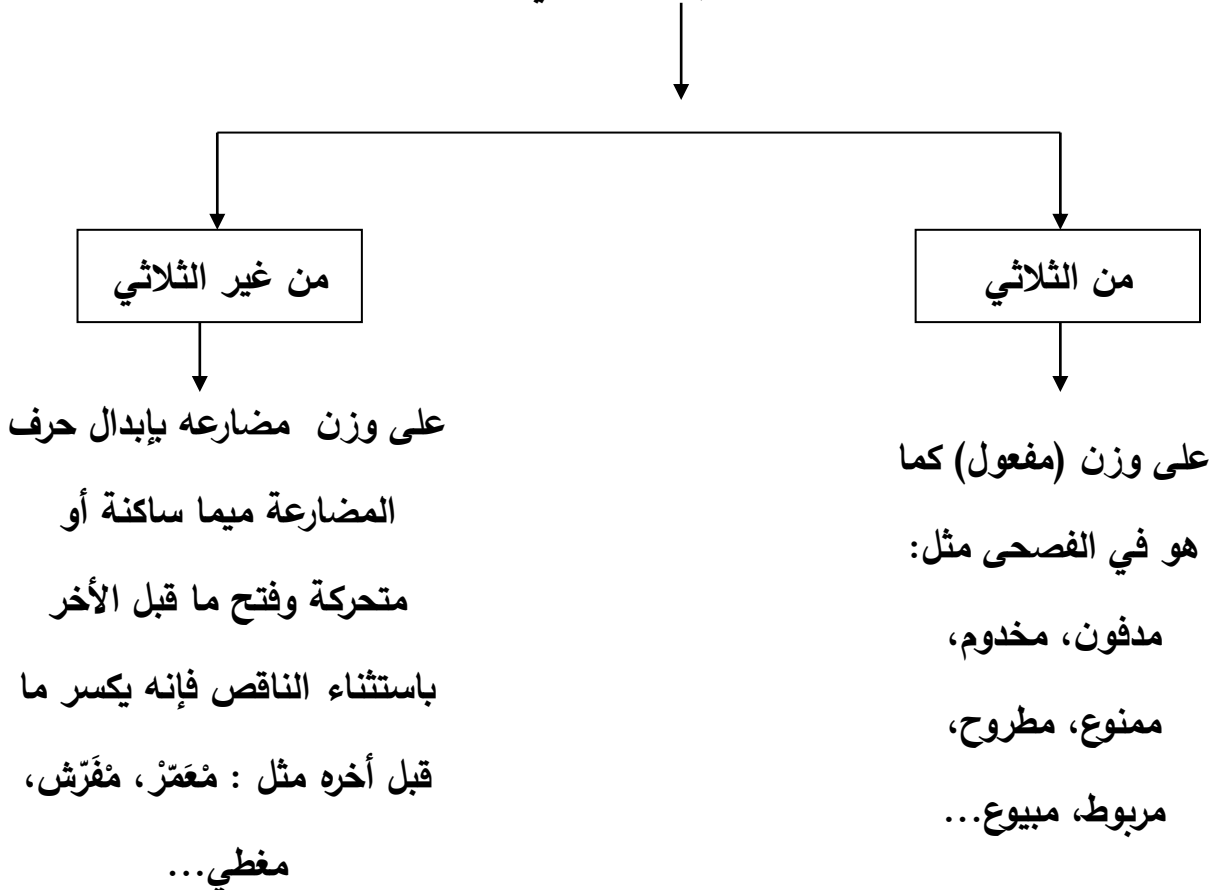
الفاعل في اللهجة الجزائرية مع معيارية اشتقاقها في العربية الفصحى إلى حد بعيد، وهو ما يبيد من خلال النماذج الآتية: كاي، رايح، قاعد... إلخ.

أما صياغته من غير الثلاثي، فتتأى بقلب حرف المضارعة ميما ساكنة أو محرّكة بالفتح أو الضم، وفتح ما قبل الآخر، باستثناء صوغه من المعتل الآخر، ومهموزه من اللفيين مثل مساعد، مُصمّم، مُجاهد، مُعاون، مُتحرّم...¹

2- اسم المفعول:

يتسنى صياغة اسم المفعول في اللهجة الجزائرية وفقا لمعيارية اشتقاقه في اللغة الفصحى، وهو ما يمكن أن نتبينه من خلال المقاربة التشجيرية الآتية:²

آلية صياغة اسم المفعول في اللهجة



1- ينظر: المرجع السابق، ص184-185.

2- ينظر، عبد العزيز مطر، لهجة البدو، ص129 وما بعدها.

اسم الآلة:

يتأتى صياغة اسم الآلة من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف للدلالة على الأداة التي تستخدم في بلورة معنى المصدر، وتحقيق مدلوله ويتجلى في اللهجة وفقا للصيغ الاشتقاقية الآتية¹: مَفْعَلَة: (مَطْحَنَة)، مَفْعَل (منجل)، مَفْعَال (مَحْرَاث)، فَعَّال (حَلَّاب)، فَعَّالَة (طَيَّارَة).

وبالتساند مع الرؤية المعيارية السابقة، نلفي بعض أسماء الآلة في اللهجة لا تخضع لميزان معين، لكونها أسماء جامدة كقولنا: صاطور، قصعة، ماعون.

صيغة التفضيل:

وهي صيغة مشتقة على وزن أفعل تدل على أن شيئين اشتركا في معنى، إلا أن أحدهما زاد على الآخر فيه.²

ولئن كانت الفصحى تركز إلى صيغة أفعل لتشكيل اسم التفضيل، فقد دأبت اللهجة على إسقاط الهمزة والاكتفاء بـ (فَعْل) نحو: كَثْر، كُبْر، خَيْر.

ظروف الزمان:

الألفاظ المختصة بالزمان في اللهجة هي:³ الليلة، ساعة وزمان، نهار، اليوم، وقت، زبيع، نُص، مَبْعَد، صَبَاح، غُدوة، العيشة، المغرب، بَكْرِي، قدام، عام، قرن، قبيل، العشوة، وُضْرُك.

ظروف المكان:

مما لاشك فيه أن ظروف المكان المستعملة في اللهجة، ليست حكرا على المؤديات الدلالية للمكان، وإنما تتساق صوب تأدية المعنى الإشاري لمكان معين بحسب

1- ينظر، بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص 187.

2- ينظر: عبده الصرفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974، ص 94.

3- ينظر، المرجع السابق، ص 205-206.

السياق الذي ترد فيه، ومن بين الظروف المكانية المسموعة في اللهجة: عندك، بلاصة، منتم، الفوق، قدام، هنا، ورا، أُنَحْتُ، من داخل ، حذا، الطرف...

ويتضح من خلال ما سبق ذكره أن معظم الظروف المكانية والزمانية مستعملة في اللهجة كما في الفصحى، إما استعمالاً متطابقاً شكلاً ومضموناً، وإما مغايراً في الحركات أو في الحروف وإما في الحركات والحروف معاً.

الضمائر:

1- ضمائر الرفع المنفصلة:

يستعمل الضمير (أنا) للمتكلم على نحو استخدامه في الفصحى، إلا أن نطقه قد يتباين في بعض المناطق، إذ ينطق حيناً (نا) وحيناً آخر (ناي) أو (أناي)، أما ضمير الجمع (نحن) فيتجلى في اللهجة الجزائرية في صيغة (أحنا) في نحن أو (حنايا).

وإذا ما تمعنا في ضمائر المخاطب، فنلفي ضمير (أنت) للمخاطب المفرد المذكر، و(أنتِ) للمفرد المؤنث، و(أنتوما) أو (أنتم) للتعبير عن المثني والجمع بنوعيه مذكر ومؤنث، إذ لا نجد ضميراً يعكس القيمة العددية المثني كما هو حال الفصحى.

أما الضمائر التي تشير إلى حالة الغائب، فنلفيها تتباين بحسب التذكير والتأنيث من جهة، وبحسب الأفراد والتثنية والجمع، على نحو ما هو متجسد في العربية الفصحى.

وقد ذهب برجستراسر إلى أن « ضمير الجميع "أنتم" قد تجذر من أصل مرجعي تمثل في "أنتمو"¹، وهو ما يدل على "أنتم" المستعملة في اللهجة هي "أنتمو" طراً عليها حذف اللواو.

1- برجستراسر، التطور النحوي، ص 27.

ولما كانت اللهجة تتأثر بفعل العلائق الاجتماعية الجوارية، فإن المناطق المتاخمة للحدود التونسية، تكتفي بمخاطبة المذكر بضمير المفرد المؤنث، وذلك لشيوع الظاهرة في اللهجات التونسية .

وبالتساند مع هذا الملمح، ألفينا المجتمع الجزائري يعمد إلى تعميم صيغة الجمع على قيمتي المثني بشقيه المذكر والمؤنث، باستخدام ضمير "هوم" عبر مد حركة الهاء الذي نشأ عنها صوت الواو.

2- الضمائر المتصلة:

إن نوعية الضمائر المتصلة، تتأتى عبر اتصال الضمير بالأسماء أو الأفعال أو الحروف¹، كما هو حال /التاء/ المتحركة في النطق الدارج ساكنة مع المتكلم، نحو (كُتِبْتُ) والمخاطب كذلك (كُتِبْتُ)، ولذلك يفتح ما قبلها وتكون مكسورة مع المخاطب المؤنث نحو (كُتِبْتِ)، كما تكون مضمومة مشبعة بواو من غير ميم مع جمع المذكر، وجمع المؤنث المخاطبين والمثني بنوعيه إذ يقال للتعبير عن ذلك بصيغة (كُتِبْتُو) على سبيل التمثيل.

النون الدالة على المنكلم:

تكون هذه النون مفتوحة مشبعة بالألف شأنها شأن الفصحى فيقال: (كُتِبْنَا) وذلك في موضعي الرفع والنصب، وللتفريق بين الفاعل والمفعول، يحتكم السامع إلى السياق ومقام الحال.

واو الجماعة:

تكون واو الجماعة ساكنة مضموم ما قبلها في الماضي والمضارع والأمر، فيقال: (كُتِبُوا) و(يَكْتُبُوا) و(اَكْتُبُوا)، على نحو ما نلفيه في الفصحى، فتكون ساكنة مسبوقه بنون

1- ينظر، عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، مرجع سابق، ص70 وما بعدها.

الوقاية مكسورة مثل: خَبَرَنِي وجاوبني، وتتصل بالاسم فتكون ساكنة مكسور ما قبلها مثل: داري، بلادي، وهو كالفصيح، وتتصل بالحرف فتكون مفتوحة فيقال. عَلِيّ، وليّ وساكنة مثل: منيّ وكانِيّ (كأني).

الياء الدالة على المخاطبة:

تتصل الياء الدالة المفرد المخاطب المؤنث بالفعل المضارع، إذ تتجلى في هيئة صائت طويل منبثق عن حركة قصيرة من جنسه، على نحو ما نلفيه في: (تَكْتَبِي) و(اَكْتُبِي).

الهاء الدالة على الغائب:

تتباين أحوال الهاء التي تدل على الغائب بين ثبوت في النطق وسقوط لها، ففي: عِلْمُوهُ وِضْرِبُوهُ، -على سبيل التمثيل- استقر ثبوتها ساكنة بعد واو الجماعة، أما في قولنا: عَلِمُوا وِضْرِبُوا في (عَلِمَهُ وِضْرِبَهُ) فالهاء محذوفة، والظاهر أن أصل الاستعمال كان: ضَرِبَ هُوَ فحذفت فتحة الواو، وتحولت إلى (ضَرِبَهُو) بالإشباع، ومن ثم أسقطت واو المد فقالوا (ضَرِبَهُ).

إن هذا الوضع الاستعمالي للهاء الدالة على الغائب، ليس حكرا على المنظومة اللهجية، فقد عرف في أوساط المتكلمين العرب بالفصيح، فنقل العوام ضمة الهاء إلى الباء قبلها وحذفوا الهاء، فقالوا ضربوا بإشباع الضمة، ثم سكنوا وسط الفعل للتخفيف.¹ وإذا تعمقنا في طبيعة استخدام الهاء الدالة على الغائب في مختلف الخطابات اللهجية، نلفيها تثبت نطقا في بعض مدن الغرب الجزائري، كوهران، وتلمسان، وغليزان، وتيارت، في قولهم على سبيل التمثيل: نَتَاعَهُ في نَتَاعُو وِضْرِبَهُ في ضَرِبُوا و(أَعْطِيَهُ) في (أَعْطِيَهُ).

1- ينظر، بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص 222.

الكاف الدال على المخاطب:

تتصل الكاف الدالة على المخاطب سواء كان هذا المخاطب مؤنثا أم مذكرا بالفعل، فيقال: خَبْرَكَ، وعاونَكَ، وعلمَكَ..... إلخ

الكاف الدال على الجماعة:

تدل الكاف على الجماعة إذا لحقتها الميم (الدالة على الجمع) نحو: بِلَادِكُمْ وَعَلَمَكُم، وترايكم، وتتصل بالفعل: كَلِمَتِكُمْ خَدْمِكُمْ، كما تتصل بالحرف مثل عليكم، وليكنم ومنكم وفيكم.¹

الأسماء الموصولة:

تعد الأسماء الموصولة عوامل لفظية يستعان بها لتكرار الأسماء الظاهرة، زيادة عن كونها تربط بين الجمل²، ولها في الفصحى صيغ تختلف باختلاف العدد والجنس العاقل وغير العاقل، وهي: «الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي، اللاتي، اللواتي، الألى، من، ما، ذا بعد استفهام بما أو بمن، ذو الطائفة و(أي) مضافا إلى معرفة لفظا أو نية، والألف واللام»³.

وإذا حاولنا حصر تجلياتها في اللهجة الجزائرية، فيمكن أن نتمثلها من خلال المقاربة التشجيرية الآتية:

1- ينظر، محمد خان، العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2005، ص71-72.

2- ينظر، إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص292.

3- شرح ابن عقيل، ج1/ص137.

تجليات الأسماء الموصول في اللهجة الجزائرية

من ما من اللي

استعمالات الاسرالموصول اللي:

يستعمل هذا الاسم للمذكر والمؤنث والجمع بنوعي، وهو اختصار للأسماء الموصولة (الذي والتي والذين) بحذف الذال والتاء والنون، فيقال: الرجل اللي سكن حدانا، اللي سكنت حدانا، والرجال اللي ركبنا معاهم، والنسا اللي غناو، وهذا الاسم وإن لم يوجد في العربية الفصحى، فإن كثرة استعماله في معظم اللهجات العربية المعاصرة تجعلنا « بعد التأمل أن ننسبه إلى أصل قديم كان شائعا في بعض لهجات العرب القدماء»¹، وانحدر إلى اللهجات الحديثة من لهجة عربية قديمة.²

استعمالات الاسرالموصول من:

تستعمل من في اللهجة الجزائرية للدلالة على العاقل وعلى غيره بخلاف طبيعة استعمالها في الفصحى، فيقال: جاب خمس رجال طلوعوا لجبل فالثورة منهم من مات ومنهم من بقى، وفلان شرى عشر بقرات منهم من كانت تحلب، ومنهم من كانت دافع.³

1- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 241.

2- ينظر عبد العزيز مطر، لهجة البدو، ص 161.

3- ينظر، محمد خان، العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص 73.

استعمالات الاسرالموصول ما:

يتوافق استعمال الاسم الموصول ما في الفصحى مع طبيعة استعمالها في اللهجة الجزائرية، إذ تستخدم للعاقل ولغير العاقل، كقولنا: هذاك ما ريثمن (ذلك ما رأيت منه).¹

أسماء الإشارة:

اسم الإشارة اسم يعين مدلوله تعيينا مقرونا بإشارة إليه، وأهمية أسماء الإشارة في الكلام أنها يستعاض بها عن تكرار الأسماء، مثلها في ذلك مثل الضمائر، غير أنها تختلف عنها في بعض حالات الاستعمال.²

وتستعمل في اللهجة كما هي في الفصحى، وفي اللهجات الأخرى ألفاظ كثيرة للإشارة تختلف باختلاف المشار إليه من حيث الجنس والعدد والقرب والبعد، مثل هاذا، هاذاك، ذاك، هاذايك، ذيك، هاذي، هادو، ذو، هاذوك، ذوك.

كما أن هناك ألفاظ كثيرة تستعملها اللهجة للدلالة على المكان وعلى الإشارة معا مثل: لهنا، لهناي، هنا، لهيه، ثمّ، لثم، منثم، منهيه، لهناي، مناي، هناي.

1- ينظر، بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص230.

2- ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص191 وما بعدها.

2-3- الخصائص النحوية (التركيبية):

تعد الجملة جزءا صميميا من أجزاء الاتصال التركيبية بين الجماعة اللغوية، "وقد نظر إليها علماء العربية فقسموها على أساس العناصر التي تكونها، فهي إما جملة اسمية وإما فعلية، وركزوا على الإعراب وعلاماته لأجزاء الجملة ووحداتها، ثم نظروا أثناء ذلك في قضية الرتبة والمطابقة بين تلك العناصر"¹.

ولئن كان للجملة في العرف النحوي نظام معياري ترتد في جوهره إلى القوانين التي تتحكم فيها نسقية تركيب اللغة، ونمط يفرضه سياق الكلام، فإن هذه الضبطية المعيارية خفّت حدتها في الخطاب اللهجي، فقد تحرر "اللسان الدارج قد تحرر [...] من ضوابط الإعراب، فلا رفع للفاعل ولا نصب للمفعول، وهو ينزع دوما إلى التسكين، ولو كان في حال الوصل، ولذلك لا يدرس الإعراب في الداريجة لانعدامه"².

وتتكون الجملة عند النحاة من ركنين أساسيين (مسند ومسند إليه)، تحكما علاقة إسنادية، « وكل ركن من هذين الركنين عمدة لا تقوم الجملة إلا به، وما عدا هذين الركنين مما تشمل عليه الجملة فضلة يمكن أن تستغني عنه، تركيب الجملة هذا هو أصل الوضع بالنسبة إلى الجملة العربية»³.

نظام الجملة في اللهجة:

المقصود بنظام الجملة هو: « بيان موقع المسند والمسند إليه، وهما الركنان الأساسان في الجملة»⁴. ولا تقتصر الجملة العامية على المسند والمسند إليه فقط، بل

1- ينظر : محمد خان، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص81.

2- ينظر : المرجع نفسه، ص81.

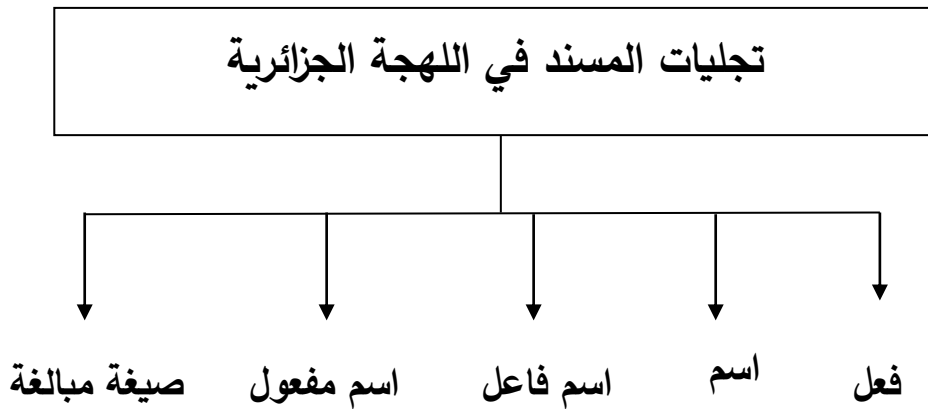
3- تمام حسان، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص82.

4- عبد العزيز مطر، لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط، ص173.

غالبا ما تتجاوزهما إلى كلمات أخرى يطلق النحاة عليها اسم الفضلات، وهي متنوعة من نعت، وبدل، وعطف، وتوكيد، وجار ومجرور.¹

1- المسند:

قد يتقدم المسند على المسند إليه في اللهجة، وقد يتأخر وهو أمر يخضع للمواقف وللحالات النفسية التي قد يمر بها المتكلم، فينعكس ذلك على كلامه، وقد يأتي المسند فعلا أو اسما، أو وصفا مشتقا، أو اسم فاعل، أو اسم مفعول أو صيغة مبالغة، وغير ذلك، وقد يحذف لدلالة المذكور عليه²، ولنا أن نتمثل هذه التعددية من خلال المقاربة التشبيحية الآتية:



المسند إليه:

ينتهي للمسند إليه التجلي عبر منافذ متعددة، فإما أن يكون فاعلا أو نائبا عنه في الجملة الفعلية، وإما أن يتمظهر في صيغة مبتدأ « أو ما يقوم مقامه كاسم إن أو كان في الجملة الاسمية، ويأتي إما اسما، وإما ضميرا، وإما وصفا مشتقا أو تركيبا غير إسنادي»³.

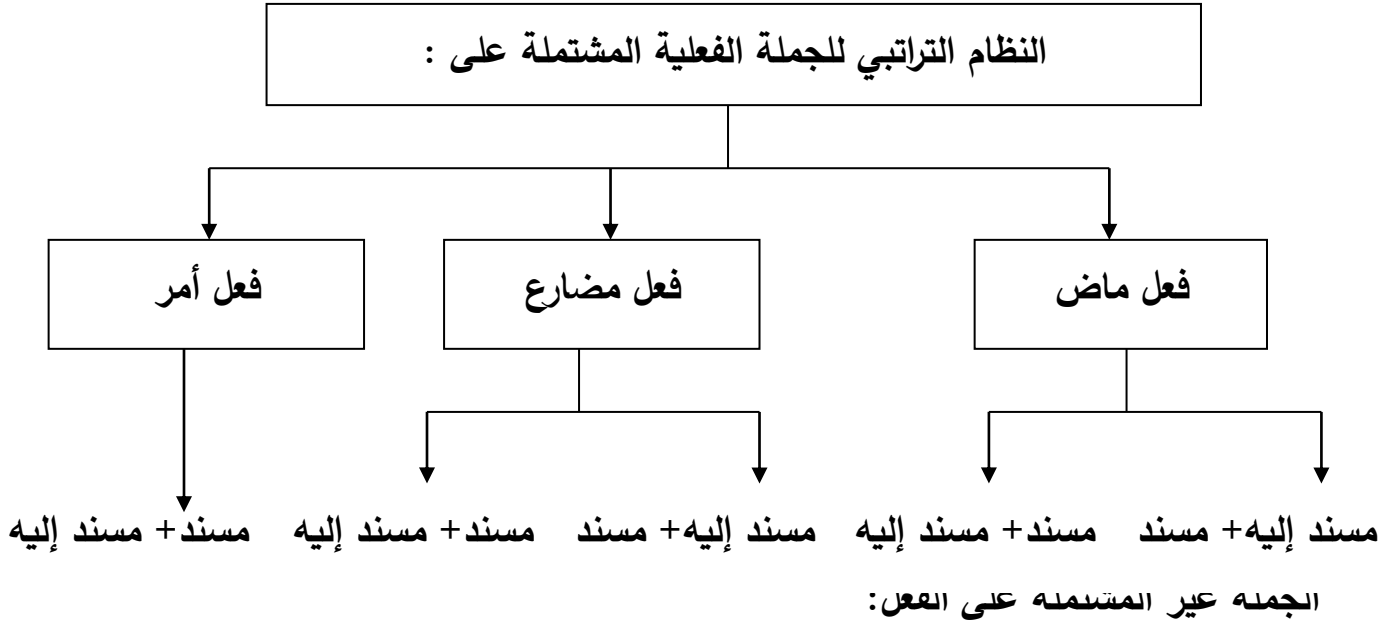
1- سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الجزائريين، ص49.

2- ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص246.

3- المرجع نفسه، ص247.

نظام الجملة المثبتة في اللهجة:

ينهض نظام الجملة الفعلية في اللهجة الجزائرية على تراتبية معينة، تستبق المسند حيناً وتؤخره حيناً آخر¹، سواء أكانت هذه الجملة مشتملة على فعل ماض أم مضارع، ويمكن أن تتمثل هذا النظام التراتبي من خلال المخطط الآتي:



تنهض الجملة الاسمية على تلك العلاقة الإسنادية التي تتأسس على المسند والمسند إليه، إلا أن المسند فيها لا يكون فعلاً، وإنما اسماً مفرداً أو جملة أو شبه جملة. ومن ثم فإن ترتيب العلائق التركيبية تكون على النحو الآتي: (المسند إليه + المسند) مثل: الوقت صعب.

1- ينظر عبد العزيز مطر، لهجة البدو، ص 175 وما بعدها.

نظام الجملة المنفية في اللهجة:

يعد أسلوب النفي أسلوباً لغوياً تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب ينهض على آلية النقص والإنكار، حيث يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، وعليه. يتوجب إرسال النفي مطابقاً لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأ، مما اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي، وبإحدى طرائقه المتنوعة الاستعمال¹

أدوات النفي:

تنحصر أدوات النفي في اللهجة في أداتين تتمثلان في (ما، لا)، مصحوبة ببعض اللواحق" مثل (وش، يش) اختصاراً لكلمة شيء، وتعد "ما" أكثر الأدوات شيوعاً فيها، وتأتي هذه الأدوات مع الفعل، والاسم والضمير والظرف والجار والمجرور والوصف المشتق².

كما أن " دخول الشين في النفي ليس خاصاً بعاميتنا، بل هو موجود في بعض اللهجات كلهجة مصر مثلاً، فالشين تلحق بنهاية الفعل الواقع بعد أداة النفي "ما" للدلالة على النفي"³، وترد أداة النفي في اللهجة الجزائرية مع:⁴

❖ مع الفعل: مثل: ماكلاش، ما يروحش، ما كلا ما شرب.

❖ مع الضمير: مثل: مانيشرايح، ماكش تخدم، ماهوش هنا ، فالنون في

(نيش) والكاف في (كش)، والهاء والواو في (هوش) ضمائر تدل على

المتكلم والمخاطب والغائب

❖ مع الظرف: نحو: ما عنديش، ما فوقه والو.

1- ينظر، محمد خان، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص 82-83.

2- ينظر، سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمال الناطقين الجزائريين، ص 50.

3- ينظر: المرجع السابق، ص 83.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص 83.

❖ مع الجار والمجرور: مثل: مافيكش فائدة.

❖ ومع الوصف المشتق: ما راقد، ما قاعد.

وقد تأتي "لا" عوضا عن "ما" في بعض الأساليب مثل: لا فوqe لا تحته، كما قد تستعمل بعض الألفاظ للدلالة على النفي مثل والو، ومحال. وقد تفيد أدوات النفي الاستفهام في بعض الحالات، والأمر في كل ذلك يرجع إلى التنغيم، لأنه يستخدم في اللغات للدلالة على المعاني الإضافية كالتأكيد، والانفعال، والغضب.¹

نظام الجملة المنفية:

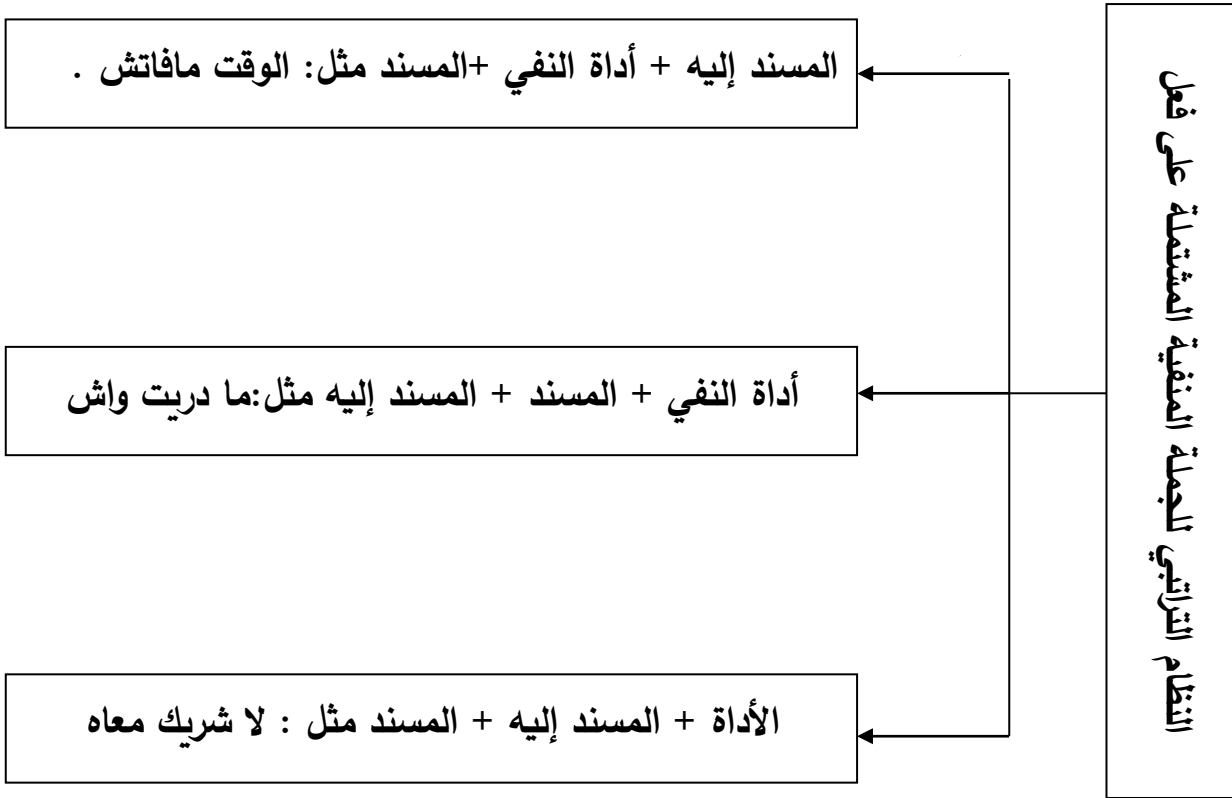
لا تختلف الجملة المنفية من حيث التركيب عن الجملة المثبتة أو غيرها إلا بإضافة أداة النفي التي قد تصدر المسند أو المسند إليه أو كليهما معا، وقد تتوسطهما لغرض نفي مضمون علاقة الإسناد بينهما، وتبعاً لذلك تتخذ الجملة عدة صور نوردتها فيما يلي:²

الجملة المنفية المشتملة على الفعل:

ويتكشف نظامها التراتبي وفقا لثلاث حالات نتمثلها على النحو الآتي:

1- ينظر: احمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص315.

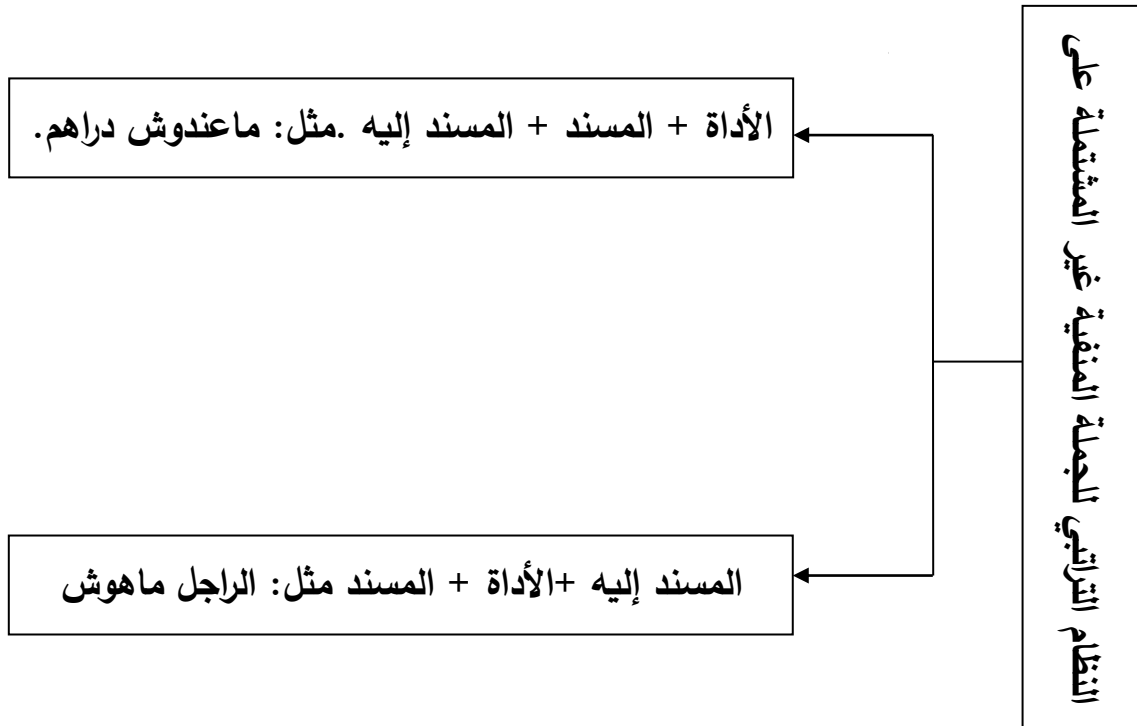
2- ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص263-264.



الجملة المنفية غير المشتملة على الفعل:

ويتكشف نظامها التراتبي وفقا لحالتين يمكن أن نقف عليها من خلال المقاربة

التشجيرية الآتية:



ومنه يتضح أن نظام الجملة المنفية في اللهجة لا يخضع لقاعدة مطردة تحدد مسلكه، وإنما هناك شبه حرية تامة في ترتيب ركني الإسناد، بخلاف الفصحى التي من قواعدها أن أدوات النفي، والاستفهام لها الصدارة في الكلام .

الجملة الاستفهامية:

يعد الاستفهام مطلباً تساؤلياً يتهياً من خلاله " طلب خبر أو علم يتساءل المستفهم بخصوصه هل تحقق أم لا، وقد يقوم الاستفهام على يقين، أو على ظن وشك، ويتم إما عن طريق إحدى أدواته الخاصة به وهي: (من، ما، أي، كم، متى، أين، كيف، أيان، أنى، الهمزة، أم، هل)، وإما أن يرد ضمن سياق تنغيمة، يساهم فيه التنغيم بتوجيه سلمه الموسيقي في غياب القرينة الاستفهامية¹، «إذ نغمة الكلام هي التي تحدد ما إذا كانت الجملة تقريرية أو استفهامية، إلى غير ذلك مما للتنغيم من دور كبير في تغيير المعنى»². والجملة الاستفهامية في اللهجة لا تختلف عن أختها في الفصحى، فهي تتكون من العناصر الآتية: المستفهم، والمستفهم منه، والمستفهم عنه، وأداة الاستفهام .

ومن خلال استقراء المادة اللغوية في اللهجة، اتضح أنها تستعمل سبيلين من سبل الاستفهام: أحدهما يركن إلى السلم الموسيقي الذي يحدده التنغيم، وهو ما يطلق عليه استفهام النغمة، وثانيهما يتأتى وقعه التساؤلي في حضور القرينة الاستفهامية.

وقد يستفهم عن الشيء الواحد بعدة صيغ، وفيما يلي ترتيب لأدوات الاستفهام حسب نوع المستفهم عنه تتأتى من خلال المخطط التشجيري الآتي³:

1- ينظر، ريمون طحان، الألسنية العربية، ج2/ص93.

2- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص315.

3- ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص269-270.



الاستفهام بالنغمة:

وهو نوع من الاستفهام يتأتى وقعه التساؤلي من خلال "من نغمة الكلام، التي يقابلها في الفصحى (هل والهمزة)، واستفهام النغمة شبيهه باستفهام الأداة، فيه يطلب ما يطلب به التصديق، وفيه ما يطلب به التصور والتصديق، وبالتالي فالأمر خاضع لمعنى الأداة فإذا كان بمعنى "هل" فهو استفهام يطلب به التصديق، وإذا كان بمعنى "الهمزة" فهو استفهام يطلب به التصور والتصديق"¹.

نظام الجملة الاستفهامية في اللهجة:

إن المتأمل في طبيعة نظام التراكب للجملة الاستفهامية، يلحظ أنه متوافق مع النظام التركيبي للجملة الأساس، إذ لا يختلف التركيب الاستفهامي عن التركيب الأساسي إلا بدخول الأدوات الاستفهامية التي تحول التركيب الأساس إلى تركيب استفهامي، سواء أكان تصويراً أم تصديقا، بحسب الأداة الداخلة عليه، وكذلك الاستفهام بالنغمة، حيث لا يختلف فيه نظام الجملة عن نظام الجملة المثبتة² وفيما يلي بيان ذلك:

طبيعة النظام التراتبي للجملة الاستفهامية:

أ- المشتملة على الفعل:

ويكون ترتيب أركانها: المسند والمسند إليه مثل: النوصبت؟ والأداة محذوفة هنا، وبقي الدور للنغمة.

وإذا كان مع الاستفهام نفي، فالتركيب يكون مسند إليه + مسند مثل: لكتاب ماجبتوش معاك؟

أما إذا كان الاستفهام منصبا على المسند إليه، فيكون الترتيب على النحو الآتي:

الأداة + المسند + المسند إليه مثل: ماجبتوش لكتاب معاك؟

1- ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارحة الجزائرية، ص282.

2- ينظر: محمد خان، العامية الجزائرية، ص89-90.

ب- الجملة غير المشتملة على الفعل:

إذا كان المسند إليه معرفة، فإن ترتيب أركان الإسناد يتأتى على النحو الآتي:

المسند إليه + المسند مثل: لُحِيبٌ كَائِنٌ؟

وإذا كان المسند إليه نكرة فالترتيب متأرجح بين التقديم والتأخير مثل: عندك

ساعة؟ المسند + المسند إليه، وقد يكون العكس. مثل حكاية فارغة؟ المسند إليه + المسند.

الاستفهام والنحت:

يعد النحت عاملا أساسيا من عوامل " التوسع اللغوي المؤثرة في اللغة ومعناه في

أصل اللغة البري، يقال نحت الخشب والعود إذا برأه وهذب سطوحه، ومثله في الحجارة

والجبال. قال الله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ﴾¹ و﴿تَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِيُوتًا﴾²،

والنحت في الاصطلاح أن تعمد إلى كلمتين أو جملة « فتنزع من مجموع حروف كلماتها

كلمة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها»³، ومن أمثله في اللهجة:

➤ واَش: وهو تركيب منحوت من و/أي / +/شيء/.

➤ مينجيت: نحت عبارة من /أين/ + /جئت/.

➤ علاش: تركيب منحوت من /على/ /أي/ /شيء/؟

➤ لاماه ، علاش ، لاواش : من /لم/ و/لماذا/؟

➤ فاه .فاش : نحت من التركيب في /أي/ /شيء/؟

➤ قداه قداش :والراجع أنهما منحوتتان من التركيب الاستفهامي /قدر/

/أي/ شيء /؟

1- سورة الصافات، الآية: 95.

2- سورة الشعراء، الآية: 149.

3- حماد أحمد عبد الرحمان، عوامل التطور اللغوي، دراسة في نمو وتطور الثورة اللغوية، الأندلس، ط1، 1983، ص34.

➤ كيف، كيفاه، كيفاش: وهي تركيبية منحوتة من /كيف/ /هو/ /الشيء/؟

➤ شكون: من /أي/ /شيء/ /يكون/؟

➤ كاش: وهي من /كائن/ /شيء/

➤ شحال: من /واش/ + /حال/ وبمرور الزمن وكثرة الاستعمال صارت

كلمة واحدة¹

نظام الجملة الشرطية:

مما لاشك فيه أن الشرط أحد الأساليب اللغوية التي تتبني فيها الجملة على استراتيجية معينة « تتألف من أداة (حرف أو اسم)، ومن تركيبين سمي الأول الشرط، والثاني الجواب والجزاء، وتقوم الأداة بربط التركيبين أو الشقين ارتباطا وثيقا يحول دون استقلال أحدهما عن الآخر»².

نظام الجملة الشرطية في اللهجة:

الأدوات الشرطية:

يتحقق أسلوب الشرط في اللهجة الجزائرية عبر أدوات معينة يمكن حصرها على النحو الآتي: (ك، باه، لوكان، كيف، كيم، يلاكان، لكان، منين، حتى، أوحتان، يلا، كون، اللي، نهار، وقتما، قدما، مهما).

وللجملة الشرطية في اللهجة الجزائرية مظهرات تركيبية متعددة، يمكن أن نقف على تجلياتها عبر المخطط التشجيري الآتي:

1- ينظر، بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية، ص 273-281.

2- ريمون طحان، الألسنية العربية، ج 2/ص 91.

التمظهرات التركيبية للجملة الشرطية

01 ← الأداة + فعل الشرط ماض + جوابه ماض مثل: يلا مسيته

02 ← الأداة + فعل الشرط مضارع + جواب الشرط مضارع مثل: كتسافر
تلقاه ثم .

03 ← الأداة + فعل الشرط ماض + جوابه مضارع مثل: كيم أديته ترّجعه

04 ← الأداة + فعل الشرط مضارع + جوابه ماض مثل: كون تسامح فرات
لقضية .

05 ← الأداة + فعل الشرط ماض + جوابه أمر مثل: يلا اخرج هو اسكن
أنت .

06 ← الأداة + فعل الشرط مضارع + جوابه أمر مثل: كتصّب المطر
أحرث

07 ← الأداة + فعل الشرط جملة اسمية + جوابه جملة فعلية مثل:
نهاز الربيع تزهى الدنيا .

08 ← الأداة + فعل الشرط جملة فعلية + جوابه جملة اسمية مثل: منين
يمشي هو معاك .

09 ← وقد يتقدم الجواب عن الأداة والشرط ، مثل : ما نخلصكش لوما
تكمش الخدمة .

وبالإضافة إلى هذه التظاهرات الشرطية، فقد تكون الجملة طلبية، فتحتاج هي الأخرى إلى جواب، مثل: **اعمل الخير تُلَقَّ الخَيْرُ**، كما قد يجتمع القسم والشرط في تركيب واحد، مثل: **والله لو تجي نذبح لك خروف** .

وعليه، وفي ظل المقاربة النحوية بين المنظومة النحوية للسان العربي، والمنظومة اللهجية، يمكن أن نقر بتوافق النسق النحوي المعياري مع نسقية انتظامه في اللهجة الجزائرية إلى حد بعيد، فاللهجة الجزائرية لم تخرج عن آلية انتظام النسق النحوي للفصحى ولهجاتها سواء أكانت قديمة أم حديثة.

2-4- الخصائص المعجمية:

إن المتأمل في الحفزية الدلالية لجل الألفاظ في اللهجة الجزائرية يلحظ أنها ترتد إلى العربية الفصحى، فتجلياتها الدلالية تتصل بشكل أو بآخر مع الأصل الفصيح، ولذلك ألفينا "**عبد الرحمن الحاج صالح**" يقر بهذا التوافق الدلالي، وهو ما يتبدى من خلال قوله: « ولقد فطن العلماء والكثير من المثقفين إلى وجود القسط الكبير من المفردات في العامية الحالية، وهي الفصيحة أو القريبة جدا من الفصيحة، وتكون 80 بالمائة من ألفاظ التخاطب اليومي في وقتنا الراهن»¹.

إن هذا الإقرار لم ينشأ من العدم، وإنما هو نتاج بحث وتقص عميق في المتون اللغوية القديمة، ويمكن أن نقف على هذا الملمح التوافقي بين بعض الألفاظ المستعملة في اللهجة الجزائرية وأصلها الفصيح، من خلال إجراء مقارنة إحصائية نتلمس من خلالها أصل البعد الدلالي للفظ اللهجي في معجم لسان العرب، وما يفضي إليه من دلالة استعمالية في الواقع الجزائري.

1- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ج1/ص74.

اللفظ المستعمل في اللهجة الجزائرية	دلالاته الاستعمالية في اللهجة الجزائرية المتوافقة مع دلالاته في معجم لسان العرب
إزار	ما تستعمله المرأة كغطاء ¹
استنى	بمعنى انتظر ويقال استأنيت بفلان أي لم أعجله ²
أقرع	القرع : قرع الرأس وهو أن يصلع فلا يبقى على رأسه شعر ³ .
إمالا	كلمة فصيحة أصلها إن ما لا، ثم أدغمت النون في الميم ومعناها إن لم تفعل هذا فليكن هذا ⁴ .
إيه	كلمة استزادة واستتطاق، وهي مبنية على الكسر وقد تتون، تقول للرجل إذا استزدته من حديث والعمل ⁵ .
البائر	من بارت السوق إذا كسدت، والأيم، ومن هذا قيل: نعوذ بالله من بوار الأيم أي كسادها، وهو أن تبقى المرأة في بيتها لا يخطبها خاطب ⁶
البرنوس	البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به دراعة كانت، أو ممطرا، أو جبة ⁷
بزاف	أصلها بالجزاف وهو بيعك الشيء جزافا بلا كيل ولا وزن، أدغمت الجيم في الزاي لتقارب مخرج الحرفين استخفافا.
بط	بمعنى ضرب وهي مستعملة عند العامة بمعنى ما سيكون، ويط الجرح وغيره يبطه بطا وبحه إذا شقه ⁸ .

1 - لسان العرب، ج4، ص16

2 - المصدر نفسه، ج4، ص48.

3 - المصدر نفسه، ج08، ص262.

4 - المصدر نفسه، ج05، ص468.

5 - المصدر نفسه، ج05، ص468.

6 - المصدر نفسه، ج13، ص67.

7 - المصدر نفسه، ج06، ص26.

8 - المصدر نفسه، ج07، ص201.

قال الأصمعي: بغي الرجل حاجته أو ضالته يبغيها بغاء، وبغيه وبغاية إذا طلبها يقال بغيث الشيء طلبته ¹ .	بغيت
الريح الطيبة كرائحة التفاح ونحوها ، وجمعها بُنَانٌ وقال سيبويه جعلوها اسما للرائحة الطيبة كالخمطة ² .	البنة
نقال للرجل الشجاع البطل والترس من السلاح :المتوقى بها، معروف، وجمعه أتراس وتراس، وترسه، وتروس، ورجل ترأس: صاحب ترس ³ .	تراس
والجلباب: القميص، والجلباب: ثوب أوسع من الخمار،دون الرداء تغطي به المرأة رأسها ... وفي التنزيل العزيز: ﴿يَدْنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلَابِيهِنَ﴾ ⁴ 5.	الجلابة
والجنة الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنان، وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها ⁶ .	اجنان
الحرش والتحريش : إغراؤك الإنسان والأسد ليقع بقرنه، وحرش بينهم : أفسد وأغرى بعضهم ببعض".	حرش
الحشمة: الحياء والانقباض، وقد احتشم عنه ومنه قال الليث : الحشمة الانقباض عن أخيك في المطعم وطلب الحاجة ⁷ .	حشم
يابس الكلا...وقال بعضهم: الحشيش أخضر الكلا ويابسه ⁸ .	الحشيش
هي عند العامة لفظ بمعنى الشدة، والألم، والمصيبة، " فالحصل سَفّ الفرس	الحصلة

1 - المصدر السابق، ج14، ص75.

2 - المصدر نفسه، ج13، ص58.

3 - المصدر نفسه، ج06، ص32.

4- سورة الأحزاب، الآية: 59.

5 - المصدر السابق، ج01، ص276.

6 - المصدر نفسه، ج13، ص100.

7 - المصدر نفسه، ج12، ص135.

8 - المصدر نفسه، ج02، ص282.

التراب من البقل، فيجتمع في بطنه فيقتله ، فإن قتله الحصل قيل أنه لَحَصِلٌ ¹ .	
حف رأسه وشاربه يحف حفا: أخذ منها، والمرأة تحف وجهها: تزيل عنه الشعر بالموسى وتقشره ² .	حف
الخريشة والخرمشة: الإفساد والتشويش ³ .	خريش
الخرف بالتحريك : فساد العقل من الكبير وقد خرف الرجل ... فسد عقله من الكبير ⁴ .	خرف
خَنَزَ اللحم والتمر والجوز، خنوزا،فهو خَنَزٌ وَخَنَزٌ، كلاهما فسد وأنتن ⁵	خنز
داخ : " داخ يدوخ دوخا : ذلّ وخضع ... ودوخ الرجل والبعير ذلك، ودوخ الوجع رأسه : أداره" ⁶ .	
الذرية: والذرية منه، وهي نسل التقلين، وجمعها: ذراري.	الذاري
بطيئ الحركة " الرازح والمرزاح من الإبل: الشديد الهزال الذي لا يتحرك، الهالك هزالا .. ورزح فلان معناه ضعف وذهب مافي يده ⁷ .	الرازح
الرفادة دعامة السرج والرجل وغيرهما ... وكل ما أمسك شيئا فقد رفته ⁸	رfd
بمعنى ثار وغضب غضبا شديدا جدا "رَعَفَهُ يَزَعُفُهُ زعفا: رماه أو ضربه فمات مكانه سريعا وقد أزعفته أقصعته، وكذلك ازدعفته زعفا أجهر عليه ⁹ .	زعف

1 - المصدر السابق، ج11، ص153.

2 - المصدر نفسه، ج06، ص54.

3 - المصدر نفسه، ج06، ص295.

4 - المصدر نفسه، ج05، ص123.

5 - المصدر نفسه، ج05، ص123.

6 - المصدر نفسه، ج03، ص16.

7 - المصدر نفسه، ج01، ص439.

8 - المصدر نفسه، ج09، ص134.

9 - المصدر نفسه، ج03، ص181.

صوت فيه صفير " زفت الريح زفيفا وزفزفت: هبت هبوبا لبنا، والزرزفة حنين الريح وصوتها في الشجر والزرزفة صوت القدح حين يدار على الظفر" ¹ .	الزف
" الزين خلاف الشين وجمعه أزيان" ² .	الزين
السبولة السبولة والسنبلة: الزرعة المائلة ³ .	السبولة
السلف: القرض، والفعل أسلفت، يقال أسلفته مالا أي أقرضته .. " ⁴ .	سلف
"الشارف من الإبل: المسن والمسنة... وسهم شارف إذا وُصف بالعتق والقدم" ⁵	شارف
الطاجن: المقلّي، وقال الجوهرى: الطيجن والطاجن يُقلى فيه وكلاهما معرب لأن الطاء والجيم لا يجتمعان في أصل كلام العرب ⁶ .	الطاجين
"عاف الشيء ..كرهه طعاما كان أو شرابا" ⁷ .	عاف
" إرساب الشيء في الشيء السيال، أو الندى أو في ماء، أو صبغ حتى اللقمة في الخل" ⁸ .	غمس
فرز: " فرزت الشيء من الشيء أي: فصلته، وتكلم فلان بكلام فارز أي فصل بين أمرين" ⁹ .	

- 1 - المصدر السابق، ج09، ص136.
- 2 - المصدر نفسه، ج10، ص150.
- 3 - المصدر نفسه، ج11، ص321.
- 4 - المصدر نفسه، ج09، ص158.
- 5 - المصدر نفسه، ج09، ص137.
- 6 - المصدر نفسه، ج13، ص264.
- 7 - المصدر نفسه، ج09، ص260.
- 8 - المصدر نفسه، ج06، ص156.
- 9 - المصدر نفس، ج52، ص390.

2-4-1- الألفاظ الدخيلة في اللهجة الجزائرية:

مما لا شك فيه أن الخطاب اللهجي في الجزائر قد تشكلت ملامحه اللغوية إثر عوامل متعددة، تباينت بين الدافع التاريخي والجغرافي والاجتماعي، ولما كانت الجزائر كغيرها من الدول قد تعاقبت عليها أمم وحضارات، فقد كان من الطبيعي أن تتأثر لغتها بلغة الوافدين إليها، وهو ما يتبدى من خلال الألفاظ الدخيلة عليها.

1 - الألفاظ الفارسية:

إن التداخل بين اللفظ العربي في الجزائر والفارسي، يرتد إلى أصل تاريخي مرده إلى قيام " الدولة الرستمية على أكتاف البربر بعد اعتناقهم للمذهب الأباضي... واتخذوا مدينة تيهرت كعاصمة يحجون إليها من العلم الديني للمذهب الأباضي، كما أن الفرس الأجانب تقاطروا على تاهرت أملا في الربح التجاري من ناحية، أو للدخول في مذهب الخوارج من ناحية أخرى، فكان لكل هذا أثر في لغة الفريقين فأخذ المغاربة بعض المسميات والألفاظ الفارسية أدخلوها في لهجتهم"، وفيما يلي بعض من الألفاظ المستخدمة في اللهجة الجزائرية ذات الأصل الفارسي:

- **بخت:** كلمة فارسية وتعني الحظ.
- **بس:** تستعمل للإسكات.
- **بقلاوة:** نوع من الحلويات.
- **بوسة:** القبلة.
- **خبشة:** كيس من القماش.
- **الزلابية:** عجين يقلى بالزيت ثم يعقد بالسكر.
- **سروال:** كلمة فارسية مركبة من "سر" وتعني فوق، و"وال" تعني القامة.

2- الألفاظ التركيبية:

من المعلوم أن الأتراك قد احتلوا الجزائر لفترة طويلة، وقد كان لهذا الاحتلال أثره اللغوي، فقد أخذت اللهجة الجزائرية بعض الألفاظ التركيبية نتيجة الاحتكاك بالمحتلين¹، ومن هذه الألفاظ نجد:²

- بقراج: براد الشاي.
- شال: رداء النساء.
- طببيل: (صحفة للأكل).
- قيطون: الخيمة.
- لكانج: آلة موسيقية.
- قوطة: علبة من الصفيح.
- طاوة: المقلاة.
- قفطان: نوع من اللباس.

3- الألفاظ الإسبانية:

من الآثار التي خلفها الإسبان في الجزائر، تلك الكلمات التي نتداولها في لهجتنا اليومية معتقدين أنها عامية، إلا أنها ترجع إلى أصل إسباني، ونفذت هذه الألفاظ إلى اللغة العربية بسبب التواجد الإسباني خاصة على السواحل الوهرانية، مستغانم، وبجاية، ودلس، وأرزيو، ومناطق من العاصمة، وكل هذه المناطق إما خضعت

1- ينظر: محمد بن شنب، الكلمات التركية والفارسية المستعملة في اللهجة الجزائرية، الدار القديمة للنشر، الأردن، 1922، ص49.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص6.

للاحتلال الإسباني، أو شهدت توافدا كبيرا للمورسكيين المسلمين، الذين خالطوا الإسبان ثم فروا من بطشهم¹، ومن الكلمات الإسبانية التي نفذت لهجة الجزائرية:

➤ الطوموبيل: السيارة.

➤ الفيشطة: الحفلة.

➤ الكرانتيكا: أكلة مشهورة.

➤ ساردينا: سمك السردين.

➤ سباط: الحذاء.

➤ سمانه: الأسبوع.

➤ البابور من "الفايور": الباخرة.

4- الألفاظ الفرنسية :

ومما لاشك فيه أن تأثر اللهجات في الجزائر بمفردات اللغة الفرنسية، ليس وليد الصدفة وإنما مرده إلى " العهد الاستعماري الذي قام بفرنسة التعليم، إذ كان التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريًا بحتًا، لا يعترف باللغة العربية ولا يقيم لوجودها أي حساب في جميع مراحل التعليم، ولم يكتف بفرضها في ميدان التعليم فقط، بل فرضها أيضا في الإدارة، والمحيط الاجتماعي وأجهزة الإعلام فرضا، كما فرض على المدن والمؤسسات أسماء جديدة لقادة الاحتلال من أمثال: بيجو، كلوزيل، لافيغري .. وكانت تهدف السياسية الفرنسية من وراء ذلك كله إلى جعل البيئة الثقافية الفرنسية قطعة من البيئة الثقافية الفرنسية، حتى يكون لفرنسة التعليم سند من فرنسا الإدارة والمحيط الاجتماعي².

1- ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب، ص52.

2- اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد الخامس، 2001، ص147.

وبذلك كانت اللغة الفرنسية « أكثر اللغات الأجنبية بقاء وتأثيراً في الاستعمالات، الأمر الذي جعلها تظفر بمنزلة متميزة في المجتمع المغربي»¹.

وقد أثر هذا كله على لغة المجتمع الجزائري الذي تكثر فيه الألفاظ الفرنسية

ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر:

➤ كسرونة: إناء للطهي.

➤ بارتما: شقة.

➤ الكوزينة: المطبخ.

➤ البيدون: إناء فيه ماء.

➤ ماشينة: الآلة.

➤ لمبا: المصباح.

➤ المارشبي: السوق.

➤ ستيلو: القلم.

➤ باطيما: عمارة.

➤ الطابلة: الطاولة.

➤ الفيستنا: معطف.

5- الألفاظ البربرية:

إن أهم المناطق الناطقة بالبربرية في الجزائر هي: الأوراس، جرجرة (القبائل)،

قورارة، الهقار، ميزاب... وأهم اللهجات البربرية هي القبائلية (منطقة القبائل)، الشاوية

(الأوراس)، الميزابية (وادي ميزاب)، والترقية (توارق الهوقار).²

1- خولة طالب إبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، عناصر من أجل مقارنة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري،

ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، دت، ص 27.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص 25.

إذ لا تخلو اللهجة الجزائرية من بعض الألفاظ الأمازيغية التي احتفظ بها السكان الأصليون للجزائر، حيث « أغرقت الموجات اللغوية التي أتت مع الغازين لغة البربر ... فلم تلبث اللغة المغزوة في صراعها مع اللغة الغازية التي شاعت بين الناس، وأصبحت لغة العام والخاص، وتكاد تنحصر الآثار اللغوية البربرية في صفات حيوية خاصة، أو بضع كلمات تعبر عن بعض المهن أو عن أشياء اختصت بها البيئة المغزوة من حيوان، ونبات، وأسماء، وأعلام»¹. وفيما يلي سرد لبعض الألفاظ الأمازيغية التي استقرت دلالتها اللهجة الجزائرية:

➤ فرماش: عديم الأسنان.

➤ فكرون: سلحفاة.

➤ لوسا: أخت الزوج.

➤ قنين: أرنب.

➤ فرطاس: أصلع.

➤ لالة: سيدة.

➤ قوربي: منزل.

➤ قلمونة: غطاء الرأس.

➤ هيدورا: جلد الحيوان.

➤ زليف: الجمجمة.

➤ مازوزي: آخر طفل في الأسرة.

ومن هنا، يتضح لنا مرد هذا التداخل اللغوي الذي تمخض عن العامل التاريخي والاستعماري، حيث كان للوجود العثماني أثر على التنوعات اللغوية الحضرية لاسيما

1- عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب، ص 65.

في: الجزائر، المدية، تلمسان، قسنطينة، عن طريق اقتراض العديد من الكلمات التركية المتصلة بالحياة اليومية، وفي ذات السياق أثرت لغات أوربية، لاسيما الفرنسية والإسبانية منها على لهجات الغرب الجزائري، والإيطالية على المدن الساحلية للشرق الجزائري، وقد كشفت هذه الاحتكاكات عبر آلية الاقتراض اللغوي الإفرادي، الذي تم دمجها في الاستعمالات اليومية¹.

2-5- الخصائص الدلالية:

يهتم المستوى الدلالي بدراسة العلائق الدلالية التي تفضي إليها الأنساق اللغوية، بتعقب مسارها التحولي الدلالي من فترة زمنية إلى أخرى، واختلافها من منطقة إلى أخرى، أو تحولها من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي. ولاشك، أن هذه التنوعات تتكشف دلالتها في المنطوق الجزائري عبر بعض الظواهر كالمشترك اللفظي والتضاد والترادف، وهو ما سنعمد إلى استبيانها.

2-5-1- الترادف:

وهو أن تؤدي لفظتين مخلفتين أو أكثر معنى واحدا، ولذلك « تستخدم كلمة "الترادف" في معنى "تماثل"، ومن الواضح أن كثيرا من مجموعات الكلمات - بالنسبة لمصنف المعجم - تحمل المعنى نفسه، فهي مترادفات، أو ترادف كل منها الأخرى²». ويتضح هذا النوع من الترادف بشكل جلي في المنطوق الجزائري، حيث تختلف الألفاظ وتتعدد باختلاف المناطق، على نحو ما نلفيه في التصنيف الآتي:

1- ينظر، خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، ص 26.
2- بالمر (فرانك روبرت)، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دط)، 1995، ص 24.

الجنوب	الغرب	الوسط	الشرق	الفصحى
راح	غادي	راح	راح	سوف
قع	قع، أوكل	كامل، قع	كامل، أوكل، بلكل	جميع
زعفان	زعفان	زعفان	مغشش، متغشش	غاضب
تان	تان، ثان	ثان، قانا	تان، زاده	أيضا
البييض	البييض، أولاد الجاج	لبييض، أولاد الجاج	لعظم	البييض
نحبك، نحبك	نحبك	نحبك	نحبك، نشتيك	أحبك
مليح، زين، باهي	مليح، لاباس، غاية	مليح، لاباس	زين، باهي، مليح	جيد
خايب، شين	ماشي مليح، شين	ماشي مليح، عيان	شين، خايب	سيئ
نتاعي	تاعي، نتاعي	نتاعي، ديالي	نتاعي، ديالي، تاعي	ملكي
واه، نعم، ييه	واه	إيه، أنعم	إيه، هيه	نعم
لا، لالا، أها	لأ	لالا	لالا، أها	لا
أزرب	أزرب، خف، أغسب	غاول، خف، أخسب	أزرب	أسرع
مغرفة، سلقومة	مغرفة، مغرف	مغرفة، مغرف	مغرف،	ملعقة

وهي من الفصيح أصلها "سل" لقمة"، أدغمت فيها اللامين			غنجاية(كلمة أمازيغة أصلها أغنجاي)	
ضرك	ضروك	ذلوق، درك	توّ، درك	الآن
برك	برك	فيها بركة	يزّي، برك، برك	كفى
يزعق، يتمسخر	يزعق	يتمسخر، يقسر	يقجم، يتمسخر	يمزح
ياسر	بزاف، ياسر	بزاف	ياسر، بزاف	كثير
أرفد، هز	أرفد	أرفد	هز	ارفع
وقيل، بلاك	بلاك	وقيل	وقيل وهي فصيحة أصلها قيل كذا وقيل كذا	ربما
علاه، علاش	وعلاه، علاه	وعلاش	لماه، علاه	لماذا
لهيه، لهيك	ثم، لهيه	لثم، لهيته	لهيه، لهيته، لهيك	هناك

2-5-2- التضاد:

يشير معنى التضاد وجود كلمتين مختلفتين في النطق، ومتضادتين في المعنى، كالقصر في مقابل الطويل، والذكر مقابل الأنثى، ويعرف السيوطي التضاد في قوله: «بأن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين، كقولك خرج ضد دخل، ووضع ضد رفع»¹، والألفاظ المتضادة في اللهجة كثيرة، هذه بعض أمثلتها:

المتضادات في اللهجة	ما يقابلها في الفصحى
جيب/ أدي	أحضر/ خذ
حط/ أرفد	ضع/ ارفع
ديما/ ساعات	دائما/ ساعات
أقعد/ أوقف	اجلس/ قف
أهدر/ أسكت	تكلم/ أصمت
نبغي، نحب/ نكره	أحب/ أكره
دخل/ خرج	دخل/ خرج
يهبط/ يطلع	ينزل/ يصعد
قليل/ بزاف	قليل/ كثير
برا/ لداخل	في الخارج/ في الداخل

1- السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ص399.

رخيص/ غالي	رخص الثمن/ غالي الثمن
كابن/ ماكانش	يوجد/ منعدم
ذرك/ منبعد	الآن/ لاحقا
البرد/ السخانة	البرد/ الحر
مسخ/ نقي	وسخ/ نظيف
جا/ راح	جاء/ ذهب
كبير / صغير	كبير/صغير
مرض/ برا	مرض/ شفي
صح/ غالط	صحيح/ غالط

2-5-3-المشترك اللفظي:

يتهيأ حضور المشترك اللفظي إثر تتعدد المعاني التي يفرزها اللفظ الواحد، «وليست الكلمات المختلفة فقط هي التي لها معان مختلفة، لكن القضية هي أن الكلمة نفسها قد يكون لها مجموعة من المعاني المختلفة، وهذا هو المشترك اللفظي»¹، ومن أمثله في اللهجة المدروسة:

مايستاهلش: وتطلق هذه اللفظة إذا كان حسنا وحصل له مكروه.

1- ف. ر بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: إبراهيم السيد، ص 101.

الموت: وتعني الهلاك والفناء، ويقصد بها في مواضع كثيرة التعب، والإرهاق، والمرض في أحيان أخرى، وقد تذكر في مواضع من الخوف.

بصح: تستخدم هذه اللفظة للموافقة على الشيء، كما يعبر بها للاستفهام عن صحة الخبر، كما تكون في مواضع أخرى للنفي أو التهكم.

العين: ومعناها الحقيقي الجارحة الموجودة عند الإنسان (عضو الرؤية)، ويقصد بها أيضا الحسد، ولها معنى آخر وهو المكان الذي يخرج منه الماء، إضافة إلى استعماله بمعنى المراقبة والتجسس فيقولون: خلي عينك عليه.

ونخلص مما سبق ومن خلال وقوفنا على الخصائص الصوتية، والتركيبية، والدلالية للمنطوق الجزائري، أنه وعلى الرغم من التغيرات التي اعترت اللهجة الجزائرية وذلك بسبب تداول الأمم والحضارات عليها، وبسبب احتكاك اللغات بعضها ببعض، مما أدى بطبيعة الحال إلى التأثير والتأثر بين هذه اللغات، إلا أن العلاقة وطيدة ووثيقة بين الفصحى واللهجة في الجزائر، وبين اللهجات الجزائرية نفسها، مما يجعل التواصل والتفاهم بين الجزائريين يسيرا.

الفصل الثالث

الظواهر الصوتية التشكيلية في المنطوق
الجزائري

إن المتأمل في ملامح التشكيل الصوتي في اللهجات عامة، واللهجة الجزائرية بخاصة، يلحظ أنها تتجه صوب تحقيق غاية الاقتصاد في الجهد العضلي حين النطق، طلباً للتخفيف وسعياً إلى تحقيق عنصر الانسجام بين الأصوات. ولهذا يذهب بعض اللغويين إلى أن التطور اللغوي بصورة عامة ما هو إلا نتيجة ذلك الصراع المستمر بين حاجات الإنسان في الاتصال وميله إلى تخفيف نشاطه اللغوي¹.

ومن الطبيعي أن يدرس التطور الصوتي ضمن مباحث علم الأصوات الوظيفي، الذي يهتم بدراسة الأصوات اللغوية، وهي داخل التركيب، محاولاً تحديد معنى تلك الأصوات من الناحية الوظيفية، إذ تتجلى وظيفة الصوت من خلال تجانس وتجاور تلك الأصوات بعضها مع بعض.

ولاشك أن التعامل مع هذا المطلب الوظيفي، يستدعي دراسة الظواهر الصوتية والفسولوجية الخاصة بالكلام الإنساني، وفق سيرورة موازية للدراسة الفونولوجية²، التي تعنى بدراسة الصوت اللغوي داخل التركيب، أثناء عملية الكلام، ومن ثم إظهار ما يعتري الصوت من وظائف صوتية تمييزية في الخطاب المنطوق، وإبراز تلك الظواهر الصوتية المتمثلة في الإبدال، والإعلال، والقلب المكاني، والنبر، والتغيم...

انطلاقاً من هذا المسعى، حاولنا من خلال هذا الفصل أن نقف على بعض الظواهر الصوتية التشكيلية في اللهجة الجزائرية عينة الدراسة.

1- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص324.

2- ينظر، محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص200.

1- ملامح التشكيل الصوتي للهمزة في النسق اللهجي:

مما لا شك فيه، أن أدنى مساءلة صوتية للملامح التمييزية لصوت الهمزة، تفضي إلى أن الهمزة صوت شديد لا هو مجهور ولا هو مهموس، ينطبق معها الوتران الصوتيان تماما ثم ينفرجان، فيخرج صوت له دوي شديد وانفجار وفرقة. إن هذه الآلية الإنتاجية لصوت الهمزة دفعت العرب، إلى نطقه بطرق مختلفة قصد التخفيف من حدة نطقه، ولذا غلب عليهم التخلص من هذا الصوت، إما بالحذف أو التسهيل أو قلبه إلى حرف مد¹.

الهمزة في اللهجة:

الملاحظ أن سكان الجزائر لا ينطقون بالهمزة محققة إلا نادرا، فالطابع الغالب حذفها أو إبدالها أو تسهيلها، ومن التغيرات التي تطرأ على الهمزة في اللهجات الجزائرية هي:

1-1- حذف الهمزة:

يمكن أن تحذف الهمزة في أول الكلمة إذا كانت:

1- في الأسماء المضافة، إلى الضمائر مثل قولهم:

[بوك] في [أبوك]

[خوك] في [أخوك]

[ختك] في [أختك]

1- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص210.

2- في الألقاب والكني مثل:

[بلقاسم] في [أبو القاسم]

3- في الأسماء مثل:

[ناس] في [أناس]

[ولاد] في [أولاد]

[إبرة] في [إبرة]

[حمد] في [أحمد]

[خوال] في [أخوال]

4- في الضمائر:

[نا] في [أنا]

[نتوم] في [أنتم]

[نت] في [أنت]

[نت] في [أنت]

5- في أفعال التفضيل، مثل:

[كثر] في [أكثر]

[كبر] في [أكبر]

[خشن] في [أخشن]

[صغر] في [أصغر]

[ثقل] في [أثقل]

6- في الصفات والألوان: التي على وزن (أفعل) الذي مؤنثه فعلاء مثل:

[حمر] في [أحمر]

[بيض] في [أبيض]

[كحل] في [أكحل]

[صفر] في [أصفر]

[عور] في [أعور]

[عمى] في [أعمى]

7- في الأفعال الثلاثية المبدوءة بهمزة مثل:

[كَل] في [أكل]

[خَذ] في [أخذ]

8- تحذف الهمزة إذا كانت متحركة وما قبلها ساكن، وتنقل حركتها إلى الحرف

الساكن الذي قبلها مثل:

[لثنين] في [الإثنين]

[الرَّبْع] في [الأربعاء]

[لَوّل] في [الأول]

[لِمَام] في [الإمام]

[لِحْمَر] في [الأحمر]

[لِمَان] في [الأمان]

[لِوَلَاد] في [الأولاد]

وقد نجد ملمحا تأثليا لهذا الاستعمال في اللهجات العربية القديمة، ونستشهد لذلك بما ذهب إليه سيوييه قائلا: « واعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن، فأردت أن تحذف حذفها، وألقيت على الساكن الذي قبلها»¹.

كما أن الهمزة المتطرفة لا تحقق إذا كانت²:

1- مسبوقة بصوت لين قصير مثل:

[بدا] في [بدا]

[قرا] في [قرا]

[ملا] في [ملا]

فالميل إلى التخفيف والتسهيل ظاهرة عامة في معظم اللهجات العربية، لاسيما لهجة قريش.

2- مسبوقة بصوت لين طويل مثل:

[السما] في [السما]

[النسا] في [النسا]

[العرا] في [العرا]

[الدعا] في [الدعا]

[الشفاء] في [الشفاء]

وتحذف الهمزة في بعض الكلمات إذا كانت متطرفة ومسبوقة بصوت لين طويل، ويقصر صوت اللين فيها، وتزداد تاء التأنيث آخر الكلمة مثل:

1- سيوييه: الكتاب، ج3/ ص545.

2- ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص49.

[خضرة] في [خضراء]

[زرقعة] في [زرقاء]

[حمرة] في [حمراء]

[عورة] في [عوراء]

[شبهة] في [شهباء]

[صفرة] في [صفراء]

1-2- إبدال الهمزة:

- تبدل الهمزة ألفا إذا كانت ساكنة وقبلها فتحة (أي صوت لين قصير)، مثل:

[راس] في [رأس]

[فاس] في [فأس]

[كاس] في [كأس]

[راي] في [رأي]

[فار] في [فأر]

والملاحظ أن صوت الهمزة في المواضع السابقة قد عوض بألف مناسبة للحركة

التي قبله.

- وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها ضمة عوضت بواو مناسبة للحركة التي قبلها، مثل:

[مومن] في [مؤمن].

- وإذا كانت ساكنة وقبلها كسرة عوضت بياء مناسبة للحركة مثل: [بِير، ذِيب، فِيران،

جِيت، صِيبان. في: بئر، ذئب، فئران، جئت، صئبان].

- وإذا كانت متحركة وما قبلها متحرك كذلك فإنها تخفف إما بإبدالها إلى الحرف الذي منه الحركة التي قبلها، أو إلى الحرف الذي منه حركتها مثل: [فال] في فأل، [روس] في رؤوس.

- وتبدل الهمزة ياء في أول بعض الكلمات وتطال حركة يائها في معظم الأحيان مثل: [يانا] في أنا، و[يامس] في أمس، و[ياجور] في آجر.

- كما تبدل ياء إذا كانت عينا في اسم الفاعل من الثلاثي الأجوف مثل: [سايح]، [فايح]، [جايح]، [خاين]، [باين]، [خايف]، [طايع]، [ضايح]، [داير]، [عايش]، [نايب]. في كل من: سائح، فائح، جائع، خائن، بائن، خائف، طائع، ضائع، دائر، عائش، نائب. ومثل ذلك أيضا في الأسماء المؤنثة المشتملة على همزة متوسطة مكسورة مثل: [مايدة]، [عايلة]، [فايدة] في: مائدة، عائلة، فائدة.

- وإذا كانت مكسورة بعد فتحة طويلة (ألف مد) مثل: [بهايم]، [حوايح]، [مسايل]، [عجايز]، [فتايل]، في: بهائم، حوائج، مسائل، عجائز، فتائل، عرائس، قبائل.

- وفي بعض الأسماء والصفات والمصادر التي أفعالها مهموزة، مثل: [الملاية]، [العباية]، [القراية]، [مليان]، في الملاءة، العباة، القراءة، ملآن.

وفي الأفعال الماضية المسندة إلى ضمير الفاعل مثل: [بُدَيْت]، [قُرَيْت]، [توضيت]، [خببت]، [مليت]، [بُرَيْت]، [هْنَيْت]. والتي يقابلها في الفصحى: بدأت، قرأت، توضأت، خبأت، ملأت، برأت، هنأت]. وتبدل الهمزة واواً إذا كانت أصلية في الكلمة مثل: [وُذِن] في أذن، و[خَر] في أحر، و[الف] في ألف، و[اين] في أين. وإذا كانت متوسطة وما قبلها مضموم مثل: [سؤال] في سؤال، [فؤاد] في فؤاد].

ولما كانت الهمزة من أشق الأصوات وأعسرهما نطقاً، وجدنا العرب تختلف بعضها عن بعض في نطقها والتمسك بها في كلامهم، « فوجدنا منهم من يحققها، ووجدنا من

يخففها بإبدالها بحرف من جنس حركة ما قبلها، أو جعلها بين بين، أو حذفها، والهدف من ذلك هو التخفيف في الصوت القوي، بتحويله إلى أصوات لين ليمن نطقها بيسر وسهولة»¹.

1-3- إبدال الهمزة عينا:

بنتبع نسق تظهر الهمزة في اللهجة الجزائرية، نلفيها تبدل عينا من الهمزة، وخاصة في المناطق الريفية، ومن أمثله:

- [قرعان] في قرآن

- [قراءة] في قراءة

- [فجعة] في فجأة

- [العذان] في الأذان

- [علف] في ألف

وقد عدّ إبراهيم أنيس هذه الظاهرة محاولة للجهر بالصوت، لأن الهمزة ليست من الأصوات المجهورة أو المهموسة إذ مخرجها المزمار نفسه، ولا عمل للوترين الصوتيين معها، وهي من الأصوات الشديدة، وحين يبالغ في تحقيق الشدة، والذي يراد به الوضوح في السمع، يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجا وصفة، وأقرب أصوات الحلق إليها هو العين.²

والظاهرة ليست غريبة عن كلام العرب، إذ نقلت لنا كتب التراث كثيرا من مظاهر

هذا الإبدال، ومنه:

1- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، ص10.

2- ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 110. 111.

أكفأت النخلة: إذا انقلعت من أصلها، ومثله: أكففت بالعين، وتكأكأ، وتكعكع بمعنى جَبُنَ ونكص، وكثأ اللبن وكثع، أي ارتفع فوق الماء، وصفا الماء من تحت اللبن.¹

1-4- إبدال العين همزة:

وهناك إبدال آخر بينهما أيضا في منطوق الجزائريين، وهو إبدال الهمزة من العين

كالذي نجده في قولهم:

أمتي] وهم يريدون عمتي.

أيني] وهم يريدون عيني.

أمري] في عمري.

الأمرة] في العُمرَة.

أندي] في عندي

ونجد هذا النوع من النطق في بعض الجهات مثل خميستي، والعيون، وسلمانة التابعة لولاية تيسميت والسوقر. والجهة الغربية من ولاية البيض وبعض المناطق من الصحراء. وليس هناك ما يمنع هذا الإبدال، لأن الصلة بين الصوتين قوية كما ذكر سابقا، وقد احتوى كتاب الإبدال والمعاقبة للزجاجي مما يفيد نظيره، قال الزجاجي: «وذكر محمد بن يحيى العنبري أن رجلا من فصحاء ربيعة أخبره أنه سمع كثيرا من أهل مكة من فصحاءهم يقولون: يا أبا الله: يريدون يا عبد الله»².

1- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، كفاً، 9 / 293، وكأكأ: 1 / 136. والسيوطي، المزهري في علوم اللغة، 1 / 462.

2- الزجاجي (عبد الرحمن إسحاق أبو القاسم)، الإبدال والمعاقبة والنظائر، تحقيق: عز الدين التتوخي، المجمع العلمي العربي، سوريا، 1963، ص 35.

وقد ذكر ابن السكيت ألفاظا تتضمن هذا النوع من الإبدال، من ذلك ما روي عن الأصمعي أنه يقال: «استأديت الأمير على فلان، في معنى استعديته»¹.

وكذلك، من التغيرات الطارئة التي تصيب الهمزة في اللهجات الجزائرية، إبدالها هاء وذلك في النداء مثل:

[ها محمد] بدلا من [أحمد]

[ها لبشير] في [البشير].

وكذلك إبدالها ميما مثل:

[ماكل] في [آكل]

[ماخذ] في [آخذ]

والمتتبع للتغيرات التي طرأت على صوت الهمزة في اللهجات الجزائرية من قلب وإبدال وحذف وتسهيل، يلحظ أن هذه التغيرات نفسها موجودة في العربية الفصحى وفي اللهجات العربية الحديثة.

2- أصوات اللين:

لا نكاد نجد في اللهجات العربية الحديثة قدرا كافيا من الكلمات باقيا على وزنه العربي القديم، فقد حدث تناوب واسع النطاق بين أصوات اللين القصيرة التي يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة. ويمثل هذا التناوب انقلابا من أهم الانقلابات التي اعترت اللغة العربية، وكان من آثاره أن انحرفت أوزان الكلمات فيها، « وانقلبت أشكالها رأسا على عقب بعد انتقالها من موطنها الأصلي إلى الرقعة الواسعة التي تشغلها البلاد العربية المختلفة، حيث استقرت مع الغزاة العرب، ومن تبعهم من المهاجرين»².

1- ابن السكيت، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط4، د ت، 1/ ص 234.

2- عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب، تطوان وماحولها، ص76.

وقد سارت اللهجة الجزائرية في نفس الطريق الذي سلكته اللهجات العربية الحديثة، حيث شهدت نفس التحولات التي طرأت على أصوات اللين، والتي يمكن أن نورد لها على النحو الآتي:

1-2- الكسرة: تتحول الكسرة القصيرة في اللهجة إلى حركة طويلة في المواضع الآتية¹:

أ- في الأمر المشتق من الثلاثي الأجوف اليائي مثل: طِيخ، بيع، طير، ميل، من الأفعال (طاح، باع، طار، مال).

ب- في الأسماء الثلاثية المهموزة الوسط مثل بير، وذيب في (بئر وذئب).

وتتحول إلى فتحة في اسم الآلة الذي على وزن (مفعل ومفعال) مثل: مَبْرَد، مَنجَل، منشار، مَرَوْد، وإلى فتحة في الاسم الثلاثي على وزن (فعل) وهذا في أغلب الأحيان مثل: مَلَح، بَنَتْ، سَرَج، قَرْد، مَسْك، جَلْد،

كما تتحول إلى سكون في بعض الأسماء التي على وزن فِعَال مثل: قُمَار، فُرَاق، حَمَار. وذلك قصد الابتداء بمقطع قصير مغلق، والذي هو من سمات اللهجة.

2-2- الضمة: تتحول الضمة إلى سكون أو إلى فتحة في بعض الأسماء يتحرك أولها بضمة، مثل: عَمْر، غَرَاب، الفَلَقَل...²

والملاحظ في هذا السياق أن أهل جيجل، يبدلون الضمة التي تتحرك بها أول الكلمة فتحة في أكثر كلامهم، مثل: الحَبْز، السَّكْر، الكَرْسي، تَقَف في "توقف"

والبدء بالسكان ظاهرة عامة في اللهجات العربية الحديثة، وحتى في اللغات السامية كالسريانية والآرامية والعبرية، وهو أمر يخالف نظام اللغة العربية الفصحى التي لا تبدأ إلا بمتحرك.²

1- بلقاسم بلعرج، الداريجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص 63 وما بعدها.

2- ينظر عبد العزيز مطر، لهجة البدو، ص 86.

وتتحول الضمة إلى حركة طويلة في فعل الأمر المشتق من الثلاثي الأجوف
الواوي مثل: رُوح، عُوم، قُول...¹

2-3- الفتحمة: إذا كانت هذه الحركة متبوعة بواو فعينها تتحول إلى ¹:

أ- ضمة طويلة مثل يَوْمٌ، لُونٌ، مُولِدٌ، نُومٌ، مُوسَمٌ، الخُوفٌ، القُولٌ.

ب- كسرة طويلة إذا كانت متلوة بياء مثل: بَيْتٌ، زَيْتٌ، عَيْبٌ

ج- كسرة طويلة في الاسم المصغر الذي على وزن (فَعِيلَةٌ وَفَعِيلَةٌ) مثل: نُعِجَةٌ،
نُويرَةٌ...

د- كسرة في حرف الجر (على) إذا أسند إلى الضمائر نحو: عليها، عليهم،
عَلَيْكَ، عَلَيَّ، عَلَيْكُمْ...

هـ- وتتحول إلى حركة طويلة في بعض الكلمات مثل رَاجِلٌ، مُعَاكٌ، معاءٌ،

وقد يرجع سبب مد الحركات القصيرة إلى تأثير الطبيعة والمناخ، إذ أن البدوي
مشهور بصوته الجهوري المرتفع الذي يستخدمه وسيلة للاتصال عند البعد اختصارا لقطع
المسافة سيرا، فالبوادي والأرياف صعبة المسالك في أغلب الأحيان لذا يستعوض بصوته
عن ذلك، وهو ما يبرر شيوع ظاهرة المد عند سكان بعض المناطق الجزائرية.

و- وتتحول الفتحة إلى كسرة في حرف الجر (على) إذا أسند إلى الضمائر نحو: عليها،
عَلَيْهِمْ، عَلَيْكَ، عَلَيَّ، عَلَيْكُمْ.

ويُذكر هاهنا، أن هناك من القبائل العربية في اللهجات القديمة، من يحول فتحتي
العين واللام إلى كسرتين فيقول: عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِمْ، كما يقولون: بَعِيرٌ، رَغِيفٌ، وهو تقريب

1- بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص65.

الصوت من الصوت قصد الانسجام الصوتي الذي يعرف عند القدماء "بالاتباع"¹. والظاهرة أُثبت استعمالها في منطوق بعض سكان الجنوب الجزائري مثل منطقة واد سوف والمناطق المجاورة لها فهم يقولون: كَبِير، صَغِير، سَعِيد، شَهِيد، بَخِيل، رَحِيم، شَعِير، بَعِير، رَغِيف.

والملاحظ في هذه الكلمات تغير فحنتين، إبدال الأولى سكونا للبدء بالمقطع القصير المغلق، وتحويل الثانية كسرة ثم إطالتها للتخلص من سكون الياء، لأنه يصعب الانتقال من النطق بها مفتوحة إلى مسكنة، وللتخلص أيضا من النطق "بصوت مركب"². ويتضح من خلال الأمثلة السابقة، أن التغيرات التي اعترت أصوات اللين مردها إلى ميل الإنسان إلى الانتقال من الصعب إلى السهل بحثا عن الانسجام، والتقارب بين الأصوات، لأن الانسجام بين أصوات اللين يؤدي دورا هاما في معظم اللغات البشرية « وهو من التطورات الحديثة التي تميل إليها اللغات بصفة عامة»³.

ولم تخف هذه الظاهرة عن القدماء فسامها ابن جني "المضارعة والتقارب"، وأطلق عليها ابن يعيش "القرب والتقريب"، وبعضهم يسميها "المناسبة"⁴.

1- ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/ص336.

2- ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 65.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص168.

4- الأستريادي، شرح الشافية، ج3/ص4-5.

كسر حرف المضارعة:

سمع هذا الشكل الأدائي في منطوق سكان الجنوب مثل "وادي سوف" وبعض المناطق الصحراوية، وكذلك في منطقة باتنة، وسوق أهراس، فيقولون: تَعْرِف، تَمْشِي، يَخْكِ، يَقْلِي، نِرُوح، يَصْنَع، تَكْتَب. وكسر حرف المضارعة في هذه الأفعال وغيرها يعد أخف من فتحها، لمناسبة الكسر في الصوت الثالث، وتسمى هذه الظاهرة عند العرب "التلتلة"، وقد اشتهرت بها قبيلة بهراء، و« كسر أحرف المضارعة ظاهرة سامية قديمة، وجدت في العبرية والسريانية والحبشية، كما وجدت في لهجات جنوب اليمن الحديثة كالمهرية والشحرية والبوتاحارية، وفي لهجات السريان في هذه الأيام»¹، مما يعني أن العرب قد انتهجوا سبيلين، أحدهما ينحو صوب فتح حرف المضارعة، وهذه لهجة أهل الحجاز، وثانيهما يتجه إلى كسر حرف المضارعة، وهي لهجة بقية العرب من غير الحجاز.

وقد بيّن سيويه هذا بقوله: « هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء، كما كسرت ثاني الحرف حين قلت (فِعِل) وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تَعْلَم ذاك، وأنا إِعْلَم، وهي تَعْلَم، ونحن نَعْلَم ذاك»².

إطالة الحركات:

تعتبر إطالة الحركات في كثير من كلمات اللهجة مثل: طِير، رُوح، كُول، قُول، مُعَاك، جِيب، بِيْع، زِيد، ضَرِبَاتُو، هُومَا، النَّابِي فِي النَّبِي، حِيْزْب... من ظواهر الانسجام الصوتي التي يتبّعها المتكلم بهدف التقليل من الجهد العضلي، وقد عرفت عند بعض القدماء "بالإشباع"، بينما وسمها ابن جني بـ "مطل الحركات"، يقول ابن جني: «وإذا فعلت

1- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج1/ص391.

2- سيويه، الكتاب، ج4/ص110.

العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها، فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو»¹.

3-الإمالة:

الإمالة ظاهرة صوتية وسبيل أدائي يسعى من خلاله الناطق إلى تسهيل النطق، وبذل مجهود أقل، والغرض منها في الغالب تحقيق الانسجام الصوتي.

3-1- مفهوم الإمالة:

لغت:

ورد في معجم الوسيط بأن الإمالة هي: « ميل الشيء ميلا»²، ويقال: « الميل لغة هو الانحراف والعدول عن الشيء أو الإقبال عليه، وكذلك الميلان، ومال الشيء يميل وممالا وتميالا، وأمال الشيء فمال»³. ومنه الإمالة هي ميل الشيء نحو اتجاه معين. و« هي انتحاء المتكلم بالألف نحو الياء، وبالفتحة نحو الكسرة بغرض تحقيق التناسب بين الأصوات، والعمل على صيرورتها على نمط واحد»⁴.

ومن التعاريف التي حُصت بها الإمالة كذلك: « الإمالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وسببها قصد المناسبة لكسرة أو ياء، أو تكون الألف منقلبة عن مكسور أو

1- ابن جني، الخصائص، ج3/ص121.

2- معجم الوسيط، تأليف: إبراهيم أنيس وآخرين، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط4، 2004، مادة: "م ا ل"، ص890.

3- عبد الفتاح إسماعيل شلبي، في الدراسات القرآنية والغوية " الإمالة في القراءات واللهجات العربية"، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2008، ص30.

4- محمد سمير نجيب البلدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ط2، 1986، ص216.

ياء»¹، وتكون الإمالة في اللهجة خفيفة وشديدة. وبذلك يمكن الإقرار بأن الإمالة في مفهومها العام، مظهر تلفظي يفيد الميل والانحناء.

3-2- الإمالة في اللهجة:

الإمالة ظاهرة صوتية موجودة في كل المناطق الصحراوية تقريبا (الجنوب الجزائري)، وبعض المناطق من الشرق الجزائري بخاصة إمالة الألف نحو الياء، بينما ظاهرة الفتحة القصيرة الممالة نحو الكسرة أو الضمة، فمختلف فيه من منطقة إلى أخرى، كما تختلف هذه المناطق في درجة الإمالة، فمنهم من يميل إمالة شديدة ومنهم من تكون إمالتهم بدرجة أقل وأخف، ومن الألفاظ الممالة في لهجات الجنوب والشرق الجزائري على سبيل التمثيل لا الحصر:

[بكي] في بكى

[شكى] في اشتكى

[كوى] في كوى

[المى] في الماء

[الكرى] في الكراء

[الدوى] في الدواء

[هنى] في هنا

[احنى] في احنا (نحن)

[سمى] في السماء

[نسى] في نسي

1- جيلالي بن يشو، بحوث في اللسانيات، الدرس الصوتي العربي: المماثلة والمخالفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2007، 90.

[هني] في هنا

والمتفحص لكتب التراث يلقي أن الإمالة ظاهرة عرفت لها اللهجات العربية القديمة وظهر ذلك في القراءات القرآنية، فقد أمال القراء العشرة إلا "ابن كثير"، فإنه لم يُمل، ومن القراء الذين اشتهروا بالإمالة أكثر من غيرهم هم "أبو عاصم" و"حمزة" و"الكسائي"¹. وشاعت الإمالة في لغة قبائل وسط الجزيرة العربية مثل تميم وقيس وأسد، ومالت لغة أهل الحجاز إلى الفتح.

ويذهب اللغويون العرب إلى أن « الغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل... والدليل على أنهم قصدوا بالإمالة التناصب الذي ذكرناه، أنا نجدهم فعلوا مثل هذا في اجتماع الصاد والواو »². وفي ذات السياق يرى ابن الجزري أن الغرض من الإمالة هو « سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن، أو الأصل »³.

وتفسر الإمالة في البحث الصوتي الحديث بمرور الصوت المركب "*diphthong*" بمرحلة اضطرابات أدى إلى « تطور صوتي بين الألف التي هي من أصل ياء، والتي جاءت زائدة، والتي هي منقلبة عن واو »⁴. والإمالة نوع من الانسجام بين أصوات اللين، « ولا شك أن الانتقال من الكسر إلى الفتح أو بالعكس، يتطلب مجهودا عضليا أكثر مما

1- ينظر: السيوطي عبد الرحمان جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، دت، ص 196.

2- ابن يعيش، شرح المفصل، ج9/ص54.

3- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2/ص35.

4- جان كانتينو، علم أصوات العربية، ص165.

انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض بأن تصبح متشابهة، لأن حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة»¹.

اختلاس الحركات:

اختلاس الحركات إخفاؤها، وعدم تمكينها، وإضعافها بحيث تقترب من السكون حتى تلتبس عند البعض.² وتقاديا للابتداء بالساكن، كثيرا ما تلجأ بعض المناطق الصحراوية في نطقها إلى اختلاس حركة الحرف الأول من الكلمة، كما تلجأ اللهجة إلى تحريك السواكن لتقادي البدء بالساكن، والتقاء الساكنين، فيحرك حرف الزيادة الأول، أو تختلس حركته، كما يكون الاختلاس في حركة الأول وتسكين الثاني. وذلك على نحو ما يكون في الكلمات التالية: كل في أكل، بشع بمعنى (قبيح)، توحش بمعنى (اشتاق) ومما سبق، نخلص إلى أن التطور الذي حدث في أصوات اللين في اللهجة الجزائرية، وفي سائر اللهجات العربية الحديثة أدى إلى « انحراف أوزان الكلمات، وانقلبت أشكالها رأسا على عقب، حتى لا نكاد نجد في اللهجات العامية كلمة باقية على وزنها العربي القديم»³، وهذا ما جعل الاختلاف واضحا بين اللهجات العربية الحديثة.

1- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص67.

2- ينظر: ابن جني، ج1/ص72.

3- ينظر: عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص308.

4-الإعلال:

لغته: «مرض وحدث يشغل صاحبه عن وجهه، وكأن تلك العلة صارت شغلا ثانيا منعه من شغله الأول»¹.

اصطلاحا:

الإعلال في الاصطلاح هو: «تغير يطرأ على أحرف العلة في الكلمات وما يلحق بها، فيتسبب هذا التغيير بحذف الحرف، أو إسكانه أو قلبه حرفا آخر»². وحروف العلة هي الألف، الواو، والياء.

الإعلال في اللهجة:

إن المتأمل في الملفوظ الجزائري، يتمكن من الوقوف وبدون عناء على أوجه الإعلال المختلفة في المواضع الآتية:

أ-الإعلال بالقلب:

قلب الواو ألفا:

قال: وأصل الكلمة "قول" بحيث تم قلب صوت الواو إلى الألف.

السكّات: في الأصل هي السكوت، ولكن عند النطق بها حدث لها الإعلال فقلبت الواو ألفا.

وتفسير الإعلال بالقلب نتيجة لتقلب «الياء والواو ألفا إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما»³، فقلبت الواو ألفا لأن نطق حرف العلة مفتوحا، يشكل ثقلا على اللسان، ومن ثم تقلب الواو ألفا من أجل التسهيل والتخفيف.

1- الرازي: مختار الصحاح، مادة "ع ل ل".

2- ديزيره سقال، الصرف وعلم الأصوات، دار الصدقة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص139.

3- إبراهيم قلاتي، قصة الإعراب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص 499.

قلب الياء ألفا: ويتجلى ذلك في النماذج الآتية على سبيل التمثيل لا الحصر:
المَبَات: وأصلها في الفصحى المبيت، قد تم إعلال بالقلب، حيث أُبدل صوت الياء إلى صوت الألف.

شاع: (شاع الخبر: انتشر) وأصلها شيع، وأبدلت الياء ألفا.
مَال: وأصلها ميل، قلبت الياء ألفا.

طار: وأصلها طَيْر، حدث لها إعلال بالقلب فأبدل صوت العلة (الياء) ألفا.
-قلب الواو ياء:

[الميعاد]: وأصلها مَوعد، أبدلت الواو ياء.

[جيعان]: وأصلها جوعان قلبت الواو ياء.

[الموجود]: وأصلها موجود، قلبت الواو ياء.

[ندعي]: وأصلها أدعو، حدث إعلال بالقلب فأبدلت الواو ياء

[صيام]: (صوم) أصلها صوام، حذفت الواو المفتوحة وقلبت ياء، وذلك لمناسبتها الكسرة، ويحدث هذا النوع من الإعلال « إذا سبقت الواو كسرة فإنه مباشرة يقلب إلى صوت ياء¹»، وهذا بغرض التخفيف والتسهيل أثناء النطق.

قلب الياء واو: على نحو ما نلفيه في:

[العشوة]: أصلها العشية قلبت الياء واو.

[كَلْوَة]: وأصلها كلوة قلبت الياء واو.

[شُوي]: وهو تصغير شيء والصحيح شبيء، قلبت الياء واو.²

وتجنح اللهجة إلى هذا النوع من القلب لأنها ترى فيه نوعا من التخفيف واليسر.

1- ينظر: إبراهيم قلاتي، قصة الإعراب، ص500.

2- ينظر: ابن الجوزي عبد الرحمن أبو الفرج، تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعارف، مصر، ط2، ج2/ص128.

قلب الألف ياء :

وقد لوحظ ذلك كثيرا في منطوق أهل الجنوب الجزائري، فهم كثيرا ما يستعملون

التصغير في كلامهم ومن ذلك قولهم:

[الغزِيل]: وأصلها الغزال، نتيجة للتصغير أبدلت /الألف// ياء./

[أفِير]: وأصلها فأر، قلبت /الألف/ /ياء./

قلب الألف واوا:

[أجدودي]: وأصلها أجدادي، قلبت /الألف/ /واوا./

[أضروسي]: وأصلها أضراسي أبدلت /الألف/ /واوا./

الإعلال بالتسكين:

[أيصوم]: أصلها يَصُومُ، حدث فيها إعلال بالتسكين، وذلك بنقل ضمة الواو إلى صوت

/الصاد/، وهذا من أجل التخفيف في النطق، لتصبح يَصُومُ.

[أيحوم]: أصلها يَحُومُ، نقلت ضمة الواو إلى صوت /الحاء./

[أيبيع]: وأصل اللفظة يَبِيعُ.

الإعلال بالحذف:

[الواد]: أصلها الوادي حذفت /الياء/

[ريحة]: أصلها رائحة حذفت الألف، وقلبت الهمزة ياء لتتاسب الحركة التي قبلها.

ومن خلال هذه النماذج المدرجة لمظاهر الإعلال في اللهجات الجزائرية يتضح بأن

اللهجة الجزائرية تنجح إلى الإعلال بالقلب أو التسكين أو الحذف، وذلك طلبا للخفة

والسهولة في النطق.

5-الإبدال:

لغت: «بدل الشيء وبدله وبديله الخلق منه والجمع أبدال، وتبدل الشيء وتبدل به واستبدلا استبدل به، كله اتخذ منه بدلا، وأبدل الشيء من الشيء وبدّله اتخذ منه بدلا، وأبدلت الشيء بغيره وبدله الله من الخوف أمنا، وتبديل الشيء تغييره إن لم يأتي ببديل، واستبدل الشيء بغيره وتبديله به إذا أخذ مكانه... والأصل في الإبدال جعل الشيء مكان الشيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله»¹.

اصطلاحا:

عرفه الجرجاني في قوله: « هو أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل»²، وهو التغيير الحاصل في لفظ من الألفاظ بتطور أحد الأصوات فيها إلى صوت آخر مع بقاء المعنى واحد. نحو رجل مهذب ومهضم: كثير الكلام واللعنة، والعلة: الجنون والبله في الإنسان.³ والإبدال يخص الأحرف الصحيحة بمعنى أن نضع حرفا صحيحا مكان حرف صحيح آخر أو مكان حرف علة.⁴

والملاحظ، أن العامية أبدلت فيها الحروف بطريقة حرة تكاد تكون مطلقة، لأن من دأب العامة الميل إلى تسهيل النطق والتخفيف باستمرار، ولو كان ذلك مخالفا لنظام العربية وقواعدها، فحلت حروف مكان أخرى في كثير من الألفاظ، ومن أمثله ما يلي:

إبدال الباء ميما: حيث يقال رَجَمَ في شهر رَجَب. كما يمكن أن يحدث العكس من ذلك في مثل قولهم: لصناب في الأصنام، ووقع الإبدال هاهنا لأن الصوتان يصدران من المخرج نفسه (المخرج الشفوي).

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة بدل، ج11/ص46.

2- الجرجاني(علي بن محمد بن علي)، التعريفات، تح: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ، ص2.

3- عبد الله درويش: دراسات في علم الصرف، مكتبة الشباب، المنيرة، ط2، د ت، ص72.

4- حسين مصطفى، في علم الصرف، دار جرير للنشر، الأردن، ط2، 2011م، ص110.

وفي طريقة نطق الباء في اللهجة محل الدراسة يذهب "كانتينو" إلى أن « نطق الباء نطقا رخوا من خصائص لهجة الجزائر، فلا تفرع الباء عندهم شديدة، بل رخوة مجهورة بين الشفتين، والعامل في ذلك في الراجح هو تأثير الطبقة اللغوية السفلى أي (اللغة البربرية)»¹.

إبدال التاء طاء ودالا:

إبدالها طاء: ومن أمثلة

✓ [يطر] في [لتر]

✓ [ميطرة] في [متر].

✓ [طروح] في [تروح].

✓ [يطمسخر] في [يتمسخر]

✓ [اصطغفر] في [استغفر]

✓ [يا سطار] في [يا ستار]

✓ [الطربية] في [التربية]

كما تبدل تاء الجزء الأول من العدد المركب طاء مثل: تلتاعش في ثلاثة عشر، تسعطاش في تسعة عشر. وهذا النطق موجود عند أهل تلمسان خاصة.

وقد عدّ القدماء هذه الظاهرة من اللغات الفصيحة المذمومة، جاء في التهذيب: «أفلطني الرجل افلاطا مثل أفلنتني، وقيل لغة في أفلنتني تميمية قبيحة»². ومثله أيضا: "حطّ وحتّ" بمعنى نثر، وفي الحديث: «جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

1- ينظر جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص 48.

2- التهذيب، الأزهرى، ج13، ص 350.

غصن شجرة يابسة فقام بيده فحط ورقها" أي حثّ ورقها، أي نثره، ومنه ناقة خراطة وخراطة: تخرط فتذهب على وجهها»¹.

وتبدل التاء دالا في: [فدق] وأصلها (فتق)

كما تنطق التاء أحيانا مشربة بالشين في بعض المناطق الصحراوية مثل منطقة واد سوف، فيقولون [شاي] في [التاي].

وأیضا تنطق التاء في بعض المناطق الجزائرية تاءًا متبوعة بسين رخوة لينتهي نطقها على النحو الآتي: "تس".

ولوحظت هذه الظاهرة في منطقة قسنطينة، فج مزالة، وبعض جهات منطقة قالمة، وبجاية وشرشال وتلمسان، وبعض مناطق الصحراء، بشار وبسكرة وتقرت ومن أمثلة ذلك قولهم:

- [تَسَم] في [تَم]

- [تساعك] في [تاعك]

- [بِتْس] في [بِتْ].

- [التسمر] في [التمر].

- [تسفاح] في [التفاح].

إبدال التاء هاء: ويكون في علامة التأنيث في الأسماء والصفات المؤنثة المفردة،

أي في تاء التأنيث المربوطة، نحو: مريضه، وجميله، مليحه، تعبانه...

إبدال التاء تاء:

وهو شائع جدا في اللهجات الجزائرية وذلك كقولهم:

[تَلج] في [تلج]

1- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1/ ص402.

[تريد] في [ثريد]

[توم] في [ثوم]

[تلاتة] في [ثلاثة]

[متني] في [مثنى]

فالتاء والتاء، صوتان متقاربان في المخرج، التاء صوت أسناني لثوي، شديد، مهموس، يحدث بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدمة اللثة، ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم يفصل اللسان فجأة فيحدث صوت انفجاري¹. والحال هنا انتقال مخرج التاء إلى الداخل غير أنها أصبحت شديدة، ويفسر هذا الإبدال بقرب المخرج وبالجهد العضلي الذي يصاحب نطق صوت التاء، حيث يتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان، كما أن الصوت الرخو يتطلب نفساً أطول، ويكلف جهداً عضلياً، وهذا الإبدال ملاحظ ملاحظة جلية في أداء اللهجة العامية أو ما يسمى بالدراجة.

والمطلع على كتب التراث يقع على نماذج كثيرة لمثل هذا الإبدال، ومنه ما ذكره ابن منظور: « الخبيث هو الحقير الرديء من الأشياء، أي الفاسد، وكالخبيث بالتاء المثلثة، لأن العرب تقلب التاء في تاء بعض الحروف، وفيها: رتم الشيء يرتمه رتما كسره، وشيء رتيم ورتم: مكسور. وربما خصوا به كسر الأنف، وهو الرثم بالتاء أيضاً بالمعنى نفسه»². هذا يعني أن التاء من الأصوات الصعبة النطق، « لأن نطقه يتطلب إخراج اللسان من بين الأسنان، ولهذا فقد ضاع من كثير من اللغات السامية»³.

1- ينظر: كمال بشر، علم اللغة العام "الأصوات"، ص 118-119.

2- ينظر ابن منظور، لسان العرب، (خبت)، 28/2، و(رتم)، 225/12، و(رثم)، 226/12.

3- صلاح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات، ص 115 - 116.

إبدال الجيم: تبدل الجيم دالا وزايا /dz/ وشينا وقافا وكافا، ويظهر ذلك في الأمثلة التالية:

إبدالها صوتا مركبا من /د+z//dz/ مثل: الجامع، جبل، جزار: دزاير في جزائر.
كما تنطق الجيم في المناطق الصحراوية عامة وبعض مناطق الغرب الجزائري شينا
مجهورة غير معطشة مثل /J/الفرنسية.

✓ إبدالها زايا: ويلاحظ هذا الإبدال عند بعض سكان الغرب الجزائري مثل منطقة
بني هذيل، بني ورنيد، وسكان سبدو ومنهم أولاد رياش وأولاد نهار. وأيضا في
بعض مناطق الجنوب الجزائري، مثل بسكرة وواد سوف وبشار، وفي قسنطينة
وسكيكدة، وذلك مثل:

[ززار] في جزار.

[ززة] في جزة.

[زيش] في جبش.

[زنش] في جنس.

[العزاج] في العجاج (الغبار).

[انزاص] في انجاص.

[زبش] في جبس.

[زاز] في دجاج

وقد ينطق صوت الجيم شديدا لا رخاوة فيه (جيما قاهرية)، إذا كان مجاورا لصوت
من أصوات الصفير، مثل:

[قزار] في جزار.

[قوز] في زوج.

[تقوز] في تزوج

وتفسير ذلك: " أن الجيم تأخرت عن مخرجها بالتأثر المدبر للزاي الصفيرية، فانقلبت إلى جيم وسط حنكية شبيهة بالجيم القاهرية /g/، وهذا النطق موجود في اللهجات الحديثة، وخاصة في صعيد مصر، وفي بعض المناطق الجزائرية.

الذال:

إبدال الذال طاء: حيث يميل بعض سكان الغرب الجزائري وسكان جيجل إلى إبدال الذال طاء في بعض الألفاظ مثل قولهم:

[حفيط] في حفيد وفي الجمع حفايط.

تبدلها اللهجات في نطقها تاء مثل:

[زغرتت] أي زغردت.

[السات] في السادس.

[ييتفن] في ييدفن.

إبدال الذال ضاد:

وسمع هذا النوع من النطق في لهجة توانت (الغزوات) فهم يقولون:

[ضارك] بدلا من دارك.

[ضارت] بدلا من دارت.

وتبدل اللهجة الطاء تاء في بتيخ: بطيخ، والتاء طاء في كلمة مخطر: مختار.

1- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 290.

الذال: تبدل ضادا في بعض المواقع، ضرك من هذا الوقت.

وتبدل في مواقع كثيرة دالا على الرغم من أن أغلب اللهجات العربية أبدلت الذال دالا إلا أن كثيرا من سكان الجزائر، وفي مناطق مختلفة منها خاصة الصحراء والغرب الجزائري (المناطق الداخلية)، لا زالوا ينطقون الذال كما هي في نطقها الفصيح ومن الألفاظ المبدل فيها الذال دالا على سبيل التمثيل لا الحصر:

[ديب] في ذئب

[دهب] في ذهب

[هدا] في هذا

فالذال صوت أسناني انفجاري، والذال تنطق بين الثنايا، وهو احتكاكي مجهور، ويشتركان في الانفجار.

وسمع إبدال الذال فاء في كلام أهل مستغانم مثل قولهم: الفهب في الذهب. والملاحظ أيضا تفخيم الذال في بعض الألفاظ، فيتحول إلى ظاء مثل قولهم:

[هضاك] في [هذاك]

[ظرك] في ذرك (هذا الوقت). حدث فيها حذف.

وهذا الضرب من الإبدال موجود في لهجة تقرت، وبسكرة، ووادي سوف.

والمتأمل في اللهجات الجزائرية يلحظ تخلي الناطقين عن رخاوة الذال لصالح شدة الدال، وذلك طلبا للخفة والسهولة في النطق لأن الصوت الشديد أقصر زمنا وأقل كلفة على اللسان.

كما تبدل الذال زايا في بعض المدن الصحراوية فيقولون:

[زلك] في ذلك.

[الززين] في اللذين.

[زيب] في ذئب.

إبدال الظاء والضاد:

تبدل دالا في:

[مدغ] في مضغ

[بيد] في بيض

[حامد] في حامض

[ردع] في رضع

[دلمة] في ظلمة

كما قد تبدل الظاء والضاد طاء، وهو ملاحظ خاصة على السنة التلمسانيين،

ويتجلى ذلك في قولهم:

[الطهر]: الظهر

[طو]: الضوء

[رمطان]: رمضان

[ظليلة]: ظليلة

[ظل]: الظل

[الظلام]: الظلام

وقد يبدل الظاء ضاد في قولهم: ضن في ظن، ضَهْرُ في ظَهْرُ، ضلم في ظلم.

كما نلاحظ إبدال الضاد بالظاء في منطوق بعض سكان الجزائر (جنوب تلمسان

مثلا) فيقولون:

[نظرب] في نضرب.

[نضحك] في نضحك.

[رمضان] في رمضان

[الظو] في الضو (الضوء).

[يفيظ] في يفيض

[قبظ] في قبض

وفي هذا النوع من الإبدال يروي ابن خلكان « أن ابن الأعرابي (ت231) كان يقول: جائز في كلام العرب أن يُعاقبوا بين الضاد والظاء، فلا يخطأ من يجعل هذه في موضع هذه»¹. ومما وقع فيه إبدال الضاد ظاء قولهم: «ولقد اشتكى ضهري، ومنهم من يبدل الضاد ظاء: فيقول: قد عظت الحرب بني تميم»².

وقد خلفت هذه المرحلة كثيرا من الأمثلة التي اختلطت فيها الضاد بنطق الظاء لشدة قرب المخرجين، «كما في قراءة (بظنين) بالظاء في قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (بظنين) بالظاء، وأما باقي السبعة بالضاد»³.

إبدال الضاد والظاء زايا:

ويظهر ذلك في كلام سكان الجنوب مثل بسكرة وواد سوف وتقرت، وحتى في قراءتهم للقرآن، فهم يقولون:

[زالين] في [ضالين].

[الزالمين] في [الظالمين].

[الزلم] في [الظلم].

[زروسي] في [ضروسي]

1- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، ط1، 1961، ج2/ص270.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة غيض: ج4/ص68.

3- ينظر: أمانة الزعبي، التغيير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص11.

إبدال الصاد والسين زايًا: ويظهر ذلك في قولهم.

[قزدير في [قصدير]

[زدم] في [صدم].

[بزق] في [بصق]

[زرداب] في [سرداب].

[زعترا] في [سعترا].

[مهراز] في [مهراس].

[يفزد] في [يفسد].

[لرق] في [لصق]

والإبدال لمثل هذه الحالات محقق في الدراسات اللهجية القديمة، وبهذا يثبت أن النطق الحالي لصوت الصاد ما هو إلا امتداد للهجاء القديمة، حيث كانت تبدل فيها الزاي من الصاد إذا كان بعدها قاف أو دال، ومنه ما رواه بن جني عن الأصمعي (ت 216هـ) « اختلف رجلان في الصقر (بالصاد)، وقال الآخر السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه فقال: لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر بالزاي، أفلا ترى أن كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين آخرين معها»¹.

ومما ورد كذلك من كلام العرب نتخذه مثالا لهذا الضرب من الإبدال ما ورد عن ابن منظور: « بخص عينه يبخصها بخصا: أي أغارها، وبخزها بالزاي بمعنى فقأها،

1- ابن جني، الخصائص، 1/ص 394.

ومنه: الصلعة: النعامة، والزعلة بالزاي كذلك، وصعصعهم أي حركهم أو فرق بينهم، وزعزعهم كذلك، والزعزعة والصعصعة بمعنى واحد¹.

إبدال السين صادًا: كثيرا ما يبدل الجزائري السين في بعض الكلمات صادًا، ومثل ذلك قولهم:

[صوق] في سوق.

[خصر] في خسر

[مصمار] في مسمار.

[الصور] في سور.

[اصطر] في سطر.

[صره] في سره.

[صلخ] في سلخ.

[الصهرة] في السهرة.

والمسوغ الصوتي لإبدال السين صادًا في اللهجة الجزائرية، هو أن السين والصاد صوتان رخوان مهموسان مخرجهما واحد.

وعرفت العرب هذا الضرب من الإبدال في كلامها، حيث تبدل السين صادًا إذا وقع بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء، وليس هذا الإبدال عند جميع العرب، وإنما هو في لهجة تميم أو بني العنبر من تميم، وعلة إبدال السين صادًا إذا وقعت قبل هذه الحروف، هو أن السين حرف مستقل وتلك الحروف مستعلية، فكان من الصعب النطق بالسين معها لما فيها من حركة انتقالية من الاستفال إلى الاستعلاء، وذلك مما يثقل². وكذلك

1- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بخص)، 7/ 4، ومادة (زعل)، 11/ ص304، ومادة (صعصع)، ص8/ 200.

2- ينظر: سيوييه، الكتاب، ج4/ص408.

ضرب صاحب اللسان مثلاً على إبدال السين صاداً حين تكتنفها بعض الحروف فقال: « وصقوب الإبل لغة في سقوبها، حكاها ابن الأعرابي قال: وأرى ذلك لمكان القاف، وضعوا لمكان السين صاداً لأنها أفشى من السين، وهي قريبة من القاف في الإطباق وهذا تعليل سيبويه»¹. ومثّل سيبويه لهذه الظاهرة بـ (صلخ) في (سلخ)، و(صالغ) في (سالغ) للشاة، و(صطع) في (سطع)، ونسب الفراء هذا التغير الصوتي إلى لهجة بني العنبر.² ومن شواهدهم الشعرية التي تؤكد هذه السمة اللهجية قول ليلي الأخيلية، وهي من تميم:

أنا بَعُ لم تنبغ ولم تكّ أولاً وكنت صنياً بين صدين مجهلاً³

قالت: صدين وتعني سدين.

كما تبدل الصاد سينا في منطوق أصحاب اللهجة مثل:

[ساريح] في صهريح

[سدر] في صدر

[رخيس] في رخيص

[سندوق] في صندوق

إبدال الغين قافاً:

وهي ظاهرة تنتشر بشكل كبير في المنطوق الجزائري، وتتمثل مناطق انتشارها في :
 - منطقة الزاب الغربي كله أي الجهة الغربية لبسكرة كلها من الحاجب إلى لشبونة، طولقة، سيدي خالد، أولاد جلال.
 - منطقة واد ريغ وهي تقرت وجامعة والمغير، وهي عبارة عن أعراش (رحمان والسلمية والدراسية وأولاد مولات وأولاد سعيد عمر والنوايل).

1- ابن منظور، لسان العرب، ج2/ص363.

2- ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/ص201.

3- ينظر: أبو الطيب (عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي)، الإبدال، تحقيق: عز الدين التتوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961، ج2/ص75.

- المنطقة الغربية لولاية باتنة: خاصة عرش أولاد سحنون والسلاحة والسحاري في الجزائر وبريكة وبيطام.
- ولايتي غرداية والأغواط: حيث يبدل كل الناطقين بهما الغين قافا.
- ولاية المدية: وهذه الظاهرة شائعة خاصة في جزءها الجنوبي من قصر الشلالة إلى قصر البخاري.
- ولاية الجلفة: ويظهر هذا النوع في كل مناطق الجلفة من عين وسارة إلى مسعد.
- ولاية تيارت: خاصة في قصر الشلالة والسوقر.
- ولايتي البيض والنعام: (تلاغ).
- ولاية سعيدة وبلعباس: في جزءها الجنوبي ويكون الإبدال على النحو الآتي:
يقولون :

[لغواط] في [لغواط].

[قرداية] في [قرداية].

[قابة] في [غابة].

[قراب] في [غراب].

[القرب] في [الغرب].

[قير] في [غير].

إبدال القاف غينا:

وهذه بعض الألفاظ التي حدث فيها إبدال القاف غينا: وذلك في بعض المناطق الصحراوية مثل: (واد سوف)، وبعض المناطق من بشار نحو قولهم:

[الغرآن] في [القرآن]

[الغربة] في [القربة]

[عبدغا] في [عبد القادر]

[نغرا] في [نقرا]

[الغهوة] في [القهوة]

[غويدر] في [قويدر]

[البشماغ] في [لبشماغ]

وسبب هذا الإبدال تقارب الصوتين (الغين والقاف) من حيث المخرج والصفات، ولذا فقد سجلت العربية بعض الأمثلة التي تعكس حالات انتقال نطق الغين إلى القاف، أو القاف إلى الغين.

ولاشك أن هذه الآلية لازلت متوفرة في الوقع النطقي الجزائري، إذ ما زلنا نسمع مثل هذا التعاقب في منطوق بعض الجزائريين حتى في قراءتهم للمستوى الفصيح، ومن أمثله: في حديث أنس قال: «أتينا أهل خيبر حين بزقت الشمس». والاستعمال المعروف: بزغت بالغين أي طلعت¹، ويقال [تزيغت] المرأة [تزيغا] و[تزيقت] [تزيقا]، إذا تزينت وتبرجت².

كما ألفينا حالة تبدل فيها العين حاءً على نحو:

[باحا] في [باعها].

[أنتاحهم] في [أنتاعهم].

والمتصفح للتراث اللغوي العربي يجد حضورا كثيفا لهذا الجنس من الإبدال.

1- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1/ص125.

2- ابن منظور، لسان العرب، (زيغ) ج8/ص432.

إبدال القاف:

مما لاشك فيه أن صوت القاف قد « تطور عبر الزمان تطورا عاما في اللهجات العربية من المحيط إلى الخليج، فهي تنطق إما قافا، وإما همزة وإما غينا أو قافا، أو جيما وأحيانا كافا»¹، وهو ما يمكن أن نقف عليه من خلال الملامح التشكيلية الآتية:

أ- إبدال القاف همزة:

ويتضح ذلك جليا في منطوق سكان تلمسان العتيقة وما جاورها، والتي كان يعرف بعض سكانها بالحضر، إذ نلفيهم يبدلون القاف همزة مخففة، وهي أقرب الأصوات شيها بها، وذلك بانتقال المخرج إلى الورا، متخذا همزة بديلا لما بينهما من صفات مشتركة، ومن أمثلة:

[أهوة] في [قهوة]

[أرفة] في [قرفة]

[أل] في [قال]

[ألبي] في [قلبي]

[المرأة] في [المرقة]

وقلب القاف همزة في اللهجات العربية الحديثة يبدو أنه قديم في اللغات السامية، «فقد تحولت القاف في أعلام الفنيقية في بعض الأحيان إلى همزة، ثم سقطت كما سقطت الهمزات الأصلية في الفنيقية، فمثلا العلم الفنيق himalkart "حملقُرْت" تحول إلى "himalar" حملر»².

1- ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص 39.

2- رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، ص 11 . 12.

في ظل هذا التصور، يتهيأ لنا أن الإقرار بأن الإبدال كان متجليا في اللغة السامية، وفي الفصحى ولهجاتها قديما وحديثا، ومن اللهجات الحديثة التي تكشف فيها إبدال القاف همزة ما ذكره كانتينو بقوله: «وأما اللهجات التي صارت القاف فيها مجرد همزة تنطق بغلق رأس قسبة الرئة، فهي لهجات مدنية في أكثرها، وخاصة لهجات...بيت المقدس، وجبروت، وغزة، والإسكندرية، والقاهرة، والقسم اليهودي من مدينة الجزائر، والقسم المسلم من تلمسان، وفاس»¹.

والعلة الصوتية في هذا التطور هو أن مخرج القاف اتخذ وضعية الانتقال إلى مخرج الهمزة (الحنجرة)، وهذا التطور قديم، فقد أوردت المعاجم العربية وكتب اللغة كلمات رويت مرة بالقاف ومرة بالهمزة نحو: زنق وزناً أي ضيق بخلا، وقرم وأرم، القصر والأصر أي الحبس، وتقبض وتأبض بمعنى شدّ رجليه، وزهاق وزهاء أي قريب من ذلك.²

ب- إبدال القاف كافا:

يعد نطق القاف كافا من الظواهر الصوتية المميزة لمنطوق جيجل وسكيكدة، وأقصى شمال غرب قسنطينة، ومنطقة فرجيوة بولاية ميلة، وشمال شرق ولاية سطيف، وبعض المناطق في تلمسان مثل: منطقة السواحلية ومساردة والطرارة والغزوات، ودار يغمراسن، وتياننت وما جاورها، ومن ذلك ما نلفيه في قولهم:

[الطريك]: [الطريق]

[نكل]: [نقل]

[عبد الكادر]: [عبد القادر]

¹ - جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، 109.

² - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، الإبدال: ج2ص561.

[سوك]:[سوق]

و[كهكه] في [فهقه]، وهذه اللفظة أبدلت القاف فيها كافا في اللهجة الجزائرية عامة. وقد عرف هذا النطق في قبيلة تميم، بل أن أكثر القبائل العربية كانت تنطق القاف مجهورة أي بين القاف والكاف¹.

وقد ورد قلب القاف كافا « لقرب مخرجها في كلمات مثل (القحط والكحط)، و(القشط والكشط)، (القسط، والكشط)، وتتسبب القاف إلى قيس وتميم وأسد، والكاف إلى قريش، نحو: "وإذا السماء كسطت"، وقرأ ابن مسعود " كان مزاجها قافورا"²، وقد لاحظ ابن خلدون هذه الظاهرة الصوتية فقال: « وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل، بل هي متوارثة متعاقبة فيهم، ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين، ولعلها لغة النبي (ص) بعينها»³.

ج- إبدالها جيما مصرية (حرف g في الفرنسية):

تنطق القاف في بعض المناطق من الجزائر نطقا يشبه الجيم القاهرية، ولعل سبب ذلك راجع إلى معظم القبائل التي عاشت في المغرب. وكانت من القبائل الحجازية التي هاجرت في القرن الخامس إلى تلك البلاد، وجاءت بنطق خاص للقاف، ولذلك نرجح أن نطق القاف كالجيم القاهرية قديم، وربما كان شائعا بين معظم القبائل الحجازية أيام النبي صلى الله عليه وسلم»⁴. ومن ذلك: [قال]، [قسم]، [فاسي]، [وقف]، [قرب].

وقد علل الطيب البكوش لهذه الظاهرة بقوله: " قد يكون في النطق القديم شبيها بالقاف (الثلاثية) وهي تقريبا قاف البدو أو جيم مصر، فنحن نلاحظ أن البدو وهم أكثر

1- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، ص 463.

2- ينظر، الزمخشري (محمود بن عمرو بن أحمد، ت 538)، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ، ج3/ص254.

3- ابن خلدون، المقدمة، ص 1076.

4- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 86.

قرباً من النطق القديم يستعملون القاف بثلاثة نقاط حيث يستعمل أهل المدن والحواسر القاف¹».

نطقها كما هي في النطق الفصيح:

إن هذا الوضع النطقي شائع جداً في لهجة العاصمة، والمناطق المجاورة لها، وهو من السمات الصوتية المميزة لهذه اللهجة، فهم ينطقون القاف قافاً بدون تغيير، ومثل هذا قولهم: قالي، التريق، قبالة، السوق، قلبي، رقد. والمتتبع لصوت القاف يلحظ أنه تعرض لتغيرات كثيرة، إن على المستوى الزمني أو المكاني، إذ نتج عن اختلاف نطق القاف تواجد صيغ مزدوجة، وأزواج من المفردات يكون في إحداها /قاف/ وأخرى /قافا/ ويختلف معناهما، ومثل ذلك في اللهجة المدروسة ما يلي:

بقرة (الحيوان المعروف)، وبقرة السورة القرآنية.

[شرف] (من الشرق)، وشرق (الحج)

[قلب] (تقياً)، وقلب (قلب)

[بقي] (هزل)، وبقي من (بقي)

[قدر] (قوي وسمين)، وقدر من (قدر)

[ورقة] (ورقة الشجرة)، وورقة (ورقة الكتابة)

[قبة] (قبة)، وقبة (مقصورة)

د - **تبدل القاف عينا في: معدنوس وأصلها بقدونوس.**

1- الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط1987، 2، ص 42.

إبدال الكاف شيئا:

إن هذا الوضع الإبدالي للكاف، يرتد في أصله إلى بعض اللهجات العربية القديمة المعروفة بالكشكشة، ومازالت بقاياها في بعض اللهجات العربية الحديثة. ولاسيما عند البدو، وقد يرجع وجودها في اللهجات الجزائرية إلى دخول الفاتحين العرب هذه المناطق وبخاصة الهلاليين الذين استقروا في الشمال القسنطيني منذ القرن الخامس الهجري.

وإن كانت الكشكشة تنحو صوب إبدال كاف الخطاب شيئا للمؤنث خاصة أو زيادة الشين بعد الكاف المكسورة في الوقف نحو "أكرمكش" ، فإن الكاف في اللهجة تبدل عند بعض الناس تاء وشينا "تش"/tch/ والمرجح أنها ليست ناتجة عن تأثير خارجي، وإنما هي من بقايا ظاهرة الكشكشة التي طرأ عليها نوع من التغيير مع مرور الزمن¹.

ويتضح هذا النوع من الإبدال جليا في لهجة بعض المناطق من جيجل وسكيكدة وقسنطينة وسطيف والغزوات والسواحلية، وبعض تلمسان نحو قولهم:

[باباتش] في باباك

[نتاعتش] في متاعك

[التشوسي] في الكرسي

[شتشارة] في [شكارة] (كيس)

[الشبتشة] في الشبكة

[التشمون] في الشمون

وهذه الظاهرة اللغوية سمعت عن العرب القدامى من قبائل اليمن، وتغلب وقضاة، وقد وصفوها بالشنشة والمراد بها جعل الكاف شيئا، سواء أكانت أصلية أم زائدة للمذكر والمؤنث.

1- ينظر: بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص 42.

وفي سياق آخر، يتجه المحدثون إلى كونها صوتا مركبا من التاء والشين (تش)¹/tch/، إلا أن الاختلاف قائم بين القدماء والمحدثين في تسويغ ظاهرة الكشكشة من الناحية الصوتية، فلئن كان القدماء يتعاملون مع الكشكشة بوصفها حذف علامة الكسر للكاف الدالة على التأنيث في حالة الوقف، قصد التمييز بين المؤنث والمذكر، فإن المحدثين عمدوا إلى توصيف هذه التقنية الصوتية (الكشكشة) في ظل "قانون الأصوات الحنكي"، فقد كان من نتاج مقارنة اللغة السنسكريتية باللغة اليونانية واللاتينية، صياغة معالم قانون الأصوات الحنكي²، والذي ينهض على أساس أن الحركات تجذب مخرج الكاف إلى الأمام، فتخرج من وسط الحنك بدلا من الخروج من أقصاه، ووسط الحنك هو مخرج الجيم والشين والياء، فتتطق الكاف في هذه الحالة صوتا بين هذه الأصوات الثلاثة.

إبدال الشين سينا:

وذلك نحو قولهم:

[السمش] في الشمس

[سجاع] في شجاع

[سجرة] في شجرة

[سخص] في شخص

وبالتساند مع هذا المعطى، ألفينا تحقق ظاهرة صوتية نادرة نوعا ما، تكمن في إبدال صوت الشين زيا، وهذا في لهجة ورقلة وتقرت وبسكرة ووادي سوف، وهو ما يتبدى في

1- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص 167.

2- ينظر، إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 129.

قولهم على سبيل التمثيل لا الحصر: الشمس زُرُقْتُ وهم يريدون الشمس أشرقت، وكان هذا الإبدال بهدف التسهيل في النطق، وتحقيق الانسجام الصوتي.

إبدال اللام نونا: كقولهم:

[جبرين] في جبريل

[عزرين] في عزرائيل

[إسماعين] في إسماعيل

[سنسلة] في سلسلة

[والزئزلة] في الزلزلة

[الطحان] في الطحال

ولاشك أن التجانس بين صوتي اللام والنون على الصعيدين الفيزيولوجي والفيزيائي، مسوغ من مسوغات إبدالهما في اللهجة المدروسة، وقد نسب الفراء هذا النوع من الإبدال إلى بني أسد، إذ نلفيهم يبدلون اللام نونا في: إسماعين على سبيل التمثيل لا الحصر. وفي ذلك يقول الفراء مستشهدا ببيت من الشعر « وأنشدني بعض بني نمير لضب صاده بعضهم:

يقول أهل السوق لَمَّا جينا هذا وربّ البيت إسرائيْنَا»¹.

ويؤكد أبو حيان الأندلسي نسبة هذه اللهجة إلى بني أسد، إذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿من كان عدوا لجبريل﴾²، « وفي جبريل ثلاث عشرة لغة ذكر منها جبرين، وجبرين في لغة بني أسد»¹. وبخلاف ذلك قد تبدل النون لاما، مثل:

1- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد، ت207)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح الشلبي، دار المصرية للتأليف، ط1، دت، ج2/ص391.

2- سورة البقرة، الآية 97.

[فنجال] في فنجان

[غلم] في غنم

[دنجال] في باضنجان

ويقرأ بعض العوام قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فيقول: (ألعمت) باللام، وعلّة ذلك تغير مجرى النون إلى الفم طلباً للمخالفة بين الصوتين المتحدّين في المجرى، فالصوت الفموي المناظر للنون هو اللام². وقد أحصى أبو الطيب اللغوي في إبداله كلمات كثيرة تتأوّهت فيها اللام والنون، مثل هتلت السماء وهتنت، وأشد سوادا من حلك الغراب وحنك الغراب، وعنوان الكتاب وعلوانه، وخامل وخامن³.

وفي هذا السياق أشار ابن السكيت إلى نماذج تمثيلية متعددة، تتأوّهت فيها هذان الصوتان، مثل السدول والسدون، لقيته أصيلا وأصيلا، وإسماعيل وإسماعين⁴.

وقد ألفينا هذا الوضع الإبدالي يتحقق في مناطق ضيقة من جبل تنحصر في قرية عجنق، وأولاد علي، والشوف، وأشبو، وتاندور، إذ يستبدل سكانها اللام بالنون، وصوت النون باللام مطلقا في كلامهم، مثل إبدالهم:

[إنسال] في إنسان.

[انبل] في اللبن.

[مليون] في مليون

[ضارلي] في ضارني

1- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993، ج1/317.

2- ينظر: عبد العزيز مطر، لهجة البدو في إقليم الساحل الشمالي، ص76.

3- ينظر: أبو الطيب اللغوي، لحن العامة، ص229.

4- ينظر: ابن السكيت، الإبدال، ص60 وما بعدها.

كما يحدث تبادل بين الميم والنون في بعض الكلمات مثل:

"فاطمة" فتتطق في اللهجة "فاطنة"

[خمم] " في خمن "

ويقولون [نتاعي] في متاعي

ومردّ هذا أن الميم مخرجه شفوي أنفي، أما النون أسناني لثوي أنفي، ومنه فهما يشتركان في كونهما من مجرى أنفي، ولهذا اتجه صوت الميم نحو مجرى الفم طلبا للتسهيل في النطق، ومنه امتثل لقانون التباعد.

الياء: الملاحظ أن اللهجة أبدلت الياء جيما في " جربوع" والفصيح منه " يربوع".

إبدال النون ميما:

ويتم هذا الإبدال إذا كانت الميم ساكنة متبوعة بصوت الباء، وهو كثير في

اللهجة، ومثل ذلك:

[عمبر] (عنبر)

[عمبة] في (عنبة)

[ممبعد] في (من بعد)

[ذمبي] في ذنبي

[جمبي] في جنبي

[دجمبر] في (دجنبر).

ولئن تعقبنا ملامح هذا الإبدال في التراث العربي، لوجدناه متجسدا في نماذج كثيرة، نذكر منها ما جاء في اللسان: « يقال أسود قاتم وقاتن، أي حالك، والقتام: الغبار، وروي أيضا القتام بالنون، والقمعة أعلى سنام البعير أو الناقة، وكذلك القنعة، ونقول، وما

يقانيني وما يقاميني هذا الشيء، أي ما يوافيني، والكرزم والكرزم: الفأس المغلولة الحد، وذكر الخطيب الإسكافي أن الكرزين: فأس يقطع بها الشجر، والكرزم: الفأس الكبيرة»¹.

ونخلص من هذه النماذج التي تسنى لنا من خلالها الوقوف على مظاهر الإبدال الصوتي في المنطوق الجزائري، أن الهدف من الإبدال هو تسهيل النطق وسرعة الأداء، وأنه قد خالف في بعض تجلياته معايير تحققه في العربية الفصحى.

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (قتم)، 446/12، و(قمع)، 294/8، و(قنا)، 205/15، و(كرزم)، 516/12.

6- القلب المكاني:

يتأتى القلب المكاني بتقديم « أو تأخير أحد حروف الكلمة الواحدة مع حفظ معناه... وليس للقلب صورة محددة، بل يكون تارة بتقديم اللام على العين، أو بتقديم العين على الفاء، أو بتأخير الفاء على اللام»¹، يقول ابن فارس في ذلك: «من سنن العرب القلب، وذلك يكون في القصة وفي الكلمة»²، ومن أمثلة تحققه في اللهجة:

[ينعل]: أصلها في اللغة العربية الفصحى يلعن، حدث قلب بين اللام والنون.

[عمايا]: أصلها معاي، حدث قلب بين الميم والعين، ويظهر هذا النوع من القلب في بعض مناطق الغرب الجزائري، مثل وهران، وتلمسان.

[واجبه]: من (جاوبه) حدث فيها قلب بين الواو والجيم.

[السداجة]: ويقصدون السجادة حدث قلب بين الجيم والذال.

[السمش]: وأصلها الشمس، هناك قلب بين السين والجيم.

[الزناجة]: قلب بين الزاي والجيم.

[يتملو]: أصلها يلتمو: القلب هنا بين التاء واللام.

[يقضب]: أصلها يقبض، حدث قلب بين الظاء والباء، ويلاحظ هذا القلب جليا في منطوق سكان الغرب الجزائري (وهران خاصة).

[متخبي]: هي في الفصحى مختبئ، قلب بين التاء والخاء.

[العزوج]: وأصلها العجوز، قلب بين العين والجيم، ويتضح هذا القلب في منطوق أهل الصحراء الجزائرية.

[النول]: من اللون وتجمع على نولات، جاء القلب بين الواو والنون.

[الرؤل] (الوراء) في اللؤلؤ حدث قلب بين الواو والراء.

1- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج2/ص647.

2- السيوطي، المزهر، ج1/ص476.

[يزج]: والأصل فيها يجز، القلب فيها بين الجيم والزاي

[الجفمة]: وهي منقلبة عن اللفظة الفصيحة "الغمجة" وهي الجرعة. نقول غمج الماء أي جرحه جرحاً متتابعاً.

[تصنت]: من أنصت، والقلب في هذا الموضع حدث بين الصاد والنون.

[ماسط]: في سامط وسمع هذا في لهجة واد سوف.

[فصص]: في اللهجة بمعنى ضغط على الشيء بقوة، والأصل فيها "فصع" أي عصرها، وجاء في اللسان: "فصع الرطبة يفصعها فصعاً، أي أخذها بإصبعه فعصرها حتى تنقشر"¹.

وظاهرة القلب ليست شائعة في اللهجات العربية الحديثة، إذ ما انفكت تمارس حضورها في العربية الفصحى واللغات السامية، « إذ يمكن إرجاع وجود القلب في اللغة ولهجاتها إلى الميل إلى التخفيف والتسهيل، وكذلك إلى الاختلافات الإقليمية واللغوية حتى بين الشعب الواحد، دون إغفال خطأ الأجيال والتوهم السمعي في وجود ذلك»².

ومن أمثلة القلب في لهجات العرب قول اليازدي: « الحجاز تقول: لعمرى، وتميم تقول: رعملي»³. وجاء في اللسان عن اللحياني أن « عثى لغة أهل الحجاز، وهي الوجه، وعاث لغة تميم، وفي حديث الدجال: فعاث يمينا وشمالاً»⁴.

1- ابن منظور، لسان العرب، ج8/ص454.

2- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج2/ص653.

3- السيوطي، المزهرة، ج1/ص481.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة "عثى"، ج10/ص38.

7- الحذف:

تعتبر ظاهرة الحذف من السمات البارزة في اللغة العربية ولهجاتها.

مفهوم الحذف:

لغة:

جاء في معجم الوسيط بأن الحذف: « هو حذف الشيء حذفاً: قطعه من طرفه، وحذف الحجاج الشعر وأسقطه، ويقال: حذف الخطيب الكلام: هذبه وصفاه»¹.

اصطلاحاً:

يعد الحذف بحسب التحديد الاصطلاحي « ظاهرة تشيع في لغة العرب، وتهدف في كل مواقعها إلى التخفيف، وقد وقع الحذف في الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة»².

ومن فالحذف، هو إسقاط صوت من أصوات الكلمة سواء في اللفظة أو في الجملة دون حدوث غموض في المعنى.

الحذف في اللهجة:

يتحقق الحذف في المنطوق الجزائري، عبر مظاهر كثيرة، ومواقع متعددة سواء في الأسماء أم في الأفعال أم التراكيب، ويحدث الحذف في المنطوق نتيجة لسرعة الأداء اللغوي، حيث يتم حذف أحد الأصوات من الكلمة، والاستغناء عنها إما لثقلها، أو لأن الكلام مفهوم من دونه، فهو يعتبر من مظاهر الاقتصاد في الجهد العضلي، ومن بين ما جاء من الحذف في اللهجات الجزائرية:

1- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة "ح ذ ف"، ص 162.

2- محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص 62.

[ذلوك]: أصلها "هذا الوقت"، حذفت هاء التنبيه من هذا، والتاء من كلمة الوقت.

[نص]: في النصف حذفت الفاء

الأعداد المركبة: من أحد عشر إلى تسعة عشر، يحذف صوتي العين والراء، فيقولون: حداش، ثناش، تلتاش... خلافا لبعض المناطق، وخاصة الصحراوية التي تحذف الراء فقط فيقولون: ثناعش، تلتاعش.

النداء: تحذف بعض أواخر الكلمات أثناء النداء مثل:

[آمو] أو [آموح] في (محمد).

[آبلقا] في (بلقاسم)

[عبدق] أو [دق] في (عبد القادر)

حذف الكلمات المنتهية بالهمزة سواء أكانت أسماء أم أفعالا، مثل:

[نشاله]: في إن شاء الله.

[ماكانش]: في ما كائن شيء.

[جا]: في جاء.

[كيسموك]: في كيف اسمك.

[الشي]: الشيء.

[جاب]: جاء بكذا.

[يجي]: في يجيء.

[بزاف]: وأصلها بجزاف حذفت الجيم لتيسير النطق.

حذف نون (من)، ولام وألف (على)، وياء (في)، إذا دخلت هذه الحروف على المعرف "بأل"، مثل:

[جامسوق]: جاء من السوق.

[حط عطابلة]: ضعها على الطاولة.

[راها فلخزانة]: هي في الخزانة.

[محمد فدار]: محمد في الدار.

ملهيته: من هناك.

حذف ضمير المفرد الغائب الواقع مفعولا به، وذلك في مناطق الوسط والجنوب، فيقولون:

[ضَرَبُ] في [ضَرَبُهُ].

[حَكَمْتُ] في [حَكْمَتُهُ].

[خَرَجُوا] في [أَخْرَجَهُ].

[عَطَالُوا] في [أَعْطَى لَهُ].

بينما نجد هذا الضمير متحققا في لهجات بعض مناطق الغرب الجزائري، مثل:

وهران، وتلمسان، وسيدي بلعباس، ومعسكر... حيث يقولون:

[سَمِعْتُهُ] في [سَمِعْتُهُ].

[كَلَيْتَهُ] في [أَكَلْتُهُ].

[جَبْتَهُ] في [جَبْتُ بِهِ].

حذف واو الشرطية في "لو كان" فيقولون "كان تجي نروح معاك".

حذف نون الجمع في مثل قولهم:

[يُروحو] في [يُروحوون].

[يأكلو] في [يأكلون].

[يُشرو] في [يُشترُون].

وهناك مناطق في الصحراء لا زالت تجمع المؤنث مثله في الفصحى بالنون

فيقولون: خرجن، رحن، شربن، دخلن. مثل: واد سوف، وبشار.

حذف الدال من كلمة دجاج فصارت [[الجاج]].

حذف الفاء من فعل الأمر [شوف] فيقولون [شو].

حذف الهمزة في بعض الكلمات إذا كانت بعد "أل" التعريفية القمرية، ويبقى حرف اللام

من "أل" قبلها ساكنا في نحو:

[أحد]: [الأحد].

[أعشا]: [العشاء].

[أغدا]: [الغداء].

وأما إذا كانت بعد أ التعريفية حروف شمسية فتحذف "ال" كلها همزة ولاما، نحو:

[سُما]: [السماء].

[شُهر]: [الشهر].

حذف الصوائت (الحركات): غلب على اللهجة الجزائرية حذف الحركة والابتداء بساكن

والوقوف عليه، ومن نماذجه قولهم:

[خُرَج] في [خَرَج]

[كَبُر] في [كَبِر]

[عَلِي] في [عَلِي]

والأمثلة كثيرة في هذا السياق لا تكاد تعد، مما شكل ظاهرة تغاير نسق العربية، إذ

ليس من نسق العربية الابتداء بساكن، بينما يسقط أهل اللهجة المدروسة بعض الأصوات

من الكلمة طلبا للتخفيف، والسرعة في الوصول إلى أغراضهم بأقل جهد.

وظاهرة حذف الحركة حضور في العربية الفصيحة، فهي « ظاهرة تتلاءم وتميم

البدوية، حيث أنهم يميلون إلى السرعة في النطق الذي ينتهي بهم إلى الاقتصاد في الجهد

العضلي، وهو ما يهدف إليه البدوي، بعكس الحجاز المتحضرة التي تهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان»¹.

والمطلع على كتب التراث يلحظ أن الحذف ظاهرة صوتية عرفها العرب قديما، حيث ذكر القدماء « في معايب اللخاخانية في لهجة الشحر وعمان، أنهم قد مالوا إلى حذف بعض الأصوات، فكانوا يقولون في "ماشاء الله": مشالله...وروي أن قبيلتي خثعم وزبيد من قبائل اليمن، كانوا يميلون إلى حذف نون "من" الجارة إذا وليها ساكن فيقولون "خرجت ملمسجد"، كما روي أن بعضا من ربيعة كانوا يسقطون نون " اللذين" و"اللتين»².

8-الزيادة:

لغة:

يتجه مصطلح الزيادة إلى تمثل دلالة « النمو الذي هو خلاف النقص»³.

اصطلاحا:

هي « إلحاق اللفظ ما ليس منه بإضافة صوت أو أكثر عليه لتغيير معنى أو

لضرب من التوسع»⁴.

1- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، ص 246.

2- ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 107.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (زيد)، ج 7/ص 86.

4- ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، ص 101.

ومن الحالات التي انعكست فيها ملامح الزيادة في اللهجة الجزائرية، ما يلي:

زيادة الهمزة في أول الكلمة:

ومن أمثله:

[مُجرب] في [مُجرب]

[أقلوب] في [أقلوب]

[أنزلت] في [أنزلت]

[يُموت] في [يُموت]

[اتزوج] في [اتزوج]

[أتوكل] في [أتوكل]

ويتضح من خلال النماذج المدرجة أن أهل اللهجة موضوع الدراسة يجعلون همزة الوصل في أول الكلمة من أجل تسهيل اللفظ، حيث فضلوا البدء بالساكن، على خلاف مما هي عليه اللغة العربية الفصيحة التي لا تبدأ بساكن، وهذا ما أدى باللهجة إلى انحرافها بالمقطع الأول من المقطع القصير المفتوح إلى مقطع همزة الوصل. نحو:

مُحَمَّل /مُ /- /أخ م /- /م ل / / /ص ح /- /ص ح ص /.

امحَمَل /ام /- /أخ م /- /م ل / / /ص ح ص /- /ص ح ص /.

ويرى تمام حسان أن رمز « (ص) » وهو المقطع الأقصر الذي يمثل حرفا صحيحا مشكلا بالسكون، مثل لام التعريف وسين الاستفعال، ولا بد في هذا الحرف الذي يكون كاملا، وأن يكون مشكلا بالسكون متلوا بحرف متحرك، وأن يكون في بداية الكلمة حتى يصدق عليه أنه حين يمتنع الابتداء به تسبقه همزة الوصل»¹. بينما ذهب كمال بشر في تعليقه الصوتي للابتداء بهذه الهمزة أن « هذا الصوت الذي يظهر في أول "اضرب" »

1- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 69.

و " استخرج" ... والذي يرمز إليه بالألف في الكتابة ليس همزة فيما نعتقد، إنه . على فرض وقوعه . نوع من التحريك الذي يسهل عملية النطق بالساكن»¹.

زيادة الواو في اسم المفعول المشتق من الثلاثي معتل العين اليائي:

وورد هذا الضرب من الزيادة في لهجة الجزائريين وذلك في نحو:

الكلمة قبل الزيادة	الكلمة بعد زيادة الواو
مدين	مديون
مزيد	مزيود
بحد السيف	مسيوف
مهيب	مهيوب
مبيع	مبيوع

ونستدل في هذا من كلام العرب ما ذكره ابن جني في هذه الظاهرة، حيث نسبها إلى بني تميم، فقال: « ومن ذلك اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين نحو مبيع، ومخيوط، ورجل مدين من الدين، فهذا كله مغير، وأصله مبيوع، ومديون، ومخيوط، فغير على ما مضى، ومع ذلك فبنو تميم على ما حكاه أبو عثمان عن الأصمعي بأنهم يتممون مفعولا من الياء، فيقولون: مخيوط، ومكيول»².

1- كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة، ط 1998، ص 23.

2- ابن جني، الخصائص، ج1/ص260.

زيادة الشين في آخر النفي:

وأصل هذه الشين هو "شيء" اعتراها حذف لكثرة ورودها في الكلام وطلباً للخفة

واليسر في النطق، ثم ألحقت بكل عبارة للنفي في كلام الجزائريين، وذلك نحو قولهم:

[ما] [رحتش] في ما رحت.

[ما] [كملتش] في لم أكمل.

[ما] و[صلتتش] في لم أصل.

زيادة حرف مد في فعل الأمر:

مثل قولهم: طير في طر، قول في قل، كول في كل، زيد في زد، روح في رح.

زيادة بعض السوابق واللواحق:

مثل زيادة السابقة "ح" في المنطوق التلمساني مثل قولهم:

[حالمرة] في المرأة.

[حالطفل] في الطفل

[حالعزوز] في العجوز

زيادة السابقة "ك" في منطوق أهل جيجل وما جاورها: فيقولون:

[كتشرب] في تشرب

[كتكمل] في تكمل

[كتروح] في تروح

[كتصور] في تصور

اللاحقة "ما"، وذلك في منطوق أهل معسكر يصاحبها تنغيم خاص، مثل قولهم:

[رحت] [ما] في رحت.

[كليت] [ما] في أكلت

[شفت] [ما] في شفت

[جيت] [ما] في جئت

[عندي] [ما] في عندي.

اللاحقة "خ" في كلام سكان شلف فيقولون:

[هاروح] [خ] في روح،

[جيت] [خ] في جئت.

[عندك] [خ] في عندك.

[مرضت] [خ] في مرضت.

اللاحقة "ه" في منطوق أصحاب الغرب الجزائري، وهران، معسكر، سيدي بلعباس، ويتجلى ذلك في قولهم: قتله، عطيته، شريته، شفته.

9- الإدغام:

لغة: «إدخال شيء في شيء، يقال أدغمت اللجام في فم الفرس، أي: أدخلته في فيه»¹.

اصطلاحا: «خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين، فيصيران حرفا واحدا مشددا، ينبو اللسان بهما نبوة واحدة»² ونوعان: صغير وكبير.

الإدغام الكبير: هو إدخال حرف متحرك في حرف متحرك، نحو قوله تعالى: ﴿الرحيم، ملك﴾³. فتدغم الميم في مثلها لتقرأ: ﴿الرحيمَلِك﴾، مع إشباع المد لأجل الساكنين⁴. وقد انفرد به عمرو البصري من القراء.

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج4/ص395.

2- إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم، سوريا، ط1، 2001، ص20.

3- سورة الفاتحة، الآية: 3 - 4.

4- الشاطبي القاسم بن فيرة، حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، ضبط وتحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط2004، ص4، 10.

قال ابن الجزري: «وسمي كبيرا لكثرة وقوعه، إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه، وقيل لما فيه من الصعوبة»¹.

الإدغام الصغير:

يتجلى الإدغام الصغير على نحو يلتقي فيه «حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصير الحرفان حرفا واحدا مشددا، يرتفع بهما ارتفاعا واحدة. وفائدة الإدغام تخفيف اللفظ لنقل النطق بالحرفين المتتبعين في المخرج أو المتقاربين، حتى شبه النحويون النطق بهما بمشي المقيد يرفع رجلا ثم يعيدها إلى موضعها أو قريب منه»²، لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج بعينه ليلفظ بحرف آخر مثله وجد صعوبة في النطق.

ومن بين الظواهر التي حدث فيها التماثل بين أصوات اللهجة، فأدى إلى فناء أحد الصوتين المتجاورين في الآخر ما يأتي:

إدغام التاء في الدال:

وَأَش دِير في: واش تدير (ماذا تعمل).

قعت فدار: قعدت في الدار.

ما حصت في: ما حصدتش.

رفت في: رفدت (حملت)

ومرد الإدغام الذي تحقق في النماذج المثبتة أعلاه، أن التاء الساكنة جاورت الدال، فتأثرت بها فانتقلت من الهمس إلى الجهر فنطقت دالا، فاجتمع دالان، ساكن

1- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1/ 254.

2- العبكري أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: عبد الإله النبهان، دمشق، دار الفكر، ط: 1، 1995، ج1/ص390.

ومتحرك فأدغم الأول في الثاني، ونطقهما صوتا واحدا هو ما يعرف في القوانين الصوتية بالتأثر الرجعي أو المدبر¹.

إدغام الضاد في التاء :

[مَرَّتْ] في [مرضت].

[عَرَّتْ] في [عَرَضت].

ومن خلال الأمثلة نلاحظ أن الضاد الساكنة جاورت التاء وكلاهما يندرجان ضمن المخرج الأسناني اللثوي، وهو ما دفع إلى تأثر الضاد بالتاء فهمست مثلها ونطقت تاء، ومن ثم أصبح لدينا صوتان متماثلان فني أحدهما في الآخر، فنطقا صوتا واحدا توخيا للسهولة واقتصادا للجهد العضلي.

إدغام التاء في الطاء :

[مَآخَلَّتْشْ] في [مَآخَلَطَّتْشْ]

[طَلَّ الشمس] في [تَطَلَّ الشمس].

[فَرت] في [فَرتط]

ويمكن تفسير هذا النوع من الإدغام بأن صوتي التاء والطاء إذا تجاوزا وكان الأول ساكنا والثاني متحركا يقلب أحدهما إلى الآخر، ويفنى فيه لاتحادهما في المخرج والصفة، فكل منهما لثوي شديد مهموس، فيما عدا الإطباق والاستعلاء في الطاء والاستفال والترقيق في التاء².

1- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص178.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص193، وأحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، ج1/ص293.

وقد ذكر سيبويه أن: « العرب تقول: عدُّه بدل عدته، ونقده بدل نقدته»¹. وفي هذا تأثرت التاء بالبدال فقلبت إليها وأدغم الحرفان وهو ما يسمى بالتأثر التقدمي أو المقبل، لأن الثاني تأثر بالأول.

إدغام التاء في الزاي:

[مزوج] في [متزوج].

[ولازينة] (أصبحت جميلة) في [ولات زينة].

إدغام التاء في الشين:

[نشاور] في [ننشاور].

[مادارشي] في [مادارثشيء].

وإضافة إلى ذلك تدغم التاء في عدة أصوات أخرى مثل: /ث/، /ج/، /ش/، /ص/، /ز/، والملاحظ أن معظم الأصوات التي أدغمت فيها التاء متقاربة فيما بينها مخرجا وصفة، مما أدى إلى جواز إدغامها فيها والعكس، باستثناء حروف الصفير التي يدغم فيها غيرها، ولا تدغم هي في هذه الحروف، لأنها أندى في السمع لما فيها من صفة الصفير².

إدغام اللام:

يعد اللام صوتا كثير الشيوع في اللغة العربية، وذلك ما يجعله أكثر عرضة للتغير والتأثر بمجاورته للأصوات الأخرى، « وميله إلى الفناء في معظم أصوات اللغة»³. ومن أمثله:

1- سيبويه، الكتاب، ج4/ص472.

2- ينظر: المصدر نفسه، ج4/ص464.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص201.

إدغام اللام في النون:

[شعنار] في [شعل نار].

[جبيونا] في [جبيولنا].

ومسوغ هذا النوع من الإدغام، يكمن في أن التقاء اللام الساكنة بالنون المتحركة مع تقاربهما في المخرج والتوسط بين الشدة والرخاوة، فقلبت اللام ميما فيها، « كما يتبادل هذان الصوتان فيما بينهما في بعض اللهجات العربية قديمها وحديثها»¹.

إدغام اللام في الراء:

[الراجراح] في [الرجل راح].

[الخبّراه فوق] في [الجل راه فوق].

[خيلك] في [خير لك].

وعرفت هذه الظاهرة في الكتب النحوية القديمة، كما تعرّضت لها كتب القراءات مدلّلة لهذه الظاهرة بآيات من القرآن الكريم مثل: ﴿كلا بل ران﴾، تقرأ عند من يدغمون "كلا بران"، وهل رأيت تنطق "هرأيت" إلا أن أهل الحجاز لا يدغمون، وهي عربية جائزة، لكن الإدغام أحسن لأن الراء أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها، فصارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد². ولأن اللام كثيرة الشبوح في اللغة العربية، ما يجعلها أكثر الأصوات إدغاما في غيرها، فقد ذكر القدماء أنها تدغم في ثلاثة عشر صوتا لكثرة موافقتها لهذه الأصوات في المخرج، لكن كلامهم منصب عموما على لام المعرفة وكذلك لام "هل وبل"، فإنه يجوز إدغامها في هذه الأصوات، لكن بتفاوت فيما بينها من حيث استحسان الإدغام وعدمه³.

1- بلقاسم بلعرج، الداريجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص86.

2- ينظر: سيبويه، الكتاب، 457/4.

3- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص201.

إدغام القاف في الكاف والعكس:

[الفوكاين] في [الفوق كاين].

[ربي خلكم] في [ربي خالقكم].

[كي يجيقوله] في [كي يجيك قولو] أي (عندما يأتيك قل له).

وسبب إدغام هذين الصوتين قرب مخرجيهما، كما أنهما من أصوات اللسان

ومتفقان من حيث الشدة.

إدغام نون "ابن" و"من":

[يرابح] في [بن رابح].

[بمحمد] في [بن محمد].

إدغام نون "من" في ما بعدها مثل:

[ملخدمة] في [من الخدمة].

[ملعين] في [من العين].

وتجدر الإشارة إلى أن النون قليلة الإدغام في غيرها من الأصوات

باستثناء "يرملون" فإنها تدغم فيها وجوبا ويستحسن بقاء الغنة في الواو والياء وذهابها مع

اللام والراء¹.

إدغام الجيم في الشين والعكس: ومن أمثله في اللهجة :

[ماتخرش] في [ما تخرجش].

[باجا] في [باش جا].

[ماوجارك] في [ماوش جارك].

[ماهوجاي] في [ماهوش جاي].

1- ينظر: المبرد، المقتضب، ج1/ص209.

[كي خرشاف صحابه] في [كي خرج شاف أصحابه].

وسبب الإدغام في هذه الأمثلة اشتراك الصوتين في المخرج وتأثرهما ببعضهما البعض. وخلافا لذلك فإن الشين لا تدغم في الجيم « لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء، فصارت منزلتها منها نحو من منزلة الفاء مع الباء، فاجتمع هذا فيها والتنفسي فكرهوا أن يدغموها في الجيم»¹.

إدغام الغين في الهاء:

[تسبغاً] في [تصبغها].

[فرغاً] في [فرغها].

وتفسير ذلك أن الغين مسكنة جاورت الهاء متحركة، فصعب نطق الغين ثم الهاء

لأن هذه الأخيرة أثقل وأنزل في الحلق، فقلبت إلى الأخف منها فتماثلتا فأدغمتا.

إدغام العين والهاء: في مثل قولهم:

[نتاعم] في [نتاعهم].

[يصرعاً] في [يصرعها].

إدغام الحاء والعين:

[يلوغليه] في [يلوح عليه].

[ضبعلينا] في [ضبح علينا].

[افتعينيك] في [افتح عينيك].

إدغام الحاء والخاء:

[بصخببرني] في [بصح خبرني].

[افتخير] في [افتح خير].

1- سيوييه، الكتاب، ج4/ص448.

إدغام الحاء في الهاء :

[الله لا يربحا] في [الله لا يربحها].

[وينرايحادا] في [وين رايح هذا].

الهاء مع العين :

[ضربوعلى راسو] في [ضربوه على رأسه].

[عاهتك] في [عاهدتك].

والملاحظ من الأمثلة السابقة أن الهاء لا يدغم فيها أي صوت، لأنها من بين الأصوات الأنزل مخرجا، ولهذا تتحول دائما إلى الصوت الذي يليها في المخرج، يقول ابن عصفور: « وأما الهاء فليس لها من مخرجها ما يدغم فيها وتدغم فيه لأنها من مخرج الألف والهمزة، فلم يبق لها ما تدغم فيه إلا من المخرج الذي يلي مخرجها»¹.

الإدغام بين صوتين متتاليين متماثلين :

ويكون في الكلمة الواحدة، مثل: النّية، غنى، تشلّل، قالو، يعمرّ، دمك، يكمل.

ويكون في كلمتين متتاليتين مثل:

/الباء/:

[الحرّيباتهم] في [الحرب بينهم].

[ركّبناؤو] في [ركّب بناتو].

/الجيم/:

[زوّجات] في [زوج جبات أي جبتان].

[الحاجّا] في [الحاج جا].

/الحاء/:

1- ابن عصفور، الممتع في التصريف، ج2/ص679.

[راخاير] في [راخ حاير].

ومنه فإن الصوتين إذا كانا متماثلين سواء في كلمة أم في كلمتين، وكان أولهما مسكنا أدغما وجوبا، وإن كان الأول متحركا سکن وأدغم في الثاني، ليرفع اللسان عنهما رفعة واحدة.

10- التركيب المقطعي:

تتمايز اللغات فيما بينها من حيث النظام المقطعي، فلكل لغة من لغات العالم نظامها مقطعي الذي تتميز به عن غيرها، والتي تتحدد من خلاله الخصائص البنيوية لنسيج كلماتها، ومن الواضح أن هذا الاختلاف شكل عائقا أمام الباحثين في تحديد مفهوم واحد للمقطع الصوتي، فاختلفت تعريفاتهم له حسب اختلاف نظام كل لغة.

10-1- المقطع الصوتي:

لغة:

جاء في لسان العرب، مادة قطع أنه «إبانة بعض أجزاء الحرم من بعض فصلا قطعه، وقطعه قطعا وقطيعة وقطوعا، القطع مصدر قطعت الحبل فانقطع»¹.

اصطلاحا:

يرى "جان كانتينو" *J. cantineau* " بأن «المقطع الصوتي هو الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات إغلاق جهاز التصويت، سواء كان الإغلاق كاملا أو جزئيا»²، ومؤدى ذلك أن المقطع الصوتي أساسه قمة إسماع واحدة ناتجة من نبضة صدرية واحدة

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة "قطع".

2- جان كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية، ص191.

تمثل الخفقة أو الضغطة، وهي المدة الفاصلة بين وقفيتين من عمليات جهاز النطق، هذا من الناحية الفونيتيكية، أما من الناحية الفيزيولوجية نجد أن أهم تعريفات هذا الاتجاه تنطلق من اعتبار المقطع وحدة صوتية في إطار التحليل التدريجي للكلام البشري¹. ومن الذين نظروا إلى المقطع الصوتي نظرة وظيفية أبو اللسانيات الحديثة فرديناند دي سوسير *'desaussure ferdinand'* الذي عرف المقطع الصوتي بأنه «الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم (*phonème*) وظيفتها داخلها»²، أما ماريو باي فقد عرفه بقوله: «المقطع عبارة عن قمة إسماع غالبا تكون صوت علة مضافا إليه أصوات أخرى عادة»³.

10-2- المقاطع الصوتية في اللهجة:

بيّنت الدراسة أن اللهجات الجزائرية تشتمل على أنواع المقاطع الآتية:

1- مقطع مكون من ساكن غير متبوع بحركة لكنه مسبوق بحركة قصيرة جدا للتوصل إلى النطق به، وقد أشار تمام حسان إلى هذه الظاهرة، ورمزها ب/ع ص/أي علة وصحيح⁴. وذلك مثل:

/ز/ في كلمة [رَسَم].

/ج/ في كلمة [جَمَل].

/ب/ في كلمة [بَحْر].

1- ينظر: مناف مهدي محمد الموسوي، علم الأصوات اللغوي، جامعة السابع من أفريل، ليبيا، ط1، 1993، ص243.

2- أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوي، ص243.

3- منان مهدي محمد الموسوي: علم الأصوات اللغوية، ص120.

وهذا المقطع موجود بكثرة في اللهجة المدروسة، لأنها تبدأ بساكن، عكس الفصحى التي لا تبدأ إلا بمتحرك ويكون هذا المقطع في أول الكلمة.

2-مقطع مكون من ساكن + حركة طويلة مثل:

المقطع /را/ في كلمة [رايح].

و/زا/ في كلمة [لخزانة].

و/ما/ في كلمة [سَمَا].

معنى هذا أن المقطع من هذا النوع يأتي في أول الكلمة ووسطها وآخرها.

3-مقطع مكون من ساكن + ساكن + حركة + ساكن مثل:

/ضَرْبُ/، /هَرْبُ/، /كَبْرُ/، /خُرْجُ/، /بِحَزْ/، /تَمَرُ/.

وهذا النوع من المقاطع غير معروف في اللغة العربية التي لا تبدأ بساكن بخلاف

اللهجات، وهذا يعني أن معظم الكلمات الثلاثية في اللهجة تتكون منه. سواء أكانت أسماء أم أفعالا أم صفات¹.

4- مقطع مكون من ساكن + حركة + ساكن/س ح س س/مثل /غَرْبُ/، /حَبْسُ/، /مَلْحُ/.

ويأتي هذا المقطع في وسط الكلمة مثل تَرْبَطُوهُمْ /تَرْبُ/ وفي آخر الكلمة مثل

مايَحْدَمَشُ/دَمَشُ/ ولاشك أن لهذا المقطع نظير في اللغة العربية الفصحى في حالة

الوقف.

5- مقطع مكون من ساكن + حركة + ساكن /س ح س/ مثل يَلْعَبُ، فهي تتكون من

مقطعين من هذا النوع ومثال ذلك أيضا: يَطُـعَنُ، يَخُـرْتُ، يَكُـتَبُ وما شابه

ذلك.

1- ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص164.

وهو من صنف المقاطع المتوسطة المغلقة، ويأتي في أول الكلمة وفي آخرها مثل:

يَنْمَسَحَرُ فِي يَتِّ/مَسِّ/حَزِّ

6- مقطع مكون من ساكن+حركة طويلة+ساكن/س ح ح س/ مثل: /جَابِّ/، /خَافِّ/،

/شَافِّ/، /رَاخِّ/، /يُومِّ/، /لِيلِ/، /فَيْلِ/، وهو من صنف المقاطع الطويلة المغلقة.

ويأتي أولا ووسطا وأخيرا مثل: /فَاهْ/مِينْ/، /جَا/يَحِينْ/، /خَاَزْ/جِينْ/، /دَاخْ/لِينْ/.

والملاحظ أن هذه الكلمات تتكون من هذا النوع في الأول وفي الأخير.

وقد يأتي في وسطها مثل: مَتَعَارِكِينْ /عَاَزْ/، ونجد هذا المقطع في الأفعال

الجوفاء، وفي الأسماء التي تحولت حركتها الأصلية (الفتحة) إلى ضمة أو إلى كسرة

مثل: [تُومْ]، [بَيْتْ]، زَيْتْ، نُومْ، وبذلك يكون قد تحول المقطع/س ح س س/ في الفصحى

تحول في بعض اللهجات إلى /س ح ح س/ ومن هذه المناطق الجزائرية، وهران، تلمسان،

جيجل، قسنطينة، أما في بعض المناطق الداخلية والصحراوية لازلوا يبقون عليه كما هو

في الفصحى.

7- مقطع من نوع ساكن+ ساكن+ حركة طويلة /س س ح ح/ مثل سَعَى، فُتَى، وإذا كان

الأغلب فيه يأتي على شكل/س س ح/ إذا لم تمد الحركة.

ويأتي هذا النوع في أول الكلمة وفي آخرها، مثل:

[فُرَايْسْ] /فُرَا/

[عَرَايِصْ] /عَرَا/

[زُويْنَة] /زُويْ/

[هُوَايِشْ] /هُوَا/

[يِنَّاَجْرُو] /يِنَّاْ/، /جْرُو/

[يُوَالْفُو] /يُوَا/، /لْفُو/

8- مقطع مكون من ساكن + ساكن + حركة طويلة + ساكن، أي /س س ح ح س/ مثل: /مَعَاكُ/، /خَدَاكُ/، /خَجَازُ/، /كُبَازُ/، /ضَعَازُ/. وغالبا ما يكون كلمة مستقلة، كما يمكن أن يكون جزءا من كلمة مثل: مُتَعَفَّرَيْنِ /رَتَيْنِ/

9- مقطع من نوع ساكن + حركة طويلة + ساكن + ساكن + أي /س ح ح س س/ ويكون هذا في منطوق بعض اللهجات حين يطيلون حركة الفعل الماضي الأجوف المتصل بتاء الفاعل مثل:

[خُوفْتُ] في [خُفْتُ].

[وَجُوعْتُ] في [جُعْتُ].

[وَرُوحْتُ] في [رُحْتُ].

10- مقطع مكون من ساكن + حركة قصيرة /س ح/ مثل: أَنْتَ/تَ/، الْحُسَيْنُ /حُ/، جَمَالُ /جَ/.
تبعاً لهذه الانقسامات المقطعية التي تتحكم في سيرورة النسق المقطعي للهِجَة الجزائرية، يتهيأ لنا الإقرار بما يلي:

- تعدد المقاطع في الكلمة العربية الفصحى يزيد عنه في اللهجة التي يغلب عليها طابع المقاطع المغلقة، وهو ما يفسر ميلها إلى الاختصار والسرعة في الأداء وتوفير الجهد.

- يشيع فيها البدء بالمقطع المغلق، وهو ما لا تجيزه اللغة العربية حيث « لا يتوالى فيها صوتان ساكنان من دون أن يتخللهما صوت لين»¹.

- تتميز اللهجة الجزائرية بإطالتها للمقاطع. ويمكن في هذا السياق أن نستدل بتحليل مصطفي حركات الذي يرد تحول المقطع الصوتي إلى إهمال الإعراب، مما « يجعل اللغة مبنية على الثلاثية (مقطع قصير، مقطع طويل، مقطع متزايد الطول)، وهذا ما أدى

1- عبد العزيز مطر، لهجة البدو، ص 89.

بالناطقين إلى البحث عن توازن في الإيقاع قادهم إلى حذف أحد العناصر الثلاثية أو حتى حذفه لا يكون بالمساس بالمقطع الطويل أي بالمد، لأنه في كثير من الأحيان أساس الكلمة، ولا يكون بالمقطع المتزايد الطول الذي يمثل إلغاء الإعراب الذي هو سمة العامية، فذهب التحويل حتما في اتجاه حذف المقاطع القصيرة»¹.

10-3-النبر:

لغة:

جاء في لسان العرب: « النبر بالكلام: الهمز، وكل شيء رفع شيئا فقد نبره، والنبر مصدر نبر الحرف ينبره نبرا: همزه. قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا نبي الله. فقال لا تنبر باسمي، أي لا تهمز... ونبرة المغني: رفع صوته»².

وقال الزبيدي: « نبر الحرف، ينبره بالكسر نبرا همزه، والنبر همز الحرف ولم تكن قریش تهمز في كلامها.... وقال ابن الأنباري: النبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو»³، فمفهوم النبر لغة ترشح بين مفهومي الهمز، والرفع من الصوت.

اصطلاحا:

النبر ظاهرة صوتية « تحدث على مستوى المقطع الصوتي لتكسبه الوضوح السمعي مقارنة ببقية المقاطع الصوتية المجاورة له، ويكون ذلك عن طريق نطق المقطع المنبور ببذل طاقة أكثر نسبيا، ويتطلب من أعضاء النطق بذل مجهود أشد»⁴ والنبر من الفونيمات الثانوية أو الفوقطعية، وقد سميت بالثانوية لكونها غير أساسية في النظام

1- مصطفى حركات، العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، دار الأفاق، الجزائر، 2017، ص143.

2- ابن منظور: لسان العرب، مادة: ن ب ر"، ج5/ص222.

3- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ، ج14/ص164-165.

4- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص307.

التركيبى للكلام، وبالفوقطعية لكونها لا تتخذ موقعا ثابتا بين أصوات السلسلة الكلامية أثناء عملية تقطيعها إلى وحداتها الصوتية، كما يسميها بعضهم بالفونيمات فوق التركيبية.

10-4-النبر في اللهجة:

تكون مواضع النبر في اللهجة على النحو التالي:

1- نبر المقطع الأخير:

المقطع المنبور	الكلمة
/بن/	[تبن]
/رش/	[طرش]
/هب/	[ذهب]
/حم/	[لحم]
/حم/	[فحم]
/رب/	[هرب]
/حى/	[رحى]
/قى/	[لقى]

والملاحظ من خلال الجدول أعلاه أن هذه الكلمات تتكون من مقطعين (قصير مغلوق + متوسط مغلوق) أو من (قصير مغلوق + متوسط مفتوح). فموقع النبر يقع كما هو موضح على المقطع الأخير.

ويقع النبر كذلك على المقطع الأخير، إذا كانت الكلمة متكونة من مقطعين، أولهما متوسط مغلوق، وثانيهما طويل مغلوق على شكل / س ح ح س / مثل:

المقطع المنبور	الكلمة
/بال/	[لجبال]
/بال/	[لحبال]
/شار/	[منشار]
/تار/	[مختار]
/وال/	[سروال]
/راس/	[لعراس]

وإذا كانت الكلمة تتكون من مقطعين أولهما قصير مغلق، وثانيهما طويل مزدوج

الإغلاق، أي على شكل / س ح س س / فإن النبر يقع فيها على المقطع الأخير مثل:

المقطع المنبور	الكلمة
/صب/	[يصب]
/شف/	[يشف]
/شك/	[يشك]
/خش/	[يخش]
/مس/	[يمس]

ويقع النبر في الكلمات التالية على:

المقطع المنبور	الكلمة
/مال/	[جمال]
/سان/	[حسان]
/يان/	[بيان]
/مال/	[كمال]

وإذا كان المقطع الأخير من الكلمة طويلا مغلقا، فإن النبر يقع عليه بغض النظر عن عدد المقاطع التي تسبقه ونوعها، وذلك كما هو موضح في الجدول الآتي:

المقطع المنبور	الكلمة
/نين/	[تعبانين]
/حين/	[رايحين]
/لين/	[كاملين]
/يين/	[متغديين]
/يين/	[جايين]

2-نبر المقطع قبل الأخير: ويكون ذلك في المواضع التالية:

إذا كانت الكلمة مكونة من مقطعين متوسطين، فإن النبر يقع على ما قبل الأخير نحو:

المقطع المنبور	الكلمة
/بخ/	[يخرج]
/دح/	[يحرث]
/مض/	[مضرب]
/مد/	[مبرد]
/قر/	[قرب]
/وصل/	[وصل]
/يا/	[ياسر]
/يا/	[ياكل]

إذا كانت الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع متوسطة مغلقة، فإن النبر يقع على المقطع ما قبل الأخير ومثال ذلك:

المقطع المنبور	الكلمة
/فر/	[متفرج]
/فر/	[متفرعن]
/عف/	[متعفرت]

وإذا كانت الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع أولها متوسط مغلق، وثانيها طويل مفتوح، وثالثها قصير مفتوح، فإن النبر يقع فيها على ما قبل الأخير مثل:

المقطع المنبور	الكلمة
/لي/	[تكليخة]
/لا/	[فلاقة]
/جا/	[رجالة]
/ما/	[حمالة]

وإذا كانت مكونة من ثلاثة مقاطع، أولها متوسط مغلق، أو قصير مغلق، وثانيها طويل مفتوح، وثالثها متوسط مغلق، فإن النبر يقع على ما قبل الأخير، أي على الثاني إذا عدت المقاطع من أول الكلمة، مثل:

المقطع المنبور	الكلمة
/را/	[ادراهم]
/وا/	[لحوايح]
/ها/	[لبهايم]

وإذا كانت مكونة من ثلاثة مقاطع وكان أولها متوسطا مغلقا وثانيها وثالثها طويلين مغلقين مثل:

الكلمة	المقطع المنبور
[متعاركين]	/عار/
[متفاهمين]	/فاه/
[مصالحين]	/صال/
[مضاربين]	/ضار/

وإذا كانت مكونة من أربعة مقاطع، ولم يكن المقطع الأول قصيرا مغلقا، فإن النبر كذلك يقع على ما قبل الأخير نحو:

الكلمة	المقطع المنبور
[جربناهم]	/نا/
[كملناهم]	/نا/
[علمناهم]	/نا/

2- نبر المقطع الأول: إذا كانت الكلمة ذات مقطع واحد، فإن النبر واقع عليه مثل:

/بنت/، /عبد/، /سמש/، /حوت/، /روح/، /بيت/، /جيب/.

غير أن القواعد السالفة الذكر لا يمكن أن تكون عامة في اللهجات الجزائرية كلها، وذلك لأن « أهل اللهجة يختلفون من شخص لآخر، ومن منطقة إلى أخرى، إضافة إلى أننا كثيرا ما نجد الفرد يغير مواضع النبر في الكلمة الواحدة، وذلك بحسب المقام والظروف اللغوية أو النفسية التي يكون فيها، وهو ما ينطبق على كل أفراد البشر»¹.

وإذا كان النبر لا يندرج ضمن الفونيمات ذات الملامح التمييزية في اللغة العربية الفصحى، فإنه في العامية يلعب دورا دلاليا هاما، فقد يستخدم النبر ليكون مميزا بين أكثر

1- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 309.

من معنى للكلمة الواحدة، فمن خلال النبر على مقطع معين من الكلمة أو الجملة، نتمكن من معرفة ما إذا كان المراد تعجبا أو نفيا أو إخبارا أو استفهاما.

وجدير بالذكر أن علماء العربية لم يدرسوا النبر، وهذا ما يقره المستشرق برجيشتراسر بقوله: « ينبغي أن نوجه نظرنا إلى اللغة العربية خاصة، فنعجب كل العجب من أن النحويين والمقرئين القدماء لم يذكروا النغمة، ولا الضغط أصلا، غير أن أهل الأداء والتجويد خاصة رمزوا إلى ما يشبه النغمة، ولا يفيدنا ما قالوه شيئا فلا نص نستند إليه في إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن»¹.

وفي الصدد ذاته يقر فليش، أنه إذا كانت « القواعد المقررة في النحو العربي عن مكان نبر الكلمة، فإنها لا تركز على تقليد قديم، إذ يبدو أنها كانت مستوحاة من استعمال الآباء المصريين، واستوحاها المستشرقان: كيرستن "kirston" وأربنيوس "erpenius" في بداية القرن السابع عشر، فمعرفة نبر الكلمة في العربية إذن معرفة حديثة »².

1- برجيشتراسر: التطور النحوي، ص46-47.

2- هنري فليش: العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، ص50.

11-التشغيم:

مما لا شك فيه أن للتشغيم دور مهم في التقرير والتوكيد والتعجب والاستفهام والنفي والإنكار، وذلك عن طريق التلوين في الدرجات النغمية.

مفهوم التشغيم:

لغت:

ورد في لسان العرب: « نغم: النغمة جرس الكلمة، وحسن الصوت في القراءة، وغيرها، وحسن النغمة، والجمع نغم»¹. وجاء في مخصص ابن سيده: « وعندي أن النغم اسم للجمع كما حكاه سيبويه... وقد يكون نغم متحركا من نغم، وقد تنغم بالغناء ونحوه، وأنه ليتغنم بشيء أي يتكلم به، والنغم الكلام الخفي، والنغمة الكلام المستحسن، وقيل هو الكلام الخفي»².

اصطلاحا:

والتشغيم اصطلاحا مصطلح صوتي يدل على « الارتفاع (الصعود)، والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام»³، وهو أيضا « رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة»⁴. ويتضح من خلال هذه التعريفات أن التشغيم عنصر صوتي، تتراوح شدته بين الارتفاع والانخفاض على مستوى الحدث الكلامي، كما أنه يخص الجملة أو أجزاء منها، ولا يخص الكلمات المفردة، وبذلك يقوم بوظائف نحوية وبلاغية ودلالية، فيفرق بين أساليب الجمل وأغراضها المتعددة.

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة نغم، ج12/ص 701.

2- ابن سيده: المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د ت، ص252.

3- محمود السعمران: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص192.

4- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 106.

ولئن كان اهتمام علماء اللغة والنحو بالغا في مجال الدراسة الصوتية للغة العربية، إلا أنهم لم يتطرقوا إلى بعض الجوانب الهامة كالنبر والتنغيم: « فالتنغيم مازال ذلك الجانب الصوتي الذي تفتقر إليه دراستنا اللغوية قديما وحديثا، إذ لم يقع بين أيدينا كتاب واحد يعالج هذا الجانب الحيوي معالجة شاملة وافية، تزيح عنه الغموض وتعطيه اهتماما كافيا»¹.

11-1- التنغيم في اللهجة:

يكتسي التنغيم دورا مهما في توجيه المعنى الدلالي للجملة، وتحديد ملامحها الوظيفية المتباينة بين التقرير، والتوكيد، والتعجب، والاستفهام، والنفي والإنكار، ويتم ذلك عن طريق التلوين في الدرجات التنغيمية، من خلال إحداث تنوع « في درجة جهة الصوت أثناء الكلام، والمقصود بالجهة هو المنحى الذي تأخذه خطية الجملة من تصاعد أو هبوط، وذلك بإرداف الكلام لتعبيرات موسيقية تنشدها دواخل الناطق الحسية والنفسية، حيث يلجأ الناطق إلى توظيف هذا النوع من المقاطع النغمية بدافع سيكولوجي»².

وتسجل مستوياتها في اللهجة كالتالي:

النغمة المنخفضة: ويتأتى المنحنى اللحني لهذه الجملة إثر أداء جملة إخبارية أو جملة استفهامية، وهي أدنى النغمات، نحو: جاو ضيافاك البارح؟ حيث تبدأ النغمة في حالة الاستفهام هابطة، وتصعد بدرجة تتناسب مع الاستفهام، فإن كان الاستفهام قويا كانت النغمة صاعدة بقوة، وإن كان الاستفهام ضعيفا كانت النغمة صاعدة ببطء، ثم تهبط في نهاية الكلمة إلى الصفر.

1- غالب باقر محمد غالب: بعض جوانب التنغيم في العربية، مجلة كلية الأدب البصري، مطبعة جامعة البصري، 1979، العدد 15، ص 203.

2- ابراهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، مخطوط دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2011/2012، ص 149-150.

النعمة العادية: وهي النعمة التي يبدأ بها الكلام عادة، والتي يستمر على مستواها الكلام العادي غير الانفعالي، وهي أعلى من النعمة المنخفضة وأدنى من النعمة العالية، مثل: محمد ارواح. نطقت هذه الجملة في المقطع الأول /س ح/ بنعمة مستوية، وبصوت منخفض، مع مد للفظة "ارواح".

النعمة العالية: وهي النعمة التي تأتي قبل نهاية الكلام، متبوعة بالنعمة المنخفضة أو نعمة عالية مثلها، وهي تصاحب عادة النبرة الرئيسية في الجملة، نحو "أيا بعد علي".

النعمة فوق العالية: وهي النعمة التي تأتي مع التعجب أو الأمر والانفعال، وهي أعلى من النعمة العالية، نحو "كيفاش تنسى شتى وصيتك". حيث تبدأ النعمة عالية، ثم تهبط رويدا رويدا حتى تصل إلى الصفر في نهاية الكلمة.

ويتضح مما سبق أن التنعيم ظاهرة صوتية تلجأ إليها اللهجة الجزائرية لتحديد أغراض الكلام، كونها تؤثر في تغير الدلالة دون أن تتغير المفردات، وكذلك يلعب التنعيم دورا فاعلا في التقرير، والتوكيد، والتعجب والنفي، والإنكار، والتهكم، والزجر، وغيرها من أنواع الفعل الإنساني كالغضب، واليأس، والفرح والحزن، « حيث يعتلي الناطق بالصوت إلى قمم قصوى من التصويت، يصاحبها بتلوين ترنيمي في منتهى التركيب، أو ينخفض بها إلى مستويات دنيا من الخطية التي كان عليها الصوت، أو يحافظ على مستوى منتظم من التصويت»¹. ولذلك يعدها علماء اللغة من الفونيمات غير التركيبية والتي من شأنها أن تعرفنا على مواقف المتكلمين من خلال تنوع ظهورها من لسان إلى آخر.

1- ابراهيمي بوداود، الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، ص151.

12- ظاهرة الإتياع والمزاوجة:

يرى ابن فارس في كتابه الذي خصصه للظاهرة أن الإتياع والمزاوجة: « كلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على روي واحد، والوجه الآخر أن يختلف الرويان ثم يكون بعد ذلك على وجهين: أحدهما أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف، إلا أنها كالإتياع لما قبلها، والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق»¹. ويضيف ابن فارس: « إن بعض العرب سئل عن هذا الإتياع فقال: هو شيء ننتد به كلامنا»².

كما خصص أبو علي القالي حديثا للظاهرة في أماليه، وعرف الإتياع بقوله: «الإتياع على ضربين: فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول، فيؤتى به تأكيدا لأن لفظه مخالف للفظ الأول، وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول»³. واللهجة الجزائرية كغيرها من اللهجات العربية لجأت إلى المتتابعات التأكيدية ذات التجانسات الصوتية، وذلك لتوضيح الفكرة وتأكيد المعنى نذكر منها مثلا:

يخَلط ويَجَلط، وتطلق دلالة على الخلط في الأمور.

حجة وفرجة: وتطلق على من يجمع بين أمرين في وقت واحد، وقد عبروا عن هذا المعنى أيضا بقولهم: زورة ونورة.

[ساهل ماهل]: وتطلق على السهولة التامة في الأمور.

[سايع مايع]: تطلق دلالة على اللامبالاة وقلة الاهتمام بالأشياء.

[شايع مايع]: يأتون بها للدلالة على الراحة والانبساط التام.

[شايف عايف]: وتطلق على القناعة في الأمور.

1- ابن الحسين أحمد بن فارس، الإتياع والمزاوجة، تحقيق: كمال مصطفى، مطبعة السعادة، مصر، ص28.

2- ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة، ص263.

3- أبو علي القالي، الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2/ص153.

- [الشبعة تعمل بدعة]: وتطلق على من شبع حتى أبداع.
- [الشخير والنخير]: وتطلق على صوت الشخير المرتفع.
- [شد مد]: وتقال لرفض الدين.
- [شرح وملح]: وتطلق على اللحم المحفوظ من التعفن.
- [الشرف والخرف]: وتطلق على من قلّ عقله، وهناك من يعبر على هذا المعنى بقوله:
[الشيب والعيب].
- [الشطيح والرديح]: وهي بمعنى الرقص والحركة.
- [القلة والعلّة]: وتطلق على المعوز المريض.
- [فارج مارح]: وتطلق على شدة الفرح.
- [صايم قايم]: دلالة على التقوى.
- [لا خدمة لا زدمة]: وتطلق على الإنسان الذي لا يعمل.
- [لا سلام لا كلام]: وهي للدلالة على الامتناع عن الكلام.
- [لا همة لارمة]: تقال عن الشخص الذي لا يعجبهم شكله ولا أخلاقه.
- [ما تخبش ما تنبش]: وتطلق على السكون والهدوء.
- [ماربعت ما سبعت]: ربعت من العدد أربعة، وسبعت من العدد سبعة: وهو يقال للعروس التي تعود إلى بيت أبيها سريعا.
- [ما يصك ما يحك]: وتطلق على الإنسان عديم الفائدة والتأثير.
- [ما يهش ما ينش]: وتطلق على الإنسان الذي لا يتخذ مواقف صارمة.
- [تندب وتحندب]: تقال على عدم المبالاة بشخص ما.
- [شيطو وليطو]: وهي دلالة الإنسان الذي يتعبه أمر ما.
- [الزوخ والزبرنوخ]: تقال على شخص كثير التفاخر.

[تخلطت وتجلطت]: وتطلق على الفوضى في الأمور.

وتعدّ ظاهرة الإلتباع والمزوجة صورة من صور المشاكلة الصوتية، « وهذا مطلب تركيبى، يفيد توكيدا اكتسبه من التماثل الصوتي بين التابع والمتبوع»¹، هذا لأنها تقوم على اتباع كلمة بكلمة على وزنها، أو رويها، إشباعا أو تأكيدا. ومن الأمثلة التي يمكن رصدها في كلام العرب، والتي تتضمن الإلتباع والمزوجة ما أورده أبو عالي القالي: « قولهم رجل وكلة نكلة، وصفا للعاجز الذي يعتمد على غيره ويكل أمره إليه، ورجل وعق لعق، أي حريص جاهل، وعجوز شهلة كهلة، وشيء وتح وعر، أي قليل، وقولهم جائع نائع...وسادم نادم... وتافه نافه»². ومن ذلك قولهم أيضا: «ساغب لاغب، وخب ضب، وخراب يباب، وعفريت نفریت، وشيطان ليطان، وعطشان نطشان، وحسن يسن، وضئيل يئيل، وقسيم ووسيم، وحرار ويار»³.

وقد اهتم العلماء بهذه الظاهرة، ووضعوا لها مصنفات حاولت الإحاطة بمختلف تجلياتها وأبعادها، ومنهم ابن فارس الذي وسم كتابه بـ "الإلتباع والمزوجة"، رتبته وفق مخارج حروف المعجم، وقد اختصر تأليفه السيوطي فسماه "الإلماع في الإلتباع".

1- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط4، 1971، ص3.

2- أبو علي القالي، الأمالي، ج2 / 214 . 215.

3- السيوطي، المزهرة، 1 / 214.

13- ظاهرة النحت :

لغة:

هو النشر والبري والقطع، ونحت العود أي براه، والحجر أي سواه وأصلحه، ونحت الكلمة: أخذها وركبها من كلمتين أو أكثر، نحو: الحوقلة من لا حول ولا قوة إلا بالله، والبسملة من: بسم الله الرحمن الرحيم. ويقال: نحت النجار الخشب والعود إذ براه وهذب سطوحه، ومثله في الحجارة والجبال. قال الله تعالى: ﴿وتتحتون من الجبال بيوتا﴾¹»²

اصطلاحا:

هو تيسير التعبير بالاختصار والإيجاز، فالكلمتان أو الجملة تصير كلمة واحدة بفضل النحت، وفي توصيف النحت قال القدماء: «النحت أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر وهو جنس من الاختصار»³.

13-1- صور النحت:

يرد النحت في اللغة العربية وفقا لصور متعددة أهمها⁴:

- تأليف كلمة من جملة لتؤدي مؤدها، وتقيد مدلولها، كبسمل المأخوذة من (بسم الله الرحمن الرحيم)، وحيعل المأخوذة من (حي على الصلاة، حي على الفلاح).
- تأليف كلمة من المضاف والمضاف إليه، بحيث تنسب القصة إلى المركب الإضافي، إذا كان علما كعبيشمي في النسبة إلى عبد شمس، وعبدري في النسبة إلى عبد الدار.
- تأليف كلمة من كلمتين أو أكثر، تستقل كل كلمة عن الأخرى في إفادة معناها تمام الاستقلال، لتقيد معنى جديد بصورة مختصرة، وهذا النوع كثير الورد في اللغات

1- الشعراء ، 149.

2- الثعالبي، فقه اللغة، ص 253.

3- بنظر: ابن فارس، الصاحبى في فقه اللغة، ص 271.

4- ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب، ص 105

الأوروبية، قليل في العربية وأخواتها السامية، ولم تعرف منه إلا بعض الألفاظ نتيجة تخريج لبعض العلماء... ومن ذلك "لن" الناصبة، ويرى الخليل أنها مركبة من "لا" النافية، و"أن" الناصبة، و"هلم": يرى الفراء أنها من "هل" الاستفهامية، ومن فعل الأمر "أم" بمعنى أقصد وتعال. وقيل أنها مركبة من "هاء التنبيه" و"لم" بمعنى ضم. و"أيان" الشرطية مركبة من "أي آن" فحذفت همزة آن، وعلت الكلمتان كلمة واحدة.

13-2- أقسام النحت:

أقسامه متعددة بتعدد اللهجات وطرائق التلفظ، وأشهره: النحت الفعلي، النحت الوصفي، النحت الاسمي، النحت النسبي، النحت الحرفي، ولعل أكثر الأنواع شيوعاً في اللهجات الجزائرية هو:

النحت التخفيفي: مثل (بلعنبر) في (بني العنبر)، و(بلحارث) في (بني الحارث)، و(بلخزج) في (بني الخزرج)؛ وذلك لقرب مخرجي النون واللام، فلمّا لم يمكنهم الإدغام لسكون اللام حذفوا، كما قالوا: مست وظلت، وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة، فأمّا إذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك؛ مثل: بني الصيياء، وبني الضباب، وبني النجار¹.

وتحتوي اللهجات الجزائرية على أكثر الأنساق التلفظية التي طرأ عليها شكل من

أشكال النحت التخفيفي المتغير الحال على نحو:

[ما جاش] = ما جاء / شيء /

[ما كانش] = ما كان / شيء /

[ما شالي]: ما شاء / الله / لي

[قلمونة]: ما / قل / من / المؤمنة /

1- ينظر: إبراهيم أبو سكين، فقه اللغة، دار المعارف، مصر، سنة 1958 م، ص 23.

جاب: جاء به

ومن أمثله صور النحت في اللهجة الجزائرية ما يلي:

[كلش]: منحوتة من كل شيء.

[ماكانش]: منحوتة من ما /كائن/ /شيء/.

[موش]: منحوتة من ما هو /بشيء/.

[ذلوك]: منحوتة من /هذا/ /الوقت/.

[ما نعرف]: منحوتة من /ما/ /أعرف/ /شيء/

[واش]: أي شيء. ويشير عبد الملك مرتاض إلى هذا التركيب المنحوت بقوله: «نحتت

هذه العبارة الفصيحة من " وأي شيء؟ حذفوا الياء من "أي" ثم حذفوا الياء من "شيء"،

أما الهمزة من شيء فلم يلتفتوا إليها، فكأنهم توهموها غير موجودة البتة لحذفهم المطرد

لها إذا كانت متوسطة أو متطرفة، فأصبحت العبارة "أش" وحين يدخلون الواو عليها

يحذفون الهمزة تخفيفا، فتصبح "واش"»¹.

[ما عندكش]: منحوتة من ما عندك شيء.

[مين]: أصلها من أين، "نحتت من عبارة: من أين جئت؟ ويفسر عبد المالك مرتاض

كيفية نحت هذا التركيب بقوله: « فلكثرة تردد أدوات الاستفهام على الألسنة كثيرا ما

تنحت، ونجد هذا النحت حتى في الفصحى حيث أنهم يقولون بدلا من: إلى متى:

إلام... فأصل "مين" من أين" حذفت النون من "مين" لأنها آخرة، ويترد في لهجاتهم

1 - عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص18.

حذف الحروف الأخيرة فصارت: مأيّن؟ فحذفوا همزة القطع لأنها عدوة لهم كما هم أعداء لها، فإنهم يجتنبون نطقها، فأصبحت العبارة "مين" ¹.

[بلاش]: منحوتة من /بلا/ /أي/ /شيء/.

[قداش]: منحوتة من /قدر/ أي /شيء/.

[وقتاش]: منحوتة من /أي/ /وقت/

[مانيش]: منحوتة من /ما/ /أنا/ الذي فعل ذلك /الشيء/.

[فاش]: منحوتة من /أي/ /شيء/.

[علاش] و[علاه] منحوتتين من /على/ /أي/ /شيء/.

[ديال]: "منحوتة من: دية: وهي المال الذي يعطى ولي المقتول بدلا من نفسه (أي عوضا عنها)، واللام الدالة على الملك متصلة بالضمير" ².

[فغلل]: يقولون فلان فغلل فلان أثاره لدرجة القلق، فلا يستطيع أحد الكلام معه وهو مفغلل ومنحوتة من:

- غل صدره غلا وغليلا، كان ذا غش أو ضغن أو حقد .

- ومن فل من فلان عقله فلا: ذهب ثم عاد. ³

[كرفس]: عدّبه وآلمه وهو مكرفس، وهم مكرفسين، وهي منحوتة من:

- كرّ على العدو: حمل عليه بشدة.

1 - المرجع نفسه، ص12

2 - عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب، ص108.

3 - المرجع نفسه، ص109.

- رفس: من رفس فلانا رفسا ورفوسا ضربه برجله في صدره، ورفس الشيء دفعه (والرفس من الحمل بشدة، تعذيب).¹

[مايوريش]: منحوتة من ما يوري شيء

[مايتكلش]: منحوتة من ما يؤكل منه شيء

[تراش]: منحوتة من أترى أي شيء ؟

[كيفاه]: منحوتة من كيف هو ؟

والمتصفح للمدونات التراثية العربية يقع على روايات كثيرة لظاهرة النحت عند كثير من أعلام اللغة القدماء، من مثل الخليل وابن السكيت، والجوهري، وابن فارس، والثعالب، والسيوطي² ومن أمثلة النحت في العربية قولهم: رجل "عشمي"، منسوب إلى "عبد شمس"، وقولهم "صهصهلق" من "صهلق وصلق"، و"الصلدم" من "الصلد والصددم"³. ولم تنتهي العناية بالنحت عند القدماء على عتبة الفصل النهائي، وإنما ألفينا كثيرا من المحدثين من يعده ضروريا « في بعض الأحيان، يمكن أن يساعدنا على تنمية الألفاظ في اللغة، ولذا نرى الوقوف منه موقفا معتدلا ونسمح به حين تدعو الحاجة الملحة إليه، ولاسيما حين يجري على نسق من الأمثلة القديمة»⁴. ومن ثم يغدو النحت وسيلة من وسائل تنمية اللغة، وتجديد أساليبها وألفاظها، لتساير الركب الحضاري دونما مساس بنسيجها وخصائصها.⁵

1- المرجع السابق، ص116.

2- ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص 85.

3- ينظر: ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة، ص271، وينظر: الثعالبي، فقه اللغة، ص253.

4- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص91.

5- ينظر: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط 9، 1981، ص274.

خاتمة

خاتمة

انتهى البحث في الاختلافات اللهجية في المنطوق الجزائري "دراسة صوتية مقارنة" إلى خاتمة تتقصى أهم النتائج، التي تمخضت عن المقولات والتطبيقات العلمية، التي اعتاص أمر الإحاطة بها نظرا لتشعباتها وتعالقها هي الأخرى بميادين عدة، على نحو ما يفرزه المجلد الآتي:

تناولت هذه الدراسة اللغوية اللهجة الجزائرية، وكشفت عن أهم الخصائص الصوتية فيها، وتبيان مدى صلتها بالعربية الفصحى ولهجاتها قديما وحديثا. تتفرع كل لغة من اللغات إلى لهجات؛ إذ إن كل لغة تنقسم عبر الزمن ولعوامل مختلفة إلى لهجات تختلف فيما بينها، إلا أنها تمت بصلة إلى اللغة الأم بوصفها المعين الأول الذي تنهد منه أصلها التركيبي والتعديدي صوتيا وصرفيا ونحويا. تباين رؤى وطروح القدامى والمحدثين، فاللغويون العرب لم يصفوا لنا تلك اللهجات العربية القديمة، وصفا دقيقا كاملا في كثير من الأحيان، وذلك لانشغالهم في المقام الأول بالعربية الفصحى، تلك اللغة الأدبية المشتركة بين جموع القبائل العربية، والتي كانوا يستخدمونها في مواقف الجد من القول، وينظمون بها أشعارهم، ثم شرفها الله تعالى، فأنزل كتابه الكريم بأعلى ما تصبوا إليه هذه اللغة من فصاحة وبلاغة، ومنذ ذلك الحين، ارتبطت هذه اللغة بالقرآن الكريم، واجتهد اللغويون والنحاة في دراستها، وتحديد معالمها. بينما رأى اللغويون المحدثون أن دراسة اللهجات العربية تمثل مدخلا مهما في فهم طبيعة العربية الفصحى، لأنها تكشف كيف تنوعت، وتعددت طرق التعبير فيها، وأسرارها، وفهم قواعدها وقوانينها التي تحكمها.

وانطلاقاً من هذا المعطى فإن عربية اليوم ليست العربية التي تكلمها العرب قديماً، ووصف النحاة نحوها، وضبطوا معاييرها، إنما هي عربية تعرضت عبر مسارها الزمني الطويل إلى كثير من التغير والتبدل، مما جعلها تتفرع وتتشعب إلى لهجات متميزة، ولدراسة هذا التطور اللغوي الذي أصاب اللغة العربية، وأدى إلى وجود اللهجات، كان لزاماً أن تدرس اللهجات في إطار ما يسمى بالمنهج الصوتي المقارن، فنتخذ من العربية مادة أساسية لنقارن بينها وبين ما حدث في لهجاتها لنقف على مظاهر التغير والتبدل فيها.

يستخدم المنهج المقارن لدراسة التغير اللغوي، ذلك أن دراسة التغير أو التطور اللغوي في لغة ما، يظهرنا على أن هذه اللغة أو تلك تتشعب إلى لهجات متعددة، وقد تلحق هذه اللغات واللهجات تغيرات وتطورات كثيرة تبعتها عن أصلها. ومن ذلك التغير الصوتي الذي يحول المفردة عن أصلها بسبب المماثلة، أو المخالفة أو القلب المكاني أو الاتباع، أو الإبدال أو الحذف سواء بالحركة أو الحرف، فتزداد المفردة غموضاً ويصعب تفسيرها، إذ أنها تبدو للمستمع في الوهلة الأولى ليست من الفصحى في شيء، ولكن لو درس الباحث هذا التحول الصوتي ثم رد الكلمة إلى أصلها لاتضح له فصاحتها .

تخضع اللغات واللهجات لعوامل التطور اللغوي، وهي عوامل جبرية ثابتة مطردة النتائج، بحسب المستويات اللسانية، نجملها فيما هو أت:

على المستوى الصوتي: تبين من الدراسة أن اللهجة الجزائرية فقدت الأصوات بين الأسنان (الثاء، الذال، الضاد، الظاء) فقداناً تاماً في بعض المناطق بينما احتفظت به في مناطق أخرى.

- تسقط الهمزة من الكلمات المهموزة إما بالحذف وإما بالقلب وإما بالإبدال كغيرها من اللهجات العربية الحديثة.

- الإمالة ظاهرة صوتية موجودة في كل المناطق الصحراوية تقريبا (الجنوب الجزائري) وهي ظاهرة لهجية بامتياز في هذه المنطقة، وكذلك في سكيكدة، وعنابة، وسوق أهراس، والبيض... خاصة إمالة الألف نحو الياء، بينما ظاهرة الفتحة القصيرة الممالة نحو الكسرة أو الضمة فمختلف فيه من منطقة إلى أخرى، وكذلك تختلف هذه المناطق في درجة الإمالة، فمنهم من يميل إمالة شديدة ومنهم من تكون إمالتهم خفيفة.

- في اللهجة مثل الفصحى أصوات اللين وهي الكسرة والضمة والفتحة والياء والواو والألف، وتتحول الحركات الأصلية إلى حركات مناسبة للأصوات التي تتلوها قصد التناسب والانسجام.

- الإبدال والإدغام ظاهرتان صوتيتان بارزتان في الكلام المنطوق لأصحاب اللهجة. للهجة نظام خاص للتركيب المقطعي ذلك أن اللهجة يغلب عليها البدء بالمقطع المغلق، وهو ما لا تجيزه الفصحى، كما تتميز اللهجة أيضا بإطالتها للمقاطع.

- تلجأ اللهجة إلى القلب والحذف تسهيلا للنطق وتوفيرا للجهد العضلي شأنها في ذلك شأن كل اللغات البشرية.

- لا تختلف اللهجة عن الفصحى في نظام النبر، وتحديد النبر في الكلمة المتعددة المقاطع يخضع غالبا لأحوال المتكلمين.

- يكتسي التنغيم دورا مهما في التقرير، والتوكيد، والتعجب، والاستفهام، والنفي والإنكار، ويتم ذلك عن طريق التلوين في الدرجات التنغيمية.

في المستوى الإفرادي: أبانت الدراسة أن اللهجة تستعمل طريقة واحدة في التثنية وفي الجمع المذكر السالم بإضافة الياء والنون في جميع الحالات ولا يفرق بينهما إلا السياق أو بإضافة لفظ "زوج" عند التثنية، ويجمع جمع المؤنث السالم كما في الفصحى بإضافة الألف والتاء.

- للتأنيث علامة واحدة أساسية هي التاء المربوطة، وتلحق الأسماء والصفات التي على وزن (فاعل وفَعلاء وفَعلى).
- الأفعال في اللهجة كما في الفصحى ثلاثة: ماض ومضارع وأمر، وقد حافظت اللهجة على أحرف المضارعة المعروفة في الفصحى باستثناء الهمزة فقد حلت محلها النون للدلالة على المتكلم والمتكلمين، ويفرق بينها أحيانا بالسياق في حالة سقوط واو الجماعة.
- احتفظت اللهجة في صياغة المشتقات بالصيغ الفصيحة، وأضافت صيغا أخرى تختلف عنها حركيا لا بنائيا.
- تلجأ اللهجة إلى النحت لتسهيل والاختصار وهذا عامل من عوامل التطور اللغوي الذي عرفته اللغة العربية منذ القديم.
- على المستوى المعجمي:** الألفاظ المتداولة في الأداء الكلامي للجزائريين غالبيتها العظمى عربية، وجميعها متصل بشكل أو بآخر بأصله الفصحى، إنما طرأت عليها تغيرات اللسان، بسبب الاحتكاك والتطور الحضاري.
- إن تعاقب الحضارات على الجزائر أدى بالمتكلمين إلى الاقتراض اللغوي ودمجه في الاستعمالات اليومية، فنجد من الكلمات ما هو بربري، وما هو فارسي، وما هو تركي، إضافة إلى الإسبانية والفرنسية، هذه الأخيرة التي وسمت اللسان الجزائري بسمات خاصة، وأثرت فيه بسبب السياسة الاستعمارية اللغوية.
- على المستوى الدلالي:** يهتم المستوى الدلالي بدراسة اللفظة، معناها وتغير دلالتها عبر الزمن، واختلافها من منطقة إلى أخرى أو حتى داخل المنطقة الواحدة، وتبرز الظواهر الدلالية في المنطوق الجزائري متجلية في المشترك اللفظي، والمتضاد، والترادف... وعرف ذلك قديما في لغات العرب.

على المستوى التركيبي: تتكون الجملة كما في الفصحى من ركنين أساسيين هما: المسند والمسند إليه بينهما رابط معنوي هو الإسناد، وهي قسمان : اسمية وفعلية، والغالب أن يتقدم المسند إليه على المسند إذا كان المسند مفردا أو جملة، أما إذا كان شبه جملة فالأمر متأرجح بين التقديم والتأخير.

- النفي غرضه النقض والإنكار، ويكون في اللهجة غالبا ب (ما، لا)، وقد اصطنعت اللهجة لنفسها بعض الأدوات الخاصة التي تتناسب وطرق التعبير، كما أنها استغنت عن بعض الأدوات الفصيحة.

- من أبرز الظواهر في أسلوب النفي في اللهجة اللاحقة "ش" التي تلحق الجملة المنفية ب"ما"، فتارة تلحق الأداة وتارة الضمير، ومرة الضمير أو الظرف.

- يتم الاستفهام في اللهجة بطريقتين: استفهام بالأداة واستفهام بالنعمة، فالاستفهام بالأداة يكون بإحدى الأدوات المذكورة، وهي لا تخضع في ترتيبها لقاعدة معينة، فتأتي أولا ووسطا وأخيرا، بينما تعطي الفصحى الأدوات الصدارة في الكلام.

أما أسلوب النعمة فهو أسلوب خال من الأداة ويفهم معناه من النعمة، ولا يختلف نظام الجملة في هذا عموما عن نظامها في الفصحى سواء اشتملت على فعل أم خلت منه. يقوم أسلوب الشرط على ركنين متلازمين لا يتحقق الأول إلا بوجود الثاني ذكرا أو تقديرا، هما فعل الشرط وجوابه، واستعملت اللهجة لهذا الغرض أدوات خاصة كما استعانت ببعض الأدوات الفصيحة وذيلتها ببعض اللواحق مثل: لوكان، إذا كان.

خلصنا إلى أن اللهجة تطابق في التذكير والتأنيث بين المسند والمسند إليه والصفة والموصوف، والحال وصاحبها، وغير ذلك في حالة الإفراد، أما في حالة التثنية والجمع فلا مطابقة، وعلى هذا سارت معظم اللهجات المعاصرة، ويشيع فيها لغة (أكلوني البراغيث)، وعرفت الظاهرة في بعض اللهجات القديمة.

تحت الأعداد المركبة من كلمتين في كلمة واحدة، وتحذف التاء مطلقاً من العدد المضاف من ثلاثة إلى عشرة، بينما تثبت في الفصحى مع المذكر، وتحذف مع المؤنث وتوافق الفصحى في أفراد المعدود مع الأعداد المركبة والمعطوفة وألفاظ العقود.

وما يمكن قوله في الأخير أن الاختلافات بين اللهجة والفصحى طفيفة من حيث التركيب والبنية، مما يؤكد صلتها الوثيقة بها، فاللهجة الجزائرية إذن هي لغة العربية الفصحى تغذت ببعض الألفاظ الدخيلة والشائعة بفعل الاحتكاك الحضاري وتعاقب الغزاة.

وقد أثبتت الدراسة أن معظم الألفاظ التي توظفها اللهجة محل الدراسة من أصول عربية انحرفت بزيادة بعض الأصوات أو إبدالها أو حذفها فخضعت بذلك لقانون لساني عام يتمثل في كثرة الاستعمال، وتقليل الجهد اللغوي.

إن دراسة اللهجات ليس بالضرورة دعوة إليها، ولا انتصاراً لها وتفضيلها على الفصحى، بل اللهجات العربية قديمها وحديثها تمثل مدخلاً مهماً في معرفة العربية الفصحى، لأنها توضح لنا كيف انفصلت، وكيف اختلفت، ومن ثم نتمكن من الوقوف على قواعدها، وفهم قوانينها التي تحكمها، ونكتشف التغيرات التي اعترتها في مسيرتها عبر الزمان والمكان.

واستناداً على ما سبق، فإن اللهجة الجزائرية بحاجة إلى تكاتف الجهود وتعميق الأبحاث، مما يفرض على الباحث أن يخرج إلى الميدان، ويدرس ويسجل ما يلاحظ وما يسمع، وهذا من أجل توحيد النطق العربي وتضييق الفجوة بين الفصحى واللهجات أولاً، ثم تضييق الفجوة بين اللهجات العربية في الأقطار العربية عامة ثانياً.

ولتحصيل هذا المسعى، يجب تنقية اللهجات من الشوائب الموهلة في البعد عن الفصحى، وتهذيبها، من خلال البحث عن الجينات التي تصلها بالفصحى، ولن يتأتى

ذلك إلا بتضافر جهود كل القائمين على التعليم في مختلف أطواره، والإعلاميين في تقليص الهوة بين اللهجة والفصحى.

قائمة المصادر والمراجع

مكتبة البحث

❖ القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

❖ المصادر والمراجع العربية

إبراهيم أنيس:

1. الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة، 1981.
2. اللغة بين القومية والعالمية، المعارف، مصر، 1970.
3. في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1992.
4. من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة، 1992.

إبراهيم عبود السامرائي:

5. المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، دار جرير، الكويت، ط1، 2011.
6. فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983.
7. إبراهيم قلاتي، قصة الإعراب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002.
8. إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم، سوريا، ط1، 2001.
9. إبراهيم أبو سكين، فقه اللغة، دار المعارف، مصر، 1958.
10. ابن الأثير (مجد الدين، ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، اشراف وتقديم: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، السعودية، 2000.
11. ابن الأنباري، البلاغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، مصر، 1970.

12. ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، ت 833هـ)، النشر في القراءات العشر، تقديم: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002.

13. ابن الجوزي عبد الرحمن أبو الفرج، تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعارف، مصر، ط2، د ت.

14. ابن الحسين أحمد بن فارس، الإتياع والمزاوجة، تحقيق: كمال مصطفى، مطبعة السعادة، مصر، د ت.

15. ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل، ت 316 هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، الرسالة، بيروت، ط3، 1996.

16. ابن السكيت، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط4، د ت.

ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت 392 هـ):

17. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت.

18. المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، شركة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة، ط1، 1954.

19. سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث القديم، بيروت، الطبعة الأولى، 1954.

20. ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاكر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 2010.

21. ابن خلدون (عبد الرحمن ابن محمد)، المقدمة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1968.

22. ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، ط1، 1961

23. ابن دريد (محمد بن الحسن، ت 321)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط 1، 1987.

24. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، الرحمانية، مصر، ط1، 1952.

25. ابن سيده: المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، دت.

26. ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، تصحيح: محب الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، مصر، 1915.

27. ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد، ت 328 هـ)، العقد الفريد، شرح وتصحيح: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982.

ابن عصفور الإشبيلي (ت 669هـ):

28. المقرب، تحقيق: الجواري والجبوري، مطبعة العاني، بغداد، 1971.

29. الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قيباوة، دار الأفاق الجديدة، مصر، ط4، 1979.

30. ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله، ت 797 هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دت.

31. ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت 395 هـ)، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، 1964.

32. ابن منظور (محمد بن مكرم، ت 711)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1968.
33. ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
34. أبو الحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993.
35. أبو الطيب (عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي)، الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961.
36. أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية، تحقيق: حسين بن فيض الهمداني، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، ط1، 1994.
37. أبو علي القالي، الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.
38. أحمد المطوع، اللحن في اللغة العربية، تاريخه وأثره، المطبعة العصرية، إصدارات جامعة الكويت، د ت.
39. أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ط1997.
- أحمد حساني:
40. دراسات في اللسانيات التطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997.
41. مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
42. أحمد زغب، لهجة وادي سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2012.
43. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008.

أحمد مختار عمر:

44. البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، 1988.

45. دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1981.

46. إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 2004.

47. الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: علي حسين هلالي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1927.

48. الأسترباذي (رضي الدين محمد بن الحسين، ت 686 هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهد، تحقيق: محمد نور ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.

49. إسماعيل عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، عمان، ط 1، 1992.

50. آل غنيم صالحه، اللهجات في الكتاب لسيبويه، دار المدني للطباعة والنشر، جدة، ط 1، 1985، ص 16.

51. آمنة الزعبي، التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، 2008.

52. أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1989.

53. بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية، وصلتها بالعربية الفصحى، دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2008.

تمام حسان:

54. اللغة العربية، معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1979.
55. اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000.
56. دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.
57. مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990.
58. توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1980.
59. الثعالبي (عبد الله بن محمد بن إسماعيل، ت430 هـ)، فقه اللغة وسر العربية، دار الحياة، بيروت، 1980.
60. ثعلب (أبي العباس أحمد بن يحيى)، مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط2، 1960.
61. الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، د.ت.
62. الجرجاني (علي بن محمد بن علي)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1405 هـ.
63. جيلالي بن يشو، بحوث في اللسانيات، الدرس الصوتي العربي: المماثلة والمخالفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2007.
64. الحريري (القاسم بن علي الحريري)، درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1975.

حسام البهنساوي:

65. الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط1، 2005.
66. العربية الفصحى ولهجاتها، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1988.
67. حسين مصطفى، في علم الصرف، دار جرير للنشر، عمان، الأردن، ط2، 2011.
68. حماد احمد عبد الرحمان، عوامل التطور اللغوي، دراسة في نمو وتطور الثورة اللغوية، الأندلس، ط1، 1983.
69. خان محمد، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2005.
70. خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1983.
71. الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، العين، تحقيق عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، 1967.
72. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبه، الجزائر، ط2، 2006.
73. الداني أبو عمر وعثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإلتقان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، بغداد، ط 1988.
74. ديزيره سقال، الصرف وعلم الأصوات، دار الصدقة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
75. رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

76. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مباحث في علم اللغة واللسانيات، الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 2002.

رمضان عبد التواب:

77. التطور اللغوي، مظاهره وقوانينه وعمله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997.

78. بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1980.

79. فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السادسة، 1999.

80. مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، الطبعة الثالثة، 2013.

81. ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1981.

82. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، 1306 هـ.

83. الزجاجي (عبد الرحمن إسحاق أبو قاسم)، الإبدال والمعاقبة والنظائر، تحقيق: عز الدين التتوخي، المجمع العلمي العربي، سوريا، 1963.

84. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ت 538)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ.

85. سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الانتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2000.

86. السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، ت 626 هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد، 1982.

87. سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

88. السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ت 581 هـ)، التعريف والإعلام فيما ابهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، تحقيق: عباء مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

89. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت 180 هـ)، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983.

السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين، ت 911):

90. الاقتراح في أصول النحو، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الطبعة الثانية، د.ت.

91. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتصحيح محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ت.

92. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد السلام هارون، وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975.

93. الشاطبي القاسم بن فيرة، حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، ضبط وتحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط 2004، 4.

94. شرف الدين الراجحي وسامي عياد حنا، مبادئ علم اللسانيات، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2003.

95. شفيقة العلوي، دروس في علم الأصوات العام، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.

96. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة التاسعة، 1981.

97. الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، ط2، تونس، 1987.

98. عاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار المعارف، مصر، 1987.

99. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط4، 1971.

عبد الجليل مرتاض:

100. التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومة، الجزائر، 2005.

101. العربية بين الطبع والتطبيع، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ديوان

المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

102. اللسانيات الجغرافية في التراث، دار هومة، الجزائر، 2013.

103. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012.

104. عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، دار التأليف، مصر، 1943.

105. عبد الرؤوف خربوش، اللهجات الفلسطينية: دراسة صوتية، دار أسامة، الأردن، عمان، ط1، 2004.

106. عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، بيروت، ط2، 2007.

عبد العزيز مطر:

107. لحن العامة، الدار القومية للنشر والطباعة، القاهرة، 1966.

108. لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط، دار الكاتب، القاهرة، 1967.

109. لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية، دراسة لسانية، دار المعارف، القاهرة، 1981.

عبد الغفار حامد هلال:

110. اللهجات العربية نشأة وتطور، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993.
111. علم اللغة بين القديم والحديث، مطبعة الجبلاوي، شبرا، ط2، 1986.
112. مناهج البحث في اللغة والمعاجم، مكتبة الأسرة، مصر، ط1، 1991.
113. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، في الدراسات القرآنية واللغوية "الإمالة في القراءات واللهجات العربية"، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2008.
114. عبد الفتاح السيد المرصفي، هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، د ت.
115. عبد الله درويش، دراسات في علم الصرف، مكتبة الشباب، المنيرة، ط2، د ت.
116. عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2012.
117. عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب، تطوان وما حولها، دار الكاتب، القاهرة، 1968.
118. عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة 1، 1998.
119. عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، د ت.

عبد الراجحي:

120. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998.
121. فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة، مصر، ط1، 2003.

122. العبكري أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله النبهان، دمشق، دار الفكر، ط1، 1995.

عصام نور الدين:

123. محاضرات في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.

124. مقالات ونقاشات في اللغة، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1995.

125. علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1983.

126. علي جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1957.

غانم قدوري الحمد:

127. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، عمان، ط3، 2007.

128. مدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 2004.

129. الفارابي (أبو نصر محمد)، الموسيقى الكبير، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي، القاهرة، د ت.

130. الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد، التكملة، تحقيق: حسن شادلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984.

131. فخر الدين الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ط1986.

الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي):

132. المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1975.

133. معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1.

134. فرج توفيق الوليد، قواعد التلاوة وعلم التجويد، دار الرسالة، بغداد، ط1، 1974.

135. فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2004.

136. القسطلاني (شهاب الدين أحمد بن أبي بكر)، لطائف الإشارات، تحقيق: عبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

137. القفطي (علي بن يوسف) إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.

كمال محمد بشر:

138. دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة، ط1998.

139. علم اللغة العام، دار غريب، القاهرة، 2000.

140. علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف، القاهرة، 1971.

141. المبرد (أبو العباس بن محمد بن يزيد)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ط1، 1994.

142. محمد أحمد خاطر، في اللهجات العربية، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1998.

143. محمد المنطف القمامي، الأصوات ووظائفها، دار الفكر، لبنان، 1992.

144. محمد بن شنب، الكلمات التركية والفارسية المستعملة في اللهجة الجزائرية، الدار القديمة للنشر، الأردن، 1922.

145. محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، مكتبة الشباب، مصر، ط 1998.

146. محمد سالم المحيسن، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، مكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 1978.

147. محمد سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2011.

148. محمد سمير نجيب البلدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ط2، 1986.

149. محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1983.

150. محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1982.

151. محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللشعر والنثر، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.

152. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2001.

153. محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997.

محمود فهمي حجازي:

154. مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، الأردن، ط2، 1978.

155. علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارنة في ضوء اللغات السامية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973.
156. مختار نويوات، الصلة بين العربية الفصحى وعاميتها بالجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2008.
157. مشتاق عباس معن، المعجم الفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
158. مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

مصطفى حركات:

159. العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، دار الأفاق، الجزائر، 2017.
160. اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1998.
161. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، الأخبار، مصر، 1911.
162. المقدسي (ابن غانم)، بغية المرئاد لتصحيح لغة الضاد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، د.ت.
163. مكي بن طالب، الرعاية، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط2، 1984.
164. ممدوح عبد الرحمن، القيمة الوظيفية للصوائت، دراسة لغوية، دار المعرفة الجامعية، 1998.
165. مناف مهدي الموسوي، علم الأصوات اللغوية، جامعة السبع من أبريل، ليبيا، ط1، 1993.

166. مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي بيروت، ط2، 1987.

167. نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية، 2006.

168. وفاء البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

❖ المراجع المترجمة:

169. أرتور شاده، علم الأصوات عند سيوبه وعندنا، مقدمة الدراسة، ترجمة: صبيح التميمي، مجلة آداب الرافدين، الموصل العدد 58، 2010.

170. بالمر (فرانك روبرت)، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 1995.

171. برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، الخانجي، القاهرة، 1994.

172. جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح قرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966.

173. جورج موانان، تاريخ علم اللغة، ترجمة: بدر الدين القاسم، مطبعة دمشق، 1972.

174. جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتحقيق: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985.

175. **خولة طالب الإبراهيمي**، الجزائريون والمسألة اللغوية عناصر من أجل مقارنة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، د.ت.
176. **رابين تشام**، اللهجات العربية القديمة، ترجمة: عبد الكريم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002.
177. **ستيفن أولمان**، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، المنيرة، القاهرة، 1990.
178. **عدة باحثين**، دراسات لغوية في ظل الماركسية، ترجمة: ميشال عاصي، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1979.
179. **فرناند دي سوسير**، محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة: يوييل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، 1985.
180. **فندريس**، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخيلي، محمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2014.
181. **كارل بروكلمان**، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، 1977.
- ماريو باي:**
182. **أسس علم اللغة**، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1983.
183. **لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها**، الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1970.

موسكاتي سباتينو:

184. التطور النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 2003م.

185. الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، راجعه محمد القصاص، لندن، 1957م.

186. موسكاتي وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المخزومي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993.

هنري فليش:

187. التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب تر: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، 1968

188. العربية الفصحى، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط2، 1986م.

❖ المراجع باللغة الأجنبية:

189. *Cohen Marcel, Pour une sociologie du langage, Paris, Albin Michel, 1956, 1vol.*
190. *Daniel Jones, An Outline of English Phonetics, London, 1972.*
191. *Downes, William, Language and Society, Cambridge University Press, 1998.*
192. *Philippe MARCAIS, Le parler arabe de Djidjelli, Librairie d'Amérique et d'orient, Adrien Maisonneuve, Paris, 6ème (S.D) publications de l'Institut d'études Orientales d'Alger.*

❖ المخطوطات:

193. ابراهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، مخطوط دكتوراه، جامعة وهران، 2011-2012.

194. بن شيحة نصيرة، أسلوبية البناء الصوتي في الخطاب الشعري المعاصر، محمود درويش أنموذجاً-مخطوط دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس 2012-2013

❖ الدوريات:

195. ابراهيمي بوداود، أنثروبولوجيا اللغة بين المرام والإجراء، مجلة أبحاث، مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران 1- العدد 2، 2015

196. ابراهيمي بوداود، القرينة اللغوية بين الهوية والاعتراب -دراسة انثروبولوجية- مجلة مطارحات في اللغة والأدب، المركز الجامعي غليزان- العدد 04، 2015

197. شاده، علم الأصوات عند سيويوه وعندنا، مقدمة الدراسة، صبيح التميمي، مجلة آداب الرافدين، الموصل العدد 58، 2010.

198. عباس محمود العقاد، آمال من اللهجات العامية، إخراج مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد: 10.

199. عبد الحميد بوترة، واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد 8.

200. غالب محمد باقر، بعض جوانب التنعيم في العربية، مجلة كلية الأدب البصرية، مطبعة جامعة البصرة، 1979، العدد 1.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

.....	إهداء
.....	كلمة شكر
أ	مقدمة

مدخل

الدرس اللغوي العربي بين سلطة الفصحى وحضور اللهجة

02: تمهيد
02 1-العلاقة بين اللغة واللهجة:
05: 2-الفصحى:
07: 3-ميادين استعمال العربية الفصحى:
09: 4-مفهوم اللهجة:
10: 4-1-المفهوم الاصطلاحي للهجة:
12: 5-مفهوم العامية:
14: 6-الدرس اللغوي العربي بين سلطة الفصحى وحضور اللهجة:

- 187-واقع اللغة العربية قبل عصر التدوين:
- 198-ألقاب اللهجات العربية وصفاتها:
- 269-تأثير اللهجات العربية في صياغة المقولات اللغوية التراثية:
- 319-1-علاقة اللهجات العربية بالقراءات القرآنية:
- 3510-الدرس اللهجي عند علماء اللغة المحدثين:
- 3510-1-عند الغرب:
- 4110-2-معالم الدراسة اللهجية العربية لدى المحدثين:

الفصل الأول

تجليات المنهج المقارن في الدرس الصوتي العربي

- 471-الأصول المرجعية للمنهج المقارن:
- 471-1-في الدراسات العربية القديمة:
- 501-2-في الدراسات اللغوية الغربية:
- 542-روداد الدرس المقارن:
- 593-علاقة المنهج المقارن بالمنهجين الوصفي والتاريخي:
- 614-تجليات المنهج المقارن في الدرس الصوتي العربي:
- 634-1-المقولات التأسيسية للدرس الصوتي العربي:
- 644-1-1-المقولات الفيزيولوجية:
- 674-1-2-المقولات الفيزيائية:
- 744-2-تجليات المنهج المقارن في الدرس الصوتي التراثي:

853-4- المقولات الحدائفة للدرس الصوتف العربف:.....
861-3-4- المقولات الففزفولوجفة للدراسة الصوتفة لدف المحدثفن:.....
872-3-4- المقولات الففزفائفة للدراسة الصوتفة لدف المحدثفن:.....
934-4- تجلفاف المنهج المقارن فف الدراسة الصوتفة الحدفئة:.....
975- آلفاف المقاربة الصوتفة المقارنة:
1006- اللغة العربفة والتغفر الصوتف:.....
1011-6- أهمة دراسة التطور الصوتف:.....
1032-6- أقسام التغيراف الصوتفة:.....
1031-2-6- التغيراف التاريخفة للأصواف:.....
1042-2-6- التغيراف التركفبفة:.....
1053-6- القوائفن الصوتفة:.....
1064-6- التغيراف الصوتفة فف الحركات العربفة مقارنة مع صوائف اللغة السامفة:..
1095-6- التغيراف الصوتفة فف الصوامف العربفة مقارنة مع اللغات السامفة:.....
1157- قوائفن التغيراف الصوتفة:
1151-7- المماثلة:
1272-7- قانون المخالفة (التغفر):.....
1303-7- الحذف.....
1304-7- الزفافة:.....

الفصل الثاني طبيعة التشكلات اللغوية للخطاب اللهجي الجزائري

134 دوافع التعدد اللهجي في الجزائر:
134 1-1-الدافع التاريخي:
136 1-2-الدافع الجغرافي:
139 1-3-الدافع الاجتماعي:
142 2-طبيعة التشكلات اللغوية للخطاب اللهجي الجزائري:
142 1-2-الخصائص الصوتية لهجة الجزائرية:
176 2-2-طبيعة التشكلات الصرفية لهجة الجزائرية:
198 2-3-الخصائص النحوية (التركيبية):
210 2-4-الخصائص المعجمية:
215 2-4-1-الألفاظ الدخيلة في اللهجة الجزائرية:
220 2-5-الخصائص الدلالية:
220 2-5-1-الترادف:
223 2-5-2-التضاد:
224 2-5-3-المشترك اللفظي:

الفصل الثالث

الظواهر الصوتية الشكلية في المنطوق الجزائري

- 228 1-ملاحم التشكيل الصوتي للهمزة في النسق اللهجي:
- 236 2-أصوات اللين:
- 241 3-الإمالة:
- 241 1-3- مفهوم الإمالة:
- 242 2-3- الإمالة في اللهجة:
- 245 4-الإعلال:
- 245 1-4- الإعلال في اللهجة:
- 248 5-الإبدال:
- 272 6-القلب المكاني:
- 274 7-الحذف:
- 278 8-الزيادة:
- 282 9-الإدغام:
- 290 10-التركيب المقطعي:
- 290 1-10- المقطع الصوتي:
- 291 2-10- المقاطع الصوتية في اللهجة:
- 295 3-10- النبر:

296 10-4-النبر في اللهجة:
302 11-التغيم:
303 11-1-التغيم في اللهجة:
305 12-ظاهرة الإلتباع والمزوجة:
308 13-ظاهرة النحت :
308 13-1-صور النحت:
309 13-2-أقسام النحت:
314 خاتمة
322 قائمة المصادر والمراجع:
342 فهرس الموضوعات: